



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثالثة

كانون الثاني - تموز ١٩٨٠ م.

العدد المزدوج ٧ - ٨

صفر - رمضان / ١٤٠٠ هـ.



مِشْتَمَل

الصفحة

- ١ - تأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس بالعربية
للدكتور عبد الكريم خليفة
٥
- ٢ - صناعة المعاجم والجدول المعجمي الكامل
للاستاذ نجيب اسكندر
٣٣
- ٣ - لو أخذ القوس غير بارها
للدكتور إبراهيم السامرائي
٤٨
- ٤ - العرب وتراث فارس في العصر الحديث
للدكتور يوسف حسين بكار
٦٤
- ٥ - كشف الخفاء في البيعة لعلي الرضا
للدكتور محمد ضيف الله بطاينه
١٠٥
- ٦ - موقف من يونس بن حبيب
للدكتور محمود حسني محمود
١١٨
- ٧ - شاعر السمو زهير بن أبي سلمي
للدكتور عبد القادر الرباعي
١٥٢
- ١٧٧
تعليقات ومناقشات
- ١ - ذبول وملاحظات
للمهندس حاتم غنيم
١٧٨
- ٢ - عشر يون ، مقابل تين إيبرز
للاستاذ أحمد الخطيب
١٨٣
- ٣ - حول كتاب حساب التفاضل والتكامل
للاستاذ حسن سعيد الكرمي
١٨٤

- ٤ - رد على حساب التفاضل والتكامل
١٨٧ للدكتور أحمد سعيدان
- ٥ - حول مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف
١٩٠ للامتاذ عبد الرازق الجزار
- ٦ - حول مصطلح « حاجز الخدمة » مقابل « كاونتر »
١٩٥ للمدير العام للبريد العراقي
(ورد الجمع عليه)
- ١٩٨ أخبار جمعية
- ١ - أعضاء مؤازرون في مجمع اللغة العربية الاردني
١٩٩
- ٢ - مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة السابع والاربعون
٢٠٣
- ٣ - شفيق جبري في ذمة الله
٢٠٤
- ٤ - البطريك يعقوب الثالث والدكتور ميشيل خوري
٢٠٦ في ذمة الله
- ٢٠٧ المصطلحات

تأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس بالعربية للدكتور عبد الكريم خليفة رئيس جمع اللغة العربية الأردني

قرّر مجلس اتحاد الجامعات العربية ، أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر العام الرابع للاتحاد هو « تعريب التعليم الجامعي » ، فكان هذا القرار معبرا عن النتائج والتوصيات التي انتهت إليها المؤتمرات والندوات العربية حول تعريب التعليم الجامعي .

منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، وعلى وجه التحقيق في المدة الواقعة بين الثالث الى العاشر من شهر ايار (مايو) سنة ١٩٦١ ، اجتمع ممثلو الدول العربية في حلقة لدراسة مشكلات التعليم الجامعي في مدينة بنغازي ، وكان لي شرف المشاركة فيها ، وكنا اذ ذاك ، في الأردن ، نكافح من أجل تأسيس جامعة وطنية في بلدنا .

وقد صدر عن الحلقة توجيهات وتوصيات مهمة ، نتيجة دراسات موضوعية ، وبروح الانتماء الى امة واحدة ، تكوّن اللغة العربية الفصيحة مقوّمًا أساسيا من مقومات وجودها . واود هنا أن أقف عند بعض الاشارات فيما يتعلق بالتوصيات حول التعريب الجامعي ؛ فالاشارة الاولى تتمثل بالمبدأ ؛ اذ قررت الحلقة آنذاك أن التعريب وتدرّيس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ، علاوة على انه ضرورة قومية . . الى ان تقول : « هذا الى ان الفكر الاصيل لا يخلق في الامة إلا اذا كانت تعلم بلغتها ،

وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا ... » (١) .

والإشارة الثانية التي أود أن أقف عندها أيضا ، هي اتفاق الحلقة بالاجماع على مبدأ تعريب التعليم الجامعي والعالي ؛ ثم خلصت من ذلك الى توصيات تتناول وسائل التنفيذ . وها انذا أشير الى توصيتين من التوصيات الخمس ؛ فقد نصت التوصية الاولى على مايلي :

« أن تسرع الجامعات العربية بتعريب التعليم في كلياتها المختلفة

..... » . وجاء في التوصية الخامسة ما يلي :

« العمل على توفير أمهات المراجع باللغة العربية ، وكذلك الدوريات العلمية ، واصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات عربية لكل البحوث الأجنبية المهمة » (٢) وتوالت المؤتمرات والندوات العلمية لدراسة مختلف مشكلات التعليم الجامعي والعالي وكان الراي دائما متفقا على تعريب التعليم الجامعي والعالي في جميع كلياته .

ومنذ ذلك التاريخ أيضا تسارعت حركة تأسيس الجامعات في الوطن العربي ؛ ففي تلك الحلقة التي عقدت سنة ١٩٦١ ، لم يكن عدد الجامعات العربية المشتركة فيها يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة الأتليلا . وفي الحلقة الثانية التي عقدت ببيروت سنة ١٩٦٤ ، شاركت سبع عشرة جامعة عربية من مختلف أرجاء الوطن العربي . وهكذا أخذ التعليم الجامعي يحتل مكانة حية في البناء الثقافي والاقتصادي في البلاد العربية ، في دور تحررها من نير الاستعمار المباشر . فازداد عدد الجامعات

١ - انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقتان الاولى والثانية ص ٥٢ - ٥٨ .

٢ - انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقتان الاولى والثانية ص ٥٢ - ٥٨ .

العربية . وقد بلغ أربعين جامعة ، كما ورد في دليل اتحاد الجامعات العربية المنشور سنة ١٩٧٦ ...

ان وطننا العربي بحاجة شديدة الى اعداد اخرى كثيرة من الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمي ؛ ولكنني اود ان اتساءل فيما اذا كانت المستويات العلمية والانجازات المبدعة قد سايرت هذه الحركة المباركة من الانتشار الأفقي في التعليم الجامعي والعالي في وطننا العربي، وهو يخوض كفاحا مريرا للتغلب على مخلفات الاستعمار ، ومراكز نفوذه ، ومصالحه في مجال الثقافة والاجتماع، وكذلك في مجال الاقتصاد والسياسة ! .

لا شك ان المستويات العلمية العالية والانجازات المبدعة التي يجب ان يحققها التعليم الجامعي في الوطن العربي ما زالت بعيدة عن الواقع؛ وان من أهم اسباب هذه النتائج ، هو التردد والتلكؤ حتى الوقت الحاضر في تعريب التعليم العالي والجامعي .

فاذا نظرنا الى جوهر هذه القضية الحيوية ، التي تتصل اتصالا عضويا بكيان امتنا ونهضتها العلمية الاصلية ، وجدنا انها تتوقف على عاملين اساسيين : العامل الاول هو سياسة الدولة وادراكها اهمية التعريب في بنيانها السياسي والاقتصادي والعلمي ؛ ولذا فان الدولة مدعوة الى اتخاذ قرار في اعلى مؤسساتها التشريعية ، يجسد ارادتها السياسية في تعريب التعليم الجامعي والعالي، في جميع ميادين ومستوياته، وان تكون العربية الفصيحة لغة العلم والتقنيات والحضارة الحديثة .

اما العامل الثاني ، فهو عضو هيئة التدريس ، بل الانسان المعلم ، الركيزة الاساسية في بناء الامة . فقد اصبح من البدهيات القول ان التقدم يعتمد بصورة كبيرة على مميزات وقابليات اعضاء هيئة التدريس ، سواء اكانت مميزاتهم الانسانية ام التربوية والعلمية ام التقنية.

ونحن اذا اعتبرنا التربية حياة ونمواً ، تمتد بالانسان من المهد الى اللحد ، وتهدف دائماً الى تطوير الشخصية الانسانية ، وتسعى الى التقدم الروحي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ، نجد الانسان المعلم محور هذه العملية . وان من عوامل هذا التقدم في مجتمعنا العربي استخدام اللغة القومية للتعبير عن جميع حاجاتنا الحضارية ، وعن حصيلة ما وصل اليه الانسان في جميع مجالات العلوم والتقنيات الحديثة . وسنقتصر في بحثنا هذا على جانب مهم واحد من جوانب هذه القضية الخطيرة ؛ وهذا الجانب يتمثل بكيفية تأهيل عضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، لكي يصبح قادراً على استخدام اللغة العربية في التدريس والتأليف والبحث .

ربما كان من المفيد ان نطلق من واقعنا في الجامعات العربية ، لكي نستشرف المستقبل ، مستفيدين من تجاربنا وخبراتنا ، وكذلك من تجارب الأمم الاخرى التي سبقتنا في هذا المضمار .

فاذا أخذنا احصائية ١٩٧٦ ، كما وردت في دليل اتحاد الجامعات العربية ، وجدنا ان ثمة أربعين جامعة عربية ، تفرّدت من بينها الجامعات السورية ، وعلى رأسها جامعة دمشق منذ أكثر من خمسين عاماً ، بتدريس جميع العلوم والفنون في مختلف الكليات الجامعية باللغة العربية ؛ وأن العلوم الانسانية قد سجّلت نجاحاً كبيراً في التعريب في كثير من جامعاتنا ، وان كان الامر لا يخلو من نكسات مؤسفة ، لا يمكن ان نجد لها مبرراً في مجال العلم والمنطق والمصلحة الوطنية . أما من حيث اللغة العربية ، فإذنا قد اتفقنا منذ زمن بعيد على ان القضية لا تتعلق باللغة العربية من حيث هي لغة ، ولكنها تتعلق بعوامل أخرى غريبة عن مصلحة الأمة ، كما هي غريبة عن لغتها وتراثها .

إن نظرة شاملة للكفايات العلمية العالية التي يتمتع بها كثير من

علمائنا من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية ، تشير الى تعدد المصادر الثقافية والعلمية التي تشارك في التكوين العلمي والثقافي لكثير من هؤلاء العلماء ؛ فثمة أعضاء هيئة تدريس انهموا دراساتهم في جامعات أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية والمانية وايطالية ، فضلا عن الجامعات الأخرى من اسبانية ورومانية وبولونية ويوغوسلافية وغيرها . .

فاذا كانت الفترة الاستعمارية حتى الحرب العالمية الثانية وبعيدها بقليل ، قد جعلت مشرق البلاد العربية منطقة مغلقة على اللغة الانجليزية، ومغربها منطقة مغلقة على اللغة الفرنسية ، مع انعكاس هذا الوضع على لغة التعليم الجامعي وغيره ، فان هذا الأمر لم يعد قائما ، بل أصبح كثيرا ما يدعو للسطحية والسخرية . فكيف نطلب من خريج هذه الجامعات المشهورة في المانيا او روسيا او غيرها ان يدرس باللغة الانجليزية ، مثلا ، معتمدا على ماتبقى عنده من تعلمه في المرحلة الثانوية . . في حين يفترض فيه العجز سلفا في التعبير بلغته القومية التي رضعها مع لسان امه ، وتعلمها وتعلم بها في كثير من مراحل التدريس ؟

بل قد يصل الأمر الى حال من السخرية عجيبة . . فكيف يمكن لهذا المدرس الجامعي الذي نال جميع شهاداته باللغة البولونية او الروسية او الألمانية، مثلا، ان يدرس بالانجليزية !! ولكي يعين للتدريس بكلية تدرس باللغة الانجليزية ، توفده هذه الجامعة او تلك الى بلد ناطق بالانجليزية لكي يعود ليدرس باللغة الانجليزية !. في حين تنكر عليه حق التعبير بلغته القومية التي نشأ وترعرع في أبنائها !!

نريد من هذه الاشارة العابرة ان نخلص الى القول إن مصادرنا في تكوين أعضاء هيئة التدريس في جامعاتنا باتت متعددة ومتنوعة ، وإن الحل الوحيد الذي لا ثاني له في مواجهة هذا الوضع هو جعل « اللغة العربية » لغة البحث والتدريس في جميع هذه الجامعات ، وبين جميع هؤلاء العلماء من أعضاء هيئة التدريس .

فاذا سلّمنا بالقيمة التي يشغلها الانسان من حيث هو محور كل عملية تربوية ، فان من اهم العوامل التي تُعيق الانطلاق في عملية « التعريب الجامعي » هي هذه الحرب النفسية التي تشنّها وسائل الاعلام المختلفة من الخارج والداخل ، تدعمها سياسات معيّنة تكون نتيجتها احياء عدم الثقة بالنفس ، وتكون العقدة أمام تفوق الاجنبي، فتنعكس هذه القيم على ضعف عضو هيئة التدريس باللغة العربية ، او كسله ، وهو المختص بمادته العلمية ، عن بذل الجهد في التعريب، واتصاله بالجذور التاريخية لهذه العلوم الحديثة ، من خلال التعرّف على نصوص هذا التراث العلمي . وربما دفعته هذه الحال من عدم الثقة بالنفس الى استعلائه على مواطنيه ، بهجره لغتهم الى التحذلق بكلمات وتعبير اجنبية .

ان القناعة بضرورة التعريب ، ووجود الدوافع الكافية بين اعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي والجامعي ، من أجل بذل الجهد اللازم للتعريب ، شرطان اساسيان لكي نضمن نجاح اي برنامج يهدف الى جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع مجالات العلوم . ولذا فان عقد المؤتمرات، واقامة الندوات ، واثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله ، في جميع الاقطار العربية ، بل في جميع المؤسسات العلمية والجامعية ، يساعد كثيرا في التغلب على هذه الرواسب النفسية .

وان معظم هذه الحرب النفسية يتّجه الى طبيعة المستوى العلمي، واطلاق التحذيرات من ضعفه ، والانحدار في هاوية التخلف اذا ما انتقل عضو هيئة التدريس الى التعليم باللغة العربية .

ان عضو هيئة التدريس الذي يستوعب مادة تدريسه ، ويحقق مستوى علميا ممتازا في تدريسه الجامعي بلغة اجنبية ، سيرتفع مستوى

تدريسه عندما يعبرُ باللغة العربية ، لفته القومية ؛ والسبب في ذلك انه بحاجة اولا الى استيعاب المضمون في مصادره الأجنبية ، وفهمه وهضمه ، ثم التعبير عنه باللغة العربية .

فكيف يمكن ان يهبط المستوى اذا كان الشخص نفسه ينتقل من التدريس بلغة اجنبية الى التدريس بلغته العربية ؟ فهو في مثل هذه الحال يرى ان من واجبه ان يستوعب المصطلحات والمفاهيم التي وردت عند المؤلف ، وان يستبدل بها صيغا بلغته العربية ؛ وفي ذلك ما فيه من عملية ذهنية نشطة مبدعة ؛ في حين ان عضو هيئة التدريس الذي يدرس بلغة اجنبية ، قد تجذبه المادة الجاهزة ، ويميل به الكسل الى تكرارها دون ان يتفهم دقائقها تفهما عميقا . ونحن اذ نتحدث في هذا الباب عن « تعريب التعليم الجامعي » فاننا نعني به العمق والأصالة ، وننأى به عن ان يكون مجرد ترجمة سريعة رديئة قد يقوم بها غير المؤهلين لممارستها .

ويطيب لي في هذا الصدد ان استشهد بتجربة خاصة في العلوم الهندسية خاضها الاستاذ الدكتور علي محمد كامل ، وسردها في حديثه عن « تعريب العلوم الهندسية في جامعة عين شمس » ، الذي القاه في مؤتمر تعريب التعليم الجامعي المنعقد في بغداد من الرابع الى السابع من شهر آذار ١٩٧٨ . والاستاذ - حيا الله - كان قد حصل على الدكتوراه في الهندسة من انجلترا، يقول :

« مضى عليّ عقد من الزمان وانا ازاول التدريس بالخليط العربي الانجليزي ، قبل ان استجمع عزيمتي - وقد اصبحت استاذ المادة التي ادرّسها ، ورئيس القسم الذي اعمل به ، وهو قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة - واستندت الى نص قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ، ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة ، فلم

أجد العقبات التي كان بعض الناس يتصورها .

فكثير من المصطلحات كان متداولاً ، وان احتاج بعضه الى شيء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم ، وان اعتراه بعض التثنية ؛ اما الباقي فقد افادنتي خبرة التدريس لعشر سنوات خلت في الوثوق من معناه الى درجة تؤدي في يسر الى اختيار اللفظ العربي الصالح لتأديته .

وكان عليّ ان اتعود اتباع الاسلوب العلمي الصارم في التعبير . . حتى اصل من اقرب الطرق وأوضحها الى اذهان الدارسين ، فانقل اليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلس . « (٣) .

وثمة تجارب اخرى كثيرة في هذا الصدد ؛ وان اكبر مثال وأوضحك تلك التجربة الجماعية الخصبة التي توفرها لنا جامعة دمشق وأساتذتها منذ اكثر من خمسين عاماً . فقد انطلق هؤلاء الاساتذة الاعلام ، بمجهوداتهم الفردية والجماعية احياناً ، وفي إطار ظروف صعبة وإمكانيات مادية محدودة ، للتعريب في محاضراتهم الجامعية ، وفي ترجماتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم . . . هذا مع العلم انهم قد تكونوا في الأصل علمياً في جامعات اجنبية .

لا احد يزعم ان هؤلاء الرواد في النهضة الحدية لم يواجهوا مشكلات حقيقية ؛ بل على النقيض من ذلك ، فقد واجهوا وما زالوا يواجهون تحديات صعبة في مجال إلقاء المحاضرات باللغة العربية . والمحاضر في حقيقة الامر يقوم بنقل العلم من اللغة التي تعلمها بها الى اللغة العربية ، من خلال عملية ترجمة فكرية ، ومجهود علمي عقلي مبدع في اختيار الصيغ ، وتركيب الجمل باللغة العربية ، لتأدية تلك المعارف والمفاهيم ،

٢ - تجربة في العلوم الهندسية ، الدكتور علي محمد كامل ، ص ٢ - ٤ .

وبالتالي للوقوع على المصطلحات العلمية .

لاشك أن ممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية، هي الطريق الوحيد الذي يضمننا على بداية الطريق في تنفيذ سياسة التعريب التي يجب أن تتبناها الدولة ؛ فمن خلال هذه الممارسة يستطيع أعضاء هيئة التدريس ايجاد المصطلحات العلمية ، والوصول الى الصيغ اللغوية العلمية ، مستفيدين من الانجازات العظيمة التي بُذلت في بعض الجامعات العربية وفي المجمع اللغوية العربية . وثمة تجربة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني : فقد قام ، ضمن امكانياته المادية المحدودة ، بمشروع ترجمة الكتب العلمية الأساسية التي تُدرّس في السنة الأولى في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . فاختار احدث الكتب العلمية التي تُدرّس في الجامعات الاجنبية في مجال الرياضيات والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والفيزياء ، وشكّل لجانا من اعضاء هيئة التدريس المتخصصين الذين يقومون بالتدريس الجامعي في هاتين الجامعتين ، وجميعهم من الاساتذة النابهين الذين تخصصوا في الجامعات الأجنبية . وخلال بضعة اشهر أنجزت الترجمة ، ودفعت معظم المشاريع الى الطباعة . وقد استفاد هؤلاء الاخوة من جميع الجهود الخيرة التي بُذلت في الجامعات والمجمع اللغوية العربية ، ومن المؤلفات والترجمات التي وُضعت باللغة العربية . حدثني احد هؤلاء المتخصصين النابهين ، وقد اتمّ جميع دراساته الجامعية في الفيزياء في انجلترا ، انه وقف امام بعض المصطلحات ، ولم يكن امامه الا ان يأخذ اللفظة الاعجمية بأصواتها الناشزة كما هي ، او ان يأخذ ترجمة التعبير الى اللغة العربية . ثم قال : وفي اثناء مطالعته لمقال في هذا المجال في مجلة « المقتطف » ١٩٣٠ . . . كانت فرحته عظيمة حين وجد كاتب المقال يستعمل لفظة « حَشَك » للتعبير عن المدلول المطلوب ، فاستعملها هو . . . لقد حدثني بذلك للتندر ، لان هذه اللفظة بمدلولها المحدد ، شائعة وذائعة في لغة العامة عندنا . . .

وعلى كلّ فهي كلمة معجمية نصيحة .

وتجربة مجعنا تجربة متواضعة ، نرجو ان تكون بداية طريق للنجاح في تعريب التعليم الجامعي ، وبالتالي جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث والتأليف دون تأخير ودون تردّد .

لقد اوردتُ هذه الأمثلة السابقة لكي أخلص إلى القول : إنّ عملية تعريب العلوم ، وجعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف المبدع ، إنما هي عملية تنمو وتتقدم عبر الممارسة الفعلية والتنسيق المستمر بين ذوي الاختصاص العلمي في جميع الجامعات العربية ، ومؤسسات البحوث العلمية ، والجامع اللغوية العربية .

كلّ ذلك يجري في تفاعل مستمرّ من أجل التهذيب والتثذيب والتصحيح ، من أجل مسايرة اللغة العربية لجميع متطلبات الحضارة الإنسانية الحديثة . فهي عملية حيّة نامية، وسرّ حياتها يكمن في الاستعمال والتطبيق والممارسة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وتنمو بالتطبيق والممارسة ، ولاتحيا في بطون الكتب وفهارس المعجمات . وفي هذه العملية يمثّل عضو هيئة التدريس المكانة الاولى من حيث الفاعلية والتطبيق .

الثورة العلمية والتعريب

لقد أصبح من الحقائق الثابتة القول : إنّ العلاقة بين التنمية والتربية والتعليم العالي والجامعي عميقة وجوهرية : وان كل توسع في هذا المجال من التعليم يجب ان يتمّ في ضوء حاجات القوى العاملة ، وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل ، وذلك ضمن الأهداف الإنسانية الرفيعة التي تهدف الى رقيّ الفكر الانساني والحضارة الإنسانية في جميع جوانبها .

وقد راينا كثيرا من الدول الحديثة التي اجتازت مرحلة التخلف ، ودخلت مضمار الثورة العلمية ، كاليابان في اوائل القرن العشرين ، والصين

الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين ، قد رفعت لواء العلم للتنمية وللمجتمع . ومن البدهيات أن تدخل هاتان الامتان وغيرهما من الأمم الحديثة مضار هذه الثورة العلمية من خلال اللغات القومية . وما كان من الممكن مطلقا أن تصل اليابان الى ماوصلت اليه من ذروة العلم والتقنيات الحديثة إلا من خلال لغتها اليابانية ؛ وكذلك القول في الصين ، وقد ورثت قرونا ثقيلة من التخلف ، تراكمت على إرثها القديم من حضارة انسانية عريقة في القدم .

وكانت هذه الامم قد أعادت النظر في جميع أنظمتها الجامعية والتربوية ، ووضعت خططا بعيدة المدى واخرى قصيرة المدى ، آخذة بعين الاعتبار ما تتطلبه التحولات الجذرية في الثورة العلمية ، سواء منها ما يتعلق بسيطرة الآلة والتسيير الذاتي ، أم مايتعلق بالمكانة الخاصة التي يحتلها البحث العلمي من حيث هو عنصر اساسي في زيادة الانتاجية . ولا شك أن هذا الاتجاه الجديد يحتم على النظام التربوي ان يعد أنماطا جديدة من الاختصاصيين والفنيين ؛ وفي طليعة هؤلاء يأتي الاختصاصيون بالصناعات الالكترونية ، والعلماء الباحثون في ميادين الكيمياء وعلم الحياة والذرة بصورة خاصة ، وكذلك الفنيون الخبيرون بالوسائل الحديثة في الادارة والتسيير والتنظيم بصورة عامة (٤) .

وفي جميع الاحوال كانت اللغة القومية المنطلق الاساسي الذي تنطلق منه هذه الامم جميعها في ثورتها العلمية . فما كان لشعار « العلم للتنمية وللمجتمع » ان يكون له معنى خارج اللغة القومية ، وسيلسة للتعبير ، ومقوما من مقومات فكرها الابداعي وهويتها المميزة . ولذا رأينا التأهيل اللغوي لأعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين والفنيين في مجال التخطيط يحتل مكانة خاصة في برامج الإعداد والتدريب المستمر .

٤ - انظر : التربية في البلاد العربية ، الدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص ٢٢٢ .

وهكذا نستطيع القول : ان الثورة العلمية قد أدت الى تعميق مفهوم التربية المستمرة او الدائمة في حياة الانسان ، وفي حياة الجامعات والمؤسسات العلمية والحضارية المختلفة .

وما كان لهذا المفهوم التربوي ، أن تكون له آثاره العلمية والحضارية بمعزل عن اللغة القومية .

ونحن اذا وُجِّهنا نظرنا صوب مجتمعنا العربي ، وبصورة خاصة صوب جامعاتنا العربية ، حيث يكون أعضاء هيئة التدريس جوهر وجودها، وجدنا اننا بالفعل امام ثورة علمية لا بد قادمة ، لكي تزيل ما تراكم من غبار القرون في التخلف والجهل ، وتصهر من جديد ما تراكم من مخلفات الاستعمار ، لكي تزيل الأوشاب ، ويظهر من جديد عنصر هذه الامة سليما نقياً ، لكي تعاود مسيرتها المبدعة في ركب العلم والحضارة الانسانية.

ان التعريب ، او استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي في جميع مستوياته ومجالاته ، وفي البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، هو القاعدة الاساسية التي تُبنى عليها ركائز هذه الثورة العلمية المستقبلية إن شاء الله . ومن دون ذلك يصبح كل تخطيط لا معنى له ، لانه يكون قد خالف طبائع الأشياء ، ونواميس التقدم والرفق . وفي مجال هذا التخطيط ، يهمننا في هذا البحث جانب واحد من جوانب قضية التعريب ، هو الجانب الذي يتعلق بكيفية الوصول بعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، ولاسيما في الكليات العلمية ، الى المستوى اللغوي اللائق ، لكي يستطيع ان يتكلم ويكتب بلغته العربية بشكل سليم ، وان كان الهدف البعيد الذي يجب ان تسعى اليه جامعاتنا العربية هو ان يكون المتخصص في اي علم من العلوم على معرفة واسعة باللغة العربية ، الى جانب اتقان لغة او لغتين من اللغات العالمية الحية .

لا بد لكل تخطيط ناجح يهدف الى تأهيل أعضاء هيئة التدريس

وجعلهم قادرين على استعمال اللغة العربية في محاضراتهم وابعائهم، ان يرتكز على منطلقات الواقع وما يستشرفه من مستقبل يتطلّع اليه ؛ سواء اكان ذلك في مجال بناء خطة بعيدة المدى ، ام خطة قصيرة الاجل ، تهدف الى معالجة قضايا التحول وفترات الانتقال . وربما كان من المفيد ان لاندخل في جزئيات هذا التخطيط ، الذي لابد ان يتأثر بالظروف والاحوال المختلفة في كل قطر من اقطار العروبة ، وانما نعالج الموضوع من حيث المنطلقات العامة التي تقيدها مبادئ واهداف ، اصبحت تعتبرها أمّتنا من المسلّمات التربوية في بنائها الحضاري والقومي والانساني .

يمكن ان ننظر الى موضوع إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا على مرحلتين : فالمرحلة الاولى تشمل إعدادهم قبل العمل الجامعي ، والمرحلة الثانية تتناول إعدادهم في اثناء الخدمة والعمل الجامعي .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا قبل العمل الجامعي :

لا يخفى على كل مهتم بقضايا اللغة العربية ان يسجل حقائق محزنة في مجال ضعف المثقفين العرب ، والمتخصصين منهم في شتى العلوم في لغتهم العربية . وقد يصل هذا الضعف ، مع الاسف ، الى بعض المتخصصين في اللغة العربية ، وليس من مهمتنا في هذا البحث ان نستبين اسباب الضعف وطرق العلاج ، فقد اقيمت ندوات في هذا الموضوع ، ووضعت توصيات مهمة ، ولكنها مع الاسف، تنتظر طريقها الى التنفيذ . . . ولكن ما نودّ ان نشير اليه ، هو اننا لا نستطيع ان نبحت في ضعف أعضاء هيئة التدريس الجامعيين في اللغة العربية بمعزل عن ضعف طلابهم في لغتهم القومية ، وبمعزل عن اسباب الضعف المتراكمة في تعليم هذه اللغة منذ الطفولة ، وعبر المدرسة : بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل لانستطيع ان نبحت في ضعف أعضاء هيئة التدريس باللغة العربية بمعزل أيضا عن ضعف الطلبة الجامعيين في هذه

اللغة .

وهكذا لابد من اعادة النظر بصورة جذرية في تعليم اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة ، من حيث اساليب تدريس اللغة العربية ، واستخدام التقنيات الحديثة في التربية ، ومن حيث الكتاب المدرسي ، مادة وطباعة واخراجا ، ومن حيث المنهاج في مرونته وشموله وقابلياته لمسيرة حجم المعارف الاساسية المتسارعة في نموها ... وقبل ذلك كله ، العمل على اعداد المعلم الناجح اعدادا خلقيا وعلميا ومهنيا .

ان مرحلة الاعداد الاولى هذه تتطلب ، من حيث الاساس ، رعاية اللغة العربية في مراحل الطفولة ، نطقا وتعبيرا وتذوقا ، وان تكون هذه الرعاية احدى المرتكزات الاساسية التي تقوم عليها سياسة الدولة التربوية . فلو القينا نظرة على مدارسنا الابتدائية والاعدادية والثانوية ، في الاقطار العربية التي درجت على التعليم باللغة العربية في جميع هذه المراحل ، ومنذ خمسين عاما تقريبا ... وسألنا انفسنا : هل نحن نعلم حقيقة باللغة العربية في هذه المراحل ؟ ونحن اذ نتحدث عن اللغة العربية لانعني بطبيعة الحال سوى اللغة الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، العامل الابدي في وحدة امتنا ووجود كيانها .

وفي الجواب عن هذا السؤال ، نسارع فنقول : مع الاسف كلا ، فان اللغة التي نعلم بها جميع المواد في هذه المراحل المعربة قانونا وعرفنا ، هي خليط من اللغة الفصيحة والعامية ؛ وقد يتعدى الامر ذلك في بعض الاحيان ، لكي نرى مدرسي اللغة العربية يدرسون (النحو) باللغة العامية ، او بهذا الخليط المستهجن من المفردات والتعابير ... فرعاية اللغة العربية في المراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والاعدادية والثانوية ، والاهتمام بتطوير برامجها التدريسية ووسائلها التعليمية ، ضرورة اساسية ، يجب ان توضع في مقدمة الموضوعات التي يجب ان

تهتم بها الدولة في سياستها التربوية والتعليمية . ولا شك أن العناية باللغة العربية على هذه الشاكلة ، واستخدام اللغة الفصيحة في تدريس جميع المواد ، وفي تلك المراحل التعليمية التي تسبق التعليم الجامعي ، ضرورة أساسية في البناء اللغوي السليم لجميع الذين ينهون الدراسة الثانوية ، سواء منهم الذين يخرجون للحياة العملية أم أولئك الذين يلتحقون بالمعاهد المهنية أو الجامعات .

فالاعداد اللغوي في هذه المرحلة قبل التعليم الجامعي ، يشكل الأساس المهم في تأهيل هؤلاء الذين سيواصلون دراساتهم ، وبالتالي يصبحون في المستقبل الهيئة التدريسية في الجامعات . ونحن نولي هذه المرحلة أهمية كبرى في الاعداد اللغوي ، وذلك لأهمية المرحلة التربوية التي يجتازها الفرد في تكوينه العقلي والعاطفي ، ولأن بعض هؤلاء النابهين قد يلتحقون مباشرة بجامعات اجنبية في الخارج، حيث يحصلون على جميع درجاتهم العلمية . وفي مثل هذه الحال يصبح إعدادهم اللغوي حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ركيزة سليمة في نقل العلوم والمعارف التي يتعلمونها باللغة الأجنبية الى اللغة العربية .

أما المرحلة الثانية في الاعداد اللغوي لأعضاء هيئة التدريس ، فتتمثل في التركيز على ضرورة رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ، وذلك عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تدريسية لتعلم اللغة ، والتركيز على قواعدها الأساسية ، وجعل محور هذا البرنامج الممارسة الفعلية في مجالات التخصص العلمي بكفاية وفعالية . فمعظم أعضاء هيئة التدريس سيكونون ممن أنهوا دراساتهم الجامعية الأولى في جامعات عربية ، وحصلوا على درجاتهم الجامعية العليا المتخصصة من جامعات اجنبية . ولذا فإن الاهتمام برفع مستوى الطالب الجامعي ، بصورة عامة ، باللغة العربية ، هدف أساسي يجب أن تحققه جامعاتنا العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا التعليم الجامعي هو الذي يُبَدِّ التعليم الاعدادي والثانوي ، غالبا ، بالمدرسين . ومن هنا نرى مدى العلاقة الجوهرية بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي والعالي ، ولاسيما في مجال التعريب والعناية باللغة العربية .

فالتعريب ، من حيث هو استخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع العلوم ، والعناية باللغة العربية السليمة ، من حيث الممارسة وفهم قواعدها النحوية والصرفية الأساسية ، واستيعاب متطلباتها كل ذلك يكوّن وحدة متكاملة توَمِّر للطالب الجامعي الحد الأدنى لفهم الحقائق العلمية ، وإدراك المعارف المختلفة ، والتعبير عنها بسهولة ويسر . وفي جميع الأحوال ، نحن نعتقد أن دراسة النصوص العربية المختارة يجب أن تكون محور هذه الدراسة في جميع الكليات والأقسام العلمية .

ونحن في هذا البحث لا نريد أن نعالج جزئيات هذا المنهاج الذي يمكن أن يكون أساسا في النهوض بمستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ؛ ولكن من المفروض أن تحدّد الجامعة مستوى معيناً في اللغة العربية يجب أن يجتازه جميع طلبة الجامعة ، مهما كانت تخصصاتهم . ولا شك أن مثل هذه الدراسة لن تكون هامشية ، بل يجب أن تؤدي إلى رفع مستوى الطلبة العلمي ، وزيادة كفاياتهم في فروع تخصصاتهم ؛ فقد يَشْتَرط كثير من الجامعات العريقة في البلاد المتقدمة ، عند استخدام عضو هيئة التدريس ، أن يجتاز مستوى معيناً في اللغة التي سيدرس بها . وما أحوجنا في الجامعات العربية إلى تطبيق هذه السياسة ، على أن ندعمها بتنظيم برامج معينة في الدراسات العليا تهدف إلى تأهيل عضو هيئة التدريس الجامعي المرتقب ، لكي يصبح قادراً على استخدام اللغة العربية في مجال تخصصه ، تدريساً وبحثاً وتأليفاً ، وأن يؤخذ هذا البرنامج بالتقدير والاعتبار عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا في اثناء الخدمة

ربما يمضي وقت طويل قبل أن نصل الى تحقيق اهدافنا في مختلف المراحل التعليمية : قبل المرحلة الجامعية منها ، وخلالها ، وما يتبعها من دراسات عليا . وليس في مقدورنا أن نضمن ، في المستقبل المنظور ، ان اية نسبة كبيرة من طلاب الدراسات العليا سيستفيدون من هذه البرامج والخبرات للتأهيل باللغة العربية . ومهما يكن من أمر ، فان الحقيقة الواقعة تنبئ بأن نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات في الوقت الحاضر ، ولوقت قد يطول في المستقبل ، ستكون من هؤلاء الذين قد تم استخدامهم في الكليات والمعاهد والجامعات . واذا انطلقنا من واقعنا المرير ، حيث يشكو أعضاء هيئة التدريس من الضعف في اللغة العربية ، فاننا نخلص الى القول : انه من الواجب ، مع البدء بعملية التعريب عن طريق الممارسة الفعلية ، أن تقوم كل جامعة ، بل كل كلية وكل قسم مختص فيها ، بتخطيط برنامج يكفل رفع مستوى أعضاء هيئة التدريس في اللغة العربية ، وتدريبهم اثناء الخدمة ، لكي يتمكنوا من استعمال العربية لغة للتدريس والبحث العلمي .

لقد اشترطت معظم الجامعات ، عند تعيين عضو هيئة التدريس فيها ، أن يكون حاصلًا على شهادة الدكتوراه في مجال تخصصه ، ثم وضعت شروطًا معينة في الانجازات العلمية والبحث العلمي من أجل الترقية من مرتبة الى اخرى ولكن أمام حجم المعارف الأساسية الذي يتزايد كل يوم ، وأمام هذا التسارع الهائل في تطور العلوم ، ولاسيما العلوم التطبيقية والنظرية البحتة ، باتت الجامعات والمؤسسات العلمية مدعوة لان تخطط برامج محددة ، موجهة لأعضاء هيئة التدريس ، من أجل تجديد معلوماتهم وزيادة فعاليتهم ، وأن لا تترك هذا الموضوع الخطير لقواعد وشكليات جامعية قد تجاوزت مرحلتها التاريخية . ففي الوقت

الذي تشير فيه الاحصائيات ، مثلا ، الى أن بعض العلوم الهندسية تتبدل كليا كل عشر سنوات ، وأخرى كل خمس عشرة سنة ، ولا تستطيع هذه الجامعات وتلك المؤسسات العلمية أن تقف جامدة في اطار قواعد وانظمة قد تجاوزها الزمن . هذا كله يستلزم عملية دؤوبا هادفة ، من شأنها أن تجعل أعضاء هيئة التدريس يسايرون التطورات الجديدة والنظريات العلمية الحديثة في مجال تخصصاتهم ، وبالتالي تؤدي الى تعديل مستمر للمناهج ، وتبديل مبدع للكتب المعتمدة في جميع هذه العلوم .

ان من ضرورات الثورة العلمية المرتقبة أن تتجاوز جامعاتنا العربية هذا الاطار التقليدي من القواعد والأنظمة ، التي أخذ معظمها تقليدا لجامعات اجنبية قد تجاوزت ظروفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وان ماتطبقه من هذه التركيبة يأتي في كثير من الاحيان مشوها لا هوية له . وكيف يمكن للتقليد أن يرقى الى درجة الاصاله ، حتى لو حسنت النيات واخلص القائمون على التنفيذ . فلا بد للجامعات العربية اذن ، من أجل قيامها بدورها التاريخي في نهضة هذه الأمة ، من أن تخطط وتنفذ ، بفعالية وبمستوى رفيع ، برامج علمية ولفوية وتربوية تهدف الى تهيئة أعضاء هيئة التدريس الجدد في الجامعة ، من ناحية ، والى نموّ مزدهر ومستمر لقدرات أعضاء هيئة التدريس القدامى من جهة أخرى . ولا شك ان هذا الوضع هو ترجمة عملية لمفهوم التربية المستمرة ، او الدائمة ، في عصر هذه الثورة العلمية . وان هذه الحياة العلمية المتسارعة فسي نموها وتطورها لا يمكن أن تكتسب أصالتها في امتنا العربية إلا من خلال لغتنا القومية .

وفي هذا الاطار من التخطيط الشامل للتدريب المستمر في اثناء الخدمة الجامعية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، يأتي دور وضع برنامج مستمر لتأهيل أعضاء هيئة التدريس كي يصبحوا قادرين على

التدريس والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية في أثناء خدمتهم . ونحن نعتقد أن مثل هذا البرنامج يجب أن يُعدَّ إعداداً على أسس علمية سليمة ، وفق ما وصل اليه العلم الحديث في النظريات اللغوية والتربوية ؛ وإن التطور السريع في وسائل التقنية لتعليم اللغات ، لابد أن يغني هذا البرنامج ، ويزيد من فعالياته وحيويته .

وربما كان من الواجب أن يركز التخطيط لهذا البرنامج على منطلقات تمثل سياسة تربوية ثابتة للدولة ، في مبدأ جعل اللغة العربية لغة البحث والتدريس في التعليم الجامعي في مختلف مستوياته ومجالاته . وأن كل خطة تهدف الى التدريس باللغة العربية، وتهيئة عضو هيئة التدريس علمياً ونفسياً ، وتدريبه المستمر في أثناء الخدمة ، يجب أن تحقق ما نصبو اليه من المستوى العلمي الرفيع الذي نريد ايصال الجامعيين اليه . وانطلاقاً من مفهومنا الشامل لعملية التعريب ومقوماتها الأساسية المترابطة ترابطاً عضوياً ، نرى ان هذا البرنامج يجب ان يتّجه الى مجالين رئيسيين : فالمجال الأول يخصّ عضو هيئة التدريس بصورة تآسدة، والمجال الثاني يخص الوسائل والامكانيات التي تشكل البيئة العلمية الخصبة لعملية التعريب ، ومن دونها فان فعاليات عضو هيئة التدريس تبقى جامدة محدودة .

يهدف البرنامج في المجال الأول الذي اشرنا اليه ، الى تنظيم دورات مركزة في اللغة العربية ، والقاء محاضرات خاصة بالتعريب والمشكلات اللغوية ، وتتناول القواعد الأساسية في النحو والصرف ، والوسائل اللغوية التي تمكّن عضو هيئة التدريس من اختيار الالفاظ المناسبة للمفاهيم والمصطلحات العلمية ، وضعا أو استنباطاً أو تعريباً ، بالمعنى الاصطلاحي الضيق للتعريب، ولا شكّ ان من أهم هذه الوسائل اللغوية التي لابد من أن يركّز عليها هذا البرنامج ، هي الاشتقاق بأنواعه، والابدال

والقلب ، والمجاز ، والنحت ، والتوليد ، والترجمة ، وكذلك التعريب ، سواء اكان بصياغة اللفظ بالنقل الصوتي الى العربية مع تحريف فسي الحروف والحركات والاوزان ، لتتناسق وباقي الالفاظ العربية ، أم بصياغة اللفظ بأصواته الاعجمية كما هي

وان تنظيم الندوات والحلقات الدراسية كي تناقش فيها جميع مشكلات التعريب ، والقضايا المهمة التي يواجهها اعضاء هيئة التدريس ، وايجاد الحلول المناسبة ، يشكلان جزءا مهما من معالم هذا البرنامج . وان استعمال وسائل التقنية المتطورة في التعليم ، يجعل هذا البرنامج يسرا واكثر فعالية ، وذلك مثل استعمال الافلام العلمية المتخصصة ، وكذلك الافلام الراجعة (الفيدوتيب) والشرائح ، والكتب العلمية المبرمجة ، وغير ذلك من الوسائل الحديثة . فان تسجيل محاضرة علمية باللغة العربية واعيدتها للدراسة وملاحظة الاخطاء التي اقترنفا عضو هيئة التدريس في برنامج التدريب ، لهي وسيلة فعالة في التصحيح الذاتي وتنمية القدرة اللغوية السليمة وهكذا فالنقاش المفتوح والحلقات الدراسية والتطبيق ، واستعمال التصوير المتلفز ، من أجل تقويم الأخطاء ، تشكل بنودا مهمة في برنامج تأهيل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام اللغة العربية .

إن تصميم هذا البرنامج يجب ان يتخذ من النص محورا اساسيا لجميع فعالياته ، وان اختيار هذه النصوص عملية في غاية الاهمية بحيث توفر للدارس روافد لغوية مهمة في مجال تخصصه العلمي ، فضلا عن فصاحة اللغة وجمال الاسلوب . ومن خلال هذه النصوص والصادر العلمية المختارة من التراث العربي ، يستطيع عضو هيئة التدريس أيضا ان يربط العلم الحديث بجذوره التاريخية التي تمتد عميقة في هذا التراث العربي ، ليحقق بذلك انطلاقة الاصاله العلمية الى جانب الاثراء اللغوي في التعبير

والمصطلحات .

ودون أن نخوض في دقائق هذا البرنامج، ومجالاته العلمية واللغوية، نقول : إنه من الضروري أن يُعنى^{٥٥} بغير الترجمة عند عضو هيئة التدريس، لأنه في حقيقة الأمر مترجم ماهر سواء اكان ذلك في إعداد محاضراته ام في التأليف والترجمة العادية . وانه من المهم أن يعرف عضو هيئة التدريس اللغة التي يُترجم عنها معرفة دقيقة، وكذلك معرفة اللغة التي يترجم إليها؛ فضلا عن معرفة دقيقة لمجال تخصصه العلمي، وهو موضوع الترجمة . فالترجمة ليست قضية لغوية فحسب ، ولكنها من حيث الجوهر تتعلق باختصاص وبمضمون معين ، يختل فيه صاحب الاختصاص العلمي المكانة الأولى، حيث تتضح له وحدة حقائق العلم ودقائقه . ولذا فمن الواجب ان نضع المعجم المختص في موقعه الطبيعي ، إذ لا يكفي ان يلجأ المترجم ، أيًا كان، الى معجم مختص ؛ فما يذكره المعجم المختص لا يفهمه سوى صاحب الاختصاص . ومن هنا نريد أن نقرر ان اللغوي غير المختص، لا يمكن ان يكون إلا عاملا مساعدا في عملية التعريب والترجمة . ولعل من اعظم الخدمات التي يمكن ان يقدمها اللغويون في هذا المجال ، وضع كتاب شامل في اللغة والنحو والصرف ، ليستطيع المثقف العربي ، كما يستطيع عضو هيئة التدريس المختص في اي علم من العلوم ، ان يعود إليه بين الفينة والفينة، من اجل تقويم وزن او تصحيح تركيب لغوي او نحوي . وان كتاب المرشد في اللغة يجب ان يوجّه لمعالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي يمكن ان تواجه المثقف العربي في حياته العلمية، وذلك من خلال نصوص ادبية وعلمية حيّة .

وطالما نحن بصدد الحديث عن (النصوص) العلمية : التقديم منها والحديث ، نجد من الواجب أن نشير الى قضية فرعية ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية، وهي ضرورة « الشكل » ، ولا سيما في النصوص

العلمية باللغة العربية .

فأسلوب التعبير العلمي يقتضي اثبات حركات الحروف في نهايات الكلمات ، حتى ننقل المفاهيم العلمية بدقة الى القراء ، كما ان اثبات حركات بدايات الكلمات واواسطها يمنع اللبس ، واحتمال التحريف .

واما المجال الثاني الذي اشرنا اليه سابقا ، فيما يخص البيئة العلمية الخصبه المؤاتية لعملية التعريب، وبالتالي لفعاليات أعضاء هيئة التدريس ، فانها تتمثل في القضايا الرئيسية التالية :

اولا : انشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة ؛ كان يكون هنالك مركز للطب وآخر للهندسة ، ومركز للكيمياء ، وآخر للفيزياء ، وكذلك للرياضيات، وهكذا ويهدف كل مركز من هذه المراكز الى جمع الاعمال العلمية ، والحصول على المعلومات والنشرات من مجلات متخصصة ودوريات وملخصات وغيرها ، وان يقوم كل مركز بتصنيف هذه المواد ووضعها في فهارس متعددة الاساليب والاعراض ، بحيث يحصر كل ما كُتِب ، بمختلف اللغات عن موضوع علمي معين ، او حقل علمي في العالم اجمع ؛ ذلك لان ارشاد هذه الفهارس الى مصادر المعلومات ومراجعتها وحجمها ومكان وجودها، يساعد أعضاء هيئة التدريس والباحثين العلميين مساعدة كبيرة. ومن دونها فإن كثيراً من الوقت والجهد يذهب سدى ؛ هذا فضلا عن بقاء أعضاء هيئة التدريس يدورون في مجالات ضيقة وضمن امكانيات محدودة .

ثانيا : انشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، تكون مهمته نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية ، فيوفر المصادر والمراجع العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات على مختلف مستوياتها . ونحن نرى ان من واجب مثل هذا المركز ان يقوم بتعريب العلم

والتقنيات الحديثة ، كما ذكرنا ، لا مجرد ترجمة هذا الكتاب أو ذاك .

وهنا لابد من أن نشدد على ضرورة وجود التعاون التام والتنسيق الكامل بين هذا المركز الرئيسي وبين المراكز العلمية المتخصصة، والجامعات، والمؤسسات العلمية، ومجامع اللغة العربية، من أجل وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والتقنية ، وتغطية ما يُستحدث منها . فقد دلت الإحصاءات التي بين أيدينا على أن عدد المصطلحات التي تُستحدث كل عام يربو على عشرين ألف مصطلح .

وإن تعريب هذه المصطلحات العلمية المتسارعة في نموها ، لا يوازيه في الأهمية الاقضية توحيدها في الوطن العربي ، لئلا تنشأ لغات علمية مختلفة نتيجة استعمال مصطلحات علمية مختلفة ؛ وفي هذا ما فيه من خطر كبير .

لقد باتت الحاجة ملحة لإقامة مثل هذا المركز الرئيسي ، وإذا أردت أن أحدد هذا المشروع ، أجدني أقول : ولماذا لا تبنى، مثلاً ، دولة من الدول ذات الامكانيات المادية الهائلة ، موضوع تأسيس جامعة دون طلبه ، تُطلق عليها اسم « جامعة التعريب » تحشد فيها خيرة العلماء المتخصصين ، لفترات دورية ، وتكون مهمتهم نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية؟! وفي رحاب هذه الجامعة العتيدة تعقد المؤتمرات واللقاءات بين المتخصصين لبحث مشكلات التعريب التي يواجهونها في اثناء ممارساتهم الفعلية المبدعة، سواء منها ما يتعلق بالمصطلحات أم بالمصادر العلمية أم غيرها . ان جامعة مثل تلك المقترحة ، ستدخل التاريخ الثقافي والعلمي لهذه الأمة من أوسع ابوابه ؛ هذا مع العلم أن مجالها الحيوي ، سيكون الوطن العربي كله في جميع أقطاره ، في جامعاته ومؤسساته العلمية

وظلابه وعلماهه ، ولاءسبما أن من بعض أوجه نشاطها العلمى ، اصءار
المءلات العلمىة والءورىاء المءصصاء للعلوم المءءلفة باللفءة العربىة
العلمىة الموءءة .

الءلاصاء :

وءلاصاء القول ان وءننا العربى مءبل ، ولاءك على ءورة علمىة ، لاءبء
من ان ءرءكز على ءعربء ءءلمى فى ءبىع مراءله ومسءوىاءه ، وءعل
اللفءة العربىة لفة ءءربىس والبعء العلمى فى ءبىع ءقول المرفة . إن
مءل هءه ءءورة العلمىة وءءلمىبىة سءكون الوسبلة الوءبءة لكى ءءءاز
امءنا العربىة وضاءها ءاضر ، ءبء ءقبع على هامس ءءضارة
الانسانىة ، لكى ءأءء ءورها فى المءاركة العلمىة الكاملة ، وبناء ءضارة
اصبلة ، ءصل ماضبها بءاضرها ، وءءءع نءو مسءبل زاهر ، فءرفء
بءصوبءها ءضارة الانسان ورقبءه ، وبءءل العلم بصورة عامة ، وعضو
هبءة ءءربىس فى المعاءء والءامعاء بصورة ءاصة ، المكائء الاولى فى
هءه النقلة ءءضارىة وفى ضوء هءا ءءطور السربى فى الوسائل
ءءقنبىة للءءلمى فى ءبىع مراءله ، سبءءء ءفببىر اساسى فى ءور أعضاء
هبءة ءءربىسىة ، من ءبء اسءءءام الوسائل ءءقنبىة ، وءءاكبء على
مسؤوبلىة الطلاب انفسهم فى عملبىة مفهوم ءرببىة المسءمرة او ءاءبىة .
ولاءبء من ءوببىه الاءءمام الى ءطوبىر كل ما من شأنه ان ببءء على ءءلم .

وان الركببزة الاساسبىة فى هءه الانءلاقاء العلمىة وءربوبىة ، سءكون
اللفءة العربىة ، من ءبء كونها اللفة ءبى سءءطبىع ان ببعبء بها الموابءن
العربى عن ءببىع ءاباءه ءءضارىة وعن كل ما بءءلمه من معارف نبى
ءببىع مراءل ءءلمى المءءلفة ، ومن ءبء كونها لفة ءءربىس الءامبى
والبعء العلمى ، ولفءة العلوم وءءقنببء ءءببىة . ونحن نبعءء ان عملبىة
ءءرببىة عملبىة مءكاملة ، ءءور ءول مءور اساسى هو المعلم بصورة

عامة وعضو هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا بصورة خاصة. ومن أهم الجوانب التي يجب أن يُعنى بها في تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يتمكنوا من التدريس الجامعي والبحث العلمي باللغة العربية، ما يلي :

١ - أن تتخذ الدولة قزارا سياسيا ، في اعلى مؤسساتها التشريعية ، بوجوب جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مراحلها : الابتدائية، والاعدادية والثانوية، والجامعية، والدراسات العليا ؛ وذلك لكي تأخذ على عاتقها الدعم المادي والمعنوي من أجل تنفيذ هذه النقلة التاريخية .

٢ - العناية التامة باللغة العربية منذ مراحل الطفولة الاولى ، وفي جميع مراحل التعليم ، وضرورة اعادة النظر في الكتب المدرسية ، والمناهج ، ووسائل التعليم ، وسياسة إعداد المعلمين ، في ضوء النظريات التربوية والوسائل التقنية الحديثة . وكذلك وجوب جعل اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس في جميع المواد ، وأن تنطلق في هذه المراحل من المبدأ القائل ان كل معلم هو معلم للغة العربية . هذا مع الحرص على شكل جميع الكتب المدرسية شكلا كاملا .

٣ - ان تفرض الجامعات ، في جميع الكليات ، مستوى معيناً في اللغة العربية يُعتبر متطلباً أساسياً لتخرُّج الطالب الجامعي في مجال تخصصه .

٤ - أن تنظّم دراسات لغوية في أثناء الدراسات العليا ، تهدف الى تمكين من ينضم اليها من ان يقوم بالبحث العلمي والتدريس الجامعي باللغة العربية ، وان يقدر من ينهي هذا البرنامج تقديراً مجزياً عند التعيين في عضوية هيئة التدريس الجامعي .

٥ - ان تُنظَّم برامج للتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة في أثناء خدمتهم ، وذلك لتأهيل أعضاء هيئة التدريس من أجل القيام بأعبائهم التدريسية باللغة العربية ، وان تشمل هذه البرامج

على القضايا الأساسية في النحو والصرف واللغة ، ومشكلات التعريب والترجمة ، وذلك عن طريق محاضرات وحلقات وندوات للنقاش المفتوح ، مع الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في مجال التعليم ، مثل التصوير المتلفز ، والنصوص المبرمجة ، والتسجيلات ، وغير ذلك .

٦ - أن يوضع في أيدي أعضاء هيئة التدريس كتابٌ خاص باللغة وقضاياها الأساسية في النحو والصرف والأساليب اللغوية ، لكي يكون مرشداً يمكن الرجوع إليه بين الفينة والأخرى من أجل التصحيح الذاتي .

٧ - إنشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة من أجل جمع الأعمال العلمية في أهم اللغات الحية وفهرستها ، لمساعدة أعضاء هيئة التدريس في بحوثهم وإعداد محاضراتهم .

٨ - إنشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، وربما كان « جامعة » دون طلبة ، حيث يُحشد فيها أهم المتخصصين والعلماء ، وتكون مهمتهم تعريب العلوم والتقنيات الحديثة ، وإصدار الموسوعات العلمية ، والمجلات ، والدوريات المتخصصة باللغة العربية ، ليكون مجالها الحيوي جميع الأقطار العربية : بجامعاتها ومؤسساتها العلمية وطلابها ، وان يُحَرَّص على أن يكون جميع منشوراتها باللغة العربية مشكولة شكلاً تاماً ؛ وذلك لأن شكل أواخر الكلمات ضرورة قصوى تتطلبها طبيعة الأسلوب العلمي الدقيق ، ولا سيما في نقل المفاهيم العلمية ، كما أن شكل أول الكلمة ووسطها يزيل اللبس . ويتحوّل إلى عادة متأصلة في الكتابة .

٩ - أن تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يستطيعوا استخدام اللغة العربية في البحث العلمي والتدريس ، لا يمكن أن يُنظر إليه إلا من خلال جميع هذه العوامل بصورة كلية ، ومن خلال الممارسة الفعلية والبدء

بالتعريب الكامل ، دون تأخير أو تأجيل .

الدكتور عبد الكريم خليفة

المصادر والمراجع

- ١ - مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية - الملتقى الاول والثاني
الحلقة الاولى : بنغازي - مايو ١٩٦١ .
الحلقة الثانية : بيروت - مايو ١٩٦٤
القاهرة
 - ٢ - المؤتمر الاول لاعداد المعلمين في المملكة العربية السعودية
٨ - ١٣ صفر ١٣٩٤ الموافق ٤/٧/مارس ١٩٧٤
 - ٣ - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي
بغداد - ٤/٧/١٩٧٨
 - ٤ - دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦
 - ٥ - جورج شهلا وعبد السميع مريلي ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية بيروت ،
١٩٦١ م
 - ٦ - عبد الله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية - حاضرها ومشكلاتها ، ومستقبلها
بيروت ١٩٧٤ م .
 - ٧ - عبد الغني التوري وعبد الغني عيود ، نحو فلسفة عربية للتربية ، ١٩٧٦ .
 - ٨ - نعيم عطية ، معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الاخيرة بيروت .
 - ٩ - علي محمد كامل ، تجربة في العلوم الهندسية ، بغداد ١٩٧٨ .
 - ١٠ - بول وودرنج ، اتجاهات حديثة في اعداد المعلم ، ترجمة الدكتور حسين سليمان فوده
القاهرة .
- PAUL L. DRESSEL, The undergraduate curriculum in higher education , Washington , 1963
- JENN THOMAS, Teachers for the schools of tomorrow, UNESCO , 1968

صناعة المعاجم والمجول الهجائي الكامل للأستاذ نجيب الإسكندر

في وسعنا ان نكتب في العربية اي لفظ بمجرد سماعه ، فالاملاء العربي سويّ ، لكنه ما هكذا هو الامر في بعض اللغات الاوروبية، حيث الإملاء اصطلاحى ؛ فلو اردنا مثلا أن نكتب في الانكليزية اللفظ « تو » لمثلت امامنا ثلاث طرق تتوقف على المعنى المقصود : too ، two ، to ، واللفظ « رايت » يمكن ان يكتب بأي من هذه الصور ، write ، right ، rite . وفي صناعة المعجم نرى العكس ؛ ففي حين يكون لكل مفردة مكانها الصحيح في المعاجم الاوروبية ، فيه يضعها المؤلف كوفيه يجدها المراجع بلا ادنى صعوبة في الحالين ، نلمس في المعجم العربي حيرة المؤلف في تعيين موضع كثير من المفردات، وحيرة المراجع في الاهتداء إليها . ويرجع الفضل في سهولة المعجمية الغربية إلى كون الجدول الهجائي عندهم كاملا .

الترتيب المعجمي

كان المعجم العربي يرتب حسب الاصول ، فيثبت كل مزيد ومشتق تحت ائلة المجرده ولم يُثر هذا الترتيب ، على تعدد الطرق في تطبيقه ، الاشباه في صلوح الجدول الهجائي المعتمد .

اما الآن ، وقد بدأ الاتجاه إلى الترتيب اللفظي الذي تُدرج فيه المفردات حسب حرزونها، كما هي الحال في دليل الهاتف ، فيصبح اكمال الجدول وشمسها ضرورة بالغة في كل عمل معجمي .

صيغ معجبية

يُدرج الفعل في المعجم العربي في صيغة الماضي باعتبارها الأصل الذي يصرف منه المضارع والأمر . ويُفترض في الفعل عند اثباته في المعجم أن يكون مطلقاً ؛ لكن جميع الصيغ الفعلية العربية مسندة، بما في ذلك صيغة فعل، وهي أبسط تصاريف الماضي، وعند الوقف تطرح هذه الصيغة الفتح لتُلفظ ساكنة . ومن الصواب أن تُؤخذ الصيغة الوقفية الساكنة هذه لتكون الصيغة المعجبية للفعل ، بسبب افتراض الصرفيين أن صيغة فَعَلْ، المفتوحة الآخر، هي الأصل، ووضَعوا قاعدة لما أسموه تبدل حركة الماضي في التصريف . لكن إن نحن افترضنا أن الأصل هو الصيغة الساكنة فَعَلْ، أدركنا أن ثمة لا فتحة تُبدل، بل سكون يلزم الفعل المطلق، وما الفتحة في الحقيقة سوى نوع من ضمير بارز متصل تدخل على الفعل المطلق لتُخصّصه للغائب المفرد، كما تدخل عليه الفتحة الطويلة (الالف) لتُخصّصه للغائب المشي، إلى آخر هذه التصاريف .

وتدرج معظم الأسماء مضمومة الآخر ومعرّفة بالأداة . والذي أراه أن وجود الأداة لا يتفق مع الترتيب المعجمي الذي يقتضي إدراج المفردة حسب الحرف الأول فيها . والأفضل، إذا ما أهملت أداة التعريف ، الاكتفاء بالضممة غير منوّنة ، فما التنوين في الواقع سوى أداة تنكير .

وكذلك هي الحال في المنقوص ، فليس ثمة من موجب لحذف الياء من آخره عند تجريده من أداة التعريف . وقد درج نفر من الثقات على الاحتفاظ بياء المنقوص في كل حال .

ونظراً لإهمال علامات الحركة والتنوين في الكتابة اليدوية وفي الطباعة اليومية، جرّت العادة بزيادة الالف بعد تنوين الفتح فلا تهمل ، لأن الجمهور يعدّها جزءاً من أحرف الكلمة .

لكن هذا الحرف الذي لا تيمة املائية له، وما كان القصد منه سوى

التعويض عن علامة التنوين، من شأنه الإخلال بالترتيب المعجمي . اكتفى
بمثال واحد : ابدٌ ، ابدٌ (ابدأ)؛ ففي الترتيب الهجائي الصحيح تجيء ابدٌ قبل ابدٌ ،
لأن الفتحة تسبق الضمة ، لكن زيادة الالف تقضي بعكس هذا الترتيب .
على هذا يُستحسن الاستغناء عن الالف في طبع المعاجم الكاملة
التشكيل، اكتفاءً بعلامة تنوين الفتح، كما هو الحال في الأسماء المقصورة
والممدودة والمنتبهة بتاء التانيث ، فهذه كلها لا تزداد عليها الالف في أي حال .
وهكذا يمكن أن يتوفر للمعجم صيغ مائة : الفعل الماضي ساكن
الآخر، والاسم نكرةٌ غير منوّن، والمنقوص كاملاً، والمنسوب مجتزأ بعلامة
التنوين دون الف .

الحروف

إذا حللنا النطق البشري، لاحظنا أنه يتألف من أصوات متتابعة
يختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسياً ؛ كما نلاحظ أن الصوت الواحد
يقف أحياناً بمجرد نطقه، لكنه في أحيان أخرى يظلّ يتردد بعض الوقت،
متخذاً في ترده اتجاهات متباينة . وتسمى مدة التردد واتجاهه بالحركة .
ويمكن أن نشبّه الأصوات بالجواهر، والتردد الذي يصحبها أحياناً
بالعرض .

وقد اقتصرَت الأشكال الأولى التي وضعها الإنسان للرمز اللفظي
الأصوات على إظهار الاختلافات الأساسية في وقع الأصوات على الأذن ،
مثل الاختلاف الذي نحسُّ به بين صوت اللام وصوت السين .

لكنَّ الإنسان يتعذَّرُ عليه أن ينطق كلاماً مؤلفاً كله من أصوات ينتهي
كل منها عند نطقه، فبدأت المحاولات لابتداع أشكال ترمز إلى تردد الأصوات،
واتجاهات هذا التردد .

وفي حين تُعرف الأشكال التي ترمز إلى الأصوات بالحروف الصامتة،
فقد اصطلح على تسمية الأشكال التي ترمز إلى الحركات بالحروف

المصوتة .

وقد عُدَّت بعض الشعوب الى اظهار كلِّ حرف صامت بأشكال مختلفة ترمز الى أنواع الترددات التي يتخذها هذا الحرف في الكلام . وتمثل هذه الطريقة القصور - قصور الأقدمين - عن ادراك الحركة عنصراً إضافياً يمكن ، رغم لطافته ، الرمز إليه بشكل خاص به . ويظهر أثر هذه الطريقة في اللغات الأوروبية ، إذ صوّروا الهمزة بعدة اشكال ليدلوا على مختلف الحركات في نطقها a e i o . لكنهم عندما جاء دور الحروف الصامته الأخرى، تركوا الحرف على حاله واتبعوه ، إظهاراً لحركته ، بالأشكال التي رمزوا بها الى الهمزة متحركة .

وهكذا صار لأشكال الهمزة وظيفة مزدوجة ، فهي تُلفظ همزة متحركة اذا جاءت بداية مقطع، وتكون مجرد حركة عندما توضع بعد أي حرف صامت آخر .

وتحتفظ العربية بظاهرة من هذا النوع ؛ فما الحالات التي تُكتب فيها الهمزة فوق الألف او الواو او الياء، إلا أثراً من هذه المحاولة للرمز الى الصامت متحركاً بتبديل شكله .

لكن، في حين فقدت الهمزة في اللغات الأوروبية اسمها ورسمها الخاصين، ولم يبق منها سوى اللفظ ، فإنها في العربية تحتفظ ، بالإضافة الى لفظها ، باسمها، وتتوَّج جميع الأشكال التي تتخذها بعلامتها المميزة ، بل إنها في بعض الحالات تظهر مجردة من أي شكل إضافي .

الحروف المصوتة

ومن جهة أخرى، فعندما أرادوا في العربية اثبات الحركات، استعانوا، كما رأينا في اللغات الأوروبية ، بأحرف صامته هي ، فضلاً عن الهمزة، الواو والياء . ولم يكن اختيار هذه الأحرف الثلاثة بدون مبرر من قواعد التصريف .

ويسمى الحرف الأول في العربية والمغات الأخرى بالالف، ومن هنا عُرِفَتْ حروف الهجاء بالالف باء • لكنه في العربية يسمى أيضا ، بوصفه صامتاً ، بالهزة . وعندما صار هذا الحرف يُرْمَزُ الى الفتح، سُمِّيَ الفتح بالالف . وخطر للبعض بعد مدة ان يزحزحوا الفتح عن موضع الصدارة منعا للالتباس، ولقصورهم عن تصوّر الحركة في شكل مستقل، عمدوا الى حرف صامت آخر هو اللام فكانت اللام الفاء .

وفي اللغات الأوروبية تظهر الحركات بجميع انواعها واقدارها في شكل حروف تتلو الصامت . ولم يدوّن في العربية سوى حركات ثلاث . ولما كانت الاحرف التي اختيرت لظهار هذه الحركات لا تبين قدر الحركة، جعلوا يشيرون الى الحركة القصيرة بالنص عليها؛ (فتح فسكون فضم) . واخيرا فطنوا الى اظهار الحركات القصيرة شكلا فوق الحروف الصامته أو تحتها .

وقد ترك التأخر في اظهار الحركة القصيرة ما نراه في ضبط الفعل الناقص وبعض حروف المعنى، مثل متى ، إذا ؛ فالحركة هنا قصيرة، ولما لم تكن قد وُجِدَتْ بعد طريقة لظهار الحركة قصيرة، ضُبطت هذه الفئة من الكلمات بالفتح الطويل .

إن وضع الحركات القصيرة بصورة شكلا تختلف عن الحروف، شاهد على احساس واضعها بأن الحركة من عنصر آخر غير عنصر الصوت في حد ذاته . ونحن نرى مثل هذا في تدوين الموسيقى، فبينما يُرْمَزُ الى انواع النغمات بموضعها من المدرج، يُرْمَزُ الى الأزمنة التي تستغرقها بعلامات خاصة .

على أن هذه الطريقة البارعة في اظهار الحركة القصيرة لم تضمّن لهذه الحركة من الحرمة ما للحركات الطويلة التي تظهر في شكل احرف . ففي الكتابة والطباعة غالبا ما تهمل الحركة القصيرة، فمتجيء الكتابة سهلة، لكنها

عذيمة الضبط .

وفي الصرف العربي يختلف دور الحركات القصيرة عن دور الطويلة . لكن في علم الأصوات فالنوعان يجتمعان في مفهوم مشترك، هو ما يسمى في اللغات الأوروبية بالفاولز . ولسنا نجد في العربية لفظة مقابلة ؛ ففي حين تُعرّف الحركة الطويلة بحروف العلة، أو حروف المد، تُعرف القصيرة بالحركات أو بالشكلات. ويمكن وصف الفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة بأنه كمي لا كيفي ؛ فالفتحة والضمّة والكسرة لا تختلف عن الألف والوار والياء، إلاّ بأنها أقصر تردداً : نام لم ينم ، يقول لم يقل ، يبيع لم يبع .

ولما كانت الحركات جميعها من طويلة و قصيرة كجزء أساسي من بنية الكلمات متمما للحروف الصامتة، فإن الجدول الهجائي لا يكون كاملاً ومعتداً إذا لم يشمل الحركات .

وعلى الرغم من الاختلاف في الشكل بين الحركات الطويلة والقصيرة، وعدم توأمة اسم مشترك، فقد فطن الأقدمون الى الصلة بين كل حركة قصيرة والحركة الطويلة المماثلة لها في الاتجاه، واسموا هذه الصلة بالمؤافقة .

وقد حاول الفيومي؛ كما يقول في مقدمة « المصباح »، ترتيب هذا المعجم بتتبع الحركات القصيرة على الحرف الواحد قبل الانتقال الى الحرف التالي، لكنه عدل عن هذا الترتيب لما بدا له من وعورته . ويمكن أن نعرف هذا الترتيب، الذي حاوله هذا اللغوي الثبت، بنظام الشوط الواحد؛ وهو المتبع في المعاجم الأوروبية . لقد جاءت الفكرة قبل أوانها . ولا ريب في ان تكون هي المتبعة لو أُعطيت الحركات القصيرة شكل حروف سوية .

وفي الوضع الحالي ليس أمامنا سوى مواصلة نظام الشوطين: تناول المفردة، وتتبع الحركات على حروفها واحدا واحدا قبل الانتقال الى المفردة التالية .

الكتابة المنفصلة :

من المرجح أن رموز الأصوات الكلامية، التي نسميها الحروف الهجائية، وُضِعَتْ أول ما وُضِعَتْ منفصلة . وكان هذا النظام ملائماً لوسائل الكتابة المستعملة آنذاك، كالنقش في الحجر، أو الخط على الفخار . وما تزال لغات كثيرة تُكْتَبُ بحروف منفصلة ولا تعرف الوصل أبداً . وفي العربية نفسها، الفصل غير شامل، فثمة مفردات لا تتصل حروفها في حال : اداري ، ارادات .

وتطوّرت وسائل الكتابة، فظهر الورق والقلم، الأمر الذي اقتضى وصل الحروف . وقد بدأت الآرامية هذا الاتجاه، وتبعتها العربية . بل إن الأوروبيين أوجدوا نمطاً متصلاً من الحروف للكتابة بالورق والقلم .

لقد استلزم وصل الحروف العربية تعديل أطرافها، مما شوّه أحجامها، وقُلِّل من الفروق بين أشكالها؛ الأمر الذي اضطر معه إلى الاستعانة بالنقط للتمييز بينها، وحال دون ابتداء حروف جديدة ترمز إلى الحركات القصيرة، فُرِّسَتْ هذه الحركات بصورة أشكال .

ورغم تقبُّل المطبعة للحروف المنفصلة، فقد تمسك الطابعون بالحرف المتصل، واخذوا يكيّفونه للتضيد الطباعي، متجاهلين الدعوات القوية التي ظهرت بُعيد دخول المطبعة لاستعمال حروف منفصلة في الطباعة .

وفي سنة ١٩٤٧ دعا مجمع القاهرة ، وكان اسمه إذ ذاك مجمع فؤاد الأول ، إلى مسابقة لتيسير الكتابة العربية ، فكان اقتراحي فصل الحروف في الطباعة، واعطاء الحركات القصيرة أشكال حروف عادية، على غرار الحركات الطويلة، وتسوية مشكلة الهزة ؛ لكن المجمع قرّر في نهاية الأمر حفظ جميع المقترحات التي وردت إليه .

وبعد مدة من مسابقة المجمع، عاد إلى لبنان المغترب نصري خطّار ،

وعرض آلة تنضيد تُسبِك الحروف منفصلة . لكن هذا الحدث لم يُلقَ في حينه ما يستحقُّ من الأقبال لدى اوساط الطبع والنشر . وحين شُرِعَ صانعو الحاسبات (الكومبيوتر) يُدخلون الحروف العربية، فضّلوا الحرف المنفصل، وبذلك بدأت الحروف المنفصلة تغدُّ مسيرتها الحالية .

مميزات فصل الحروف

ان فصل الحروف في الطباعة، فضلا عن فائدته في تبسيط عملية التنضيد الطباعي وتسهيل تعلم القراءة، سيكون من شأنه التمكين من تحويل الحركات القصيرة من علامات ثانوية الى حروف عادية، ويجاد ما يعرف بالحرف الكبير (كابيتال) للعناوين وباديات الجمل واسماء الاعلام، ووضع جدول عربي مقابل لجدول IPA يرمز الى الأصوات غير المعروفة في العربية، بقصد ضبط المفردات الاجنبية .

وفي صناعة المعجم خاصة يمكن ، عند فصل الحروف ، ايجاد مخرج عملي لمشكلة تتبلُّ الحرف الواحد لأكثر من حركة : ففي العربية افعال واسماء يصحُّ ان تُلفظ الواحدة منها على عدّة وجوه من حيث السكون والحركة الطويلة او القصيرة، والتخفيف والتثقيل بدون اي تبدل في المعنى؛ اكتفي منها بمثال واحد هو: اصبح؛ فإن كلاً من الهمزة والباء تقبل ايا من الحركات الثلاث . ويتم اثبات هذه الحالة في المعاجم عادة إما بتكرار ادراج المفردة بمختلف الحركات، او باظهار الحركات جميعها دفعة واحدة على الحرف، او بالنص أنّ الحرف ثلاثي الحركة . ولو قُصِلت الحروف لتيسر وضع رموز خاصة في شكل حروف (حركات) لهذه الحالات .

ثم ان الحروف المنفصلة تفوق بقوتها التدوينية الحروف المتصلة، وهذا يجعلها اشد ملائمة للمعاجم . ونلاحظ في « مختار الصحاح » للرازي ، الذي طبع قبل سنوات في القاهرة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الظاهر النسيكي، ان المفردات، ككلمة « منفصلة » فكان هذا .

أستاذين جليلين من المدرسة التقليدية تعبيراً عن ادراكهما تطلب المعجم للحروف المنفصلة .

النمط

لدينا الآن نمطان من الحروف المنفصلة : نمط خطار الذي سار على أساسه الكمبيوتر ، والآخر هو الحروف المطبعية كما تظهر منفصلة في الحالات التي لا تقبل الوصل .

لكن يبدو عند التأمل ان هذين النمطين كليهما غير صالحين للطباعة؛ فقد اكتفى خطار بالفصل الجسماني بين الحروف المتصلة، ولم يحاول ايجاد نمط خاص من الحروف المنفصلة ، ولهذا جاءت حروفه مستهجنة؛ أما الحروف المنفصلة أساساً في الطريقة المتصلة، فانها لو صُفّت لتؤلف كلمات وسطوراً لبدت متنافرة عاطلة من الجمال .

لقد اكتسبت الحروف المتصلة جمالها من توفر اجيال بعد اجيال من الخطاطين على تطويعها وتحسينها ، ولا شك ان في وسع الخطاطين اليوم ان يبتدعوا اطرزة مختلفة من حروف منفصلة تتسم بالبساطة والوضوح، والتمايز فيما بينها، والجمال الاخاذ .

الجدول الهجائي

يمكن تشبيه الأسلوب الصحيح في الترتيب المعجمي بطريقة ترتيب الأعداد ؛ فالذي يحفظ جدول الأحاد، ويعرف كيف تُكتب بهذه الأرقام العشرة مختلف الكميات، يستطيع، حتى دون إلمام بالعمليات الحسابية، ان يرتب أي مجموعة من الأعداد حسب قيمها الكمية .

وفي الجدول الهجائي، الموضوع هو الأشكال التي تُستعمل في تدوين الأصوات على اختلافها . ويعرف هذا الباب من قواعد اللغة الذي يعالج الجدول بـ « الرسم »، وهو مستقل بطبيعته عن الصرف، وادخال أي اعتبار

صرفي من شأنه الاخلال بقواعده .

لقد مرّ الجدول الهجائي العربي بأنواع من الترتيب، منها الأبجدي، ومنها الترتيب الصوتي الذي يتمثل في تقاليد « كتاب العين » . أما الترتيب الحالي فيقوم على اساس اشكال الحروف؛ ويبدو مع ذلك ترتيباً عملياً . على انه لكي يصحّ اعتماد هذا الجدول بصورة مضبوطة في اي عمل معجمي، وفقا لاملء المفردات، ينبغي ان يشتمل على جميع الاشكال المستعملة في الكتابة من حروف وحركات ؛ ذلك ان المفروض ان يجد المراجع جميع هذه الاشكال في الجدول، ويتبين موضع كل واحد منها، ليستطيع ان يجد المفردة في المعجم في سهولة .

الهمزة

تعرف الهمزة احيانا باسم الالف، وتظهر في بداية الكلمات مركبة على الالف؛ بل انها كثيرا ما تُكتب بصورة الف خالية من سمتها الخاصة . وعندما ترد في كلمة متبوعة بالالف، يبدل شكلها وتوضع فوق الالف، وتسمى مذة . وفي حالات اخرى تظهر الهمزة مركبة على الواو او الياء . وفي التصريف، فانها تشارك الحركات فيما يسمى بالاعلال . كل هذا اسبغ على هذا الحرف الصامت السوي شيئا من الابهام، واقتضى وضع قواعد لكتابه .

لقد ادى وصل الحروف في الكتابة الى شيء من التعديل في شكل كل حرف، حسب موضعه من الكلمة ؛ وهذا التعديل امره يسير ولا يتعارض مع الترتيب المعجمي . لكن الهمزة يتبدل شكلها، لا وفقا لموضعها من الكلمة، بل وفقا لحركتها او حركة ما قبلها ؛ وهذا خارج عن اصول الرسم، ويعود الى اعتبارات صرفية، ولا يتفق مع الترتيب المعجمي الصحيح والطباعة المتطورة . ولما كان هذا الشذوذ ليس من طبيعة الهمزة ، يمكن تسويته وكتابة الهمزة على غرار بقية الحروف .

وفي فئات معينة من الكلمات المبدوءة بالهمزة، يُهمل نطق الهمزة في

الدرج • وللتنبيه على هذا رُسِّمَتْ هذه الهمزة بشكل خاص يعرف بهمزة
الوصل لكنها لم تدخل في الجدول الذي جعلوه مقتصرًا على شكل واحد لكل
حرف صامت ، واستكمال الجدول يقتضي ادخال هذا الشكل .

لا شك ان اظهار الهمزة المتبوعة بالالف بالشكل المعروف بالمدة ترتيب
عملي في الكتابة اليدوية ، لكن ليس لهذا الشكل موضع في الجدول السذي
يقتصر على رموز الأصوات البسيطة غير المركبة . وكل محاولة لاستعمال
هذا الشكل في المعجم من شأنها الاخلال بالترتيب الصحيح المستند الى
الجدول . وينبغي ادراج كل همزة متبوعة بالالف على حالها ، كما هو
الامر مع الهمزة والواو والهمزة والياء .

التاء المربوطة

تُلْفَظُ تاء التانيث عند الوقف شبيهةً بالهاء ولهذا وضعوا لها شكلا
خاصا كما فعلوا في همزة الوصل، وينبغي اكمال الجدول باضافة هذا
الشكل الآخر للتاء الى جانب الشكل العادي .

الألف

ليست الالف سوى حركة فتح طويلة ، ولهذا لم يكن لها موضع في
الجدول الذي لم يتصور واضعوه ان يكون للحركة شكل خاص ، وعمدوا
الى اظهارها متطفلة على الهمزة ، ثم جعلوها متطفلة على السلام .

لكننا ندرك الآن ان الرمز الى الحركة بشكل مستقل امر ممكن ؛ وعلى
هذا تضاف الالف الى الجدول ، ومكانها الى جانب الواو والياء كما فطن
الذين اختاروا لها اللام ، وكما يفهم من ادراج المعاجم التقليدية للاجوف
الواوي في هذا الموضع .

وعندما تجيء الالف آخر الكلمة تكتب أحيانا بشكل ياء مبهمة . وقد
ابتدع الرسم والاسم لاعتبارات صرفية لا موجب لها من اصول الرسم .

على أنه ما دمنا نستعمل هذا الشكل ينبغي اثباته في الجدول الى جانب الالف العادية .

الواو والياء

يكون هذان الشكلان حرفين صامتين ، كما يكونان حركتين طويلتين .
والتمييز بين الوظيفتين غير صعب في الكتابة الكاملة التشكيل .

تكون الواو او الياء حرفا صامتا اذا جاءت متحركة بحركة طويلة او قصيرة ، او جاءت ساكنة وما قبلها متحركا .

تكون الواو او الياء حركة اذا جاءت غير متحركة بعد حرف ينتظر التحريك .

وينبغي ان تُرد في الجدول اشارة الى ازدواج وظيفة هذين الحرفين .
وفي الترتيب المعجمي فان المفردة التي تكون فيها الواو او الياء حرفا صامتا تجيء قبل مثلتها التي يعمل فيها هذا الحرف حركة .

كما ينبغي ان تحتفظ الياء الصامتة بالتنقيط عند ورودها في نهاية الكلمة لتلافي الالتباس مع الياء المهملة التي هي شكل آخر للالف .

الحركات القصيرة

لما كانت الحركات القصيرة جزءا اساسيا من الكلمة، ينبغي ادراجها في الجدول، ووضبط ترتيبها وفقا لترتيب الحركات الطويلة .

الشدة

عندما يتتابع الحرف الواحد ساكنا فمتحركا، فانه يُكتب شكلا واحدا تلوه علامة تعرف بالشدة . ان الفكرة في الرموز هي ابتداء شيء صغير يرمز الى شيء اكبر ، لكن الشدة وقد أُوجدت لاعتبارات صرفية لا

تؤدي هذا الغرض ، فهي عبارة عن شكل بليد يوضع فوق الحرف فيشوه الكتابة، ولا ينوب الا عن شكل واحد هو الحرف المحذوف رسمه .

لكن ما دمنا نستعمل الشدة، فان الترتيب المعجمي الصحيح هو ادراج المفردة ذات الحرف المشدد وفقا لحركة الحرف الثاني ؛ لكن في حالة وجود كلمة مماثلة غير مشددة فان هذه الكلمة المماثلة غير المشددة تُدرج اولا .

ويقتضي ترتيب المعجم اللفظي ادراج اللفظ الثلاثي المدغم بموجب الحرفين الظاهرين رسماً، وهذا هو المتبع الآن ، في حين تراعي المعاجم المرتبة حسب الاصول الحرف الثالث الذي حُجِب رسمه بالشدة ، فتدرج بـ بعد سُرد .

السكون والحركة

في الترتيب الصحيح يُدرج الساكن اولا ، والسكون لا يحتاج الى علامة، فكل حرف غير متحرك يكون ساكناً، ويتجلى ذلك على اتمه في المعاجم حيث التحريك كامل .

وعندما يكون الحرف الصامت متبوعاً بحركة طويلة لا يبقى لزوم للاستعانة بالحركة القصيرة .

أداة التعريف

هذه الاداة المؤلفة من همزة وصل ولام لا تُلفظ دائماً هكذا ؛ فاذا دخلت على كلمة مبدوءة بحرف شمسي انقلبت اللام الى حرف مماثل، وأدغم الحرفان ؛ واذا جاءت في الدرَج سقط لفظ الهمزة ، اما اذا زاد على ذلك دخولها على شمسي بطلَ لفظها كلية ، وبقي الشمسي مشدداً . وعلى هذا يكون لها اربع طرق في اللفظ . همز ولام ، همز وحرف شمسي ، لام ، حرف شمسي .

ولو صنع شكل خاص لاداة التعريف يُلفظ حسب الحالة كما فعلوا
في همزة الوصل والتاء المربوطة، لكن ذلك افضل من الهمزة واللام في
الرمز الى هذه الظاهرة .

تدوين اضبط وكتابة ايسط

ان الاخذ بالجدول الطبيعي للحروف سيجعل الترتيب المعجمي محكما
دون ادنى خلل . ثم ان تسوية رسم الهمز والاستغناء عن الحركة القصيرة
عند وجود الحركة الطويلة ، واهمال علامة السكون، من شأنه تبسيط
الكتابة وجعل المطبوع يبدو اوضح واجمل .

الحروف الهجائية : الجدول الطبيعي الكامل لفرض التدوين المعجمي

الحروف المصوتة (الحركات)	الحروف الصامتة
طويلة قصيرة	أ آ س ل
	ب ش م
	ت ة ص ن
ا ي	ث ض ه
هذا الحرف اذا جاء غير متحرك بعد حرف ينتظر الحركة	و ط ظ
هذا الحرف اذا جاء غير متحرك بعد حرف ينتظر الحركة	ي ع غ
	ذ ف ق
	ر ك

يُدرج الحرف الذي تعلوه الشدة حسب حركته فان وجدت
كلمة مماثلة غير مشددة تأخرت الشدة عنها

الهمزة

أ ؤ ة
في البداية في الدرج والآخر في الاخير بعد حرف لا يقبل الاتصال

اداة التعريف
شكل مقترح

٨

نجيب اسكندر

لَوْ أَخَذَ الْقَوْسَ غَيْرَ بَارِيهَا

لِلدكتور إبراهيم السامرائي

(كلية الآداب ، جامعة بغداد)

رعاك الله — أخي الكريم — وسدّد خطاك، واتال من عثرتك ؛ لقد ضبطت الكُلم في مبحثي المنشور في « العدد المزدوج الخامس والسادس » ، تكلمة لعمل المطبعة التي ينقصها الشكل ، ثم مررت بقولي : « يتوافر فيه » في آخر الموضوع ، فرأيت أن تصحّح ما بدا لك أنه خطأ ، فرسمت ألفاً بعد الواو ، فصارت « يتوافر فيه » .

شكر الله لك سعيك ؛ إنك حفزتني الى الكتابة في موضوع التصحيح اللغوي لما هو خطأ وتجاوز ، ولما خيّل لطائفة من اهل العلم انه خطأ .

أقول : إن الذين ذهبوا الى ان من الفصيح ان نقول : توافر الشيء ، ولا نقول : توفّر الشيء ، لم يكونوا على علم كاف بكتب العربية ، وأقرب هذه هي المعجمات . ليس غريباً ان أقول : إننا نحن معاشر العرب ، ولا سيّما اهل العلم منهم ، لا نرى فينا حاجة الى الرجوع الى المعجم القديم . فماذا من امر « تَوَفَّرَ » و « تَوَافَرَ » في المعجم ؟ جـاء في « التهذيب » للزهري :

والمستعمل في التعدي : وقرناه توفيراً .

وجاء في « اللسان » :

وَوَفَّرَ عَلَيْهِ حَقَّهُ تَوْفِيراً ، واستوفره ، اي استوفاه . وتَوَفَّرَ عَلَيْهِ أَي رعى حُرْمَاتِهِ ، ويقال : هم متوافرون أي هم كثير ، وَوَفَّرَ الشَّيْءَ وَفَرَا ،

وَوَفَّرَهُ : كَثَّرَهُ . فليس من « تَوَافَرَ » إلا قولهم : « هم متوافرون » أي هم كثير . وقولهم « تَوَفَّرَ عليه » شيء آخر ليس من قبيل استعمالنا في اللغة المعاصرة ، لأنه يفيد رعي الحُرُمَات .

وليس لنا إلا أن نقول إن استعمالنا الحديث « تَوَفَّرَ الشيء » (منات) من وَفَّرْتَهُ فتَوَفَّرَ : كما تقول عَلَّمْتَهُ فَعَلَّمَ . إن المعجم لا يعرض لما هو واقع وجارٍ على سنن العربية .

لقد خلت مادة « حزب » من بناء « تَحَزَّبَ » . كما خلت مادة « خرب » من بناء « تَخَرَّبَ » . فهل يجوز لنا أن نقول : إن الفعلين « تَحَزَّبَ » و « تَخَرَّبَ » غير صحيحين فصيحين . وإن استعمالهما من الخطأ ؟ فإذا كان « تحزيب » كما في حديث أوس بن حذيفة قال : سألت أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كيف تُحَزَّبُونَ القرآن ؟

أقول إذا كان هذا . فلم لا يكون « تحزب » ؟ وإذا اشتملت العربية على الفعل « خَرَّبَ » والمصدر التخريب ، فلم لا يكون « تَخَرَّبَ » ؟ ألم يُقَلَّ اللغويون بالمطاوعة ، نحو قَدَّمْتَهُ فَعَدَّمْتَهُ ؟ ثم ألم يستعمل الفصحاء طوال قرون الفعلين : تَحَزَّبَ وَتَخَرَّبَ في نثرهم وشعرهم ؟ وعلى هذا كان استعمال « تَوَفَّرَ » هو الفصيح المليح ، ولم يرد « تَوَافَرَ » إلا في قولهم : « هم متوافرون » أي هم كثير ، وهذا لا يعني ما نريد من « تَوَفَّرَ » الشيء إذا كان وافرًا .

ولا حجة لأصحاب التخطئة من المتصدين الى تصحيح الالفاظ والأبنية ووجوه القول ، في أن المعجم القديم خلا من هذه اللفظة او تلك ، ذلك أن المعجم القديم مُعَوِّزٌ يفتقر الى شيء كثير من الاستقراء . ثم ان المعجم قد يذكر الكلمة ويفوته ذكر الجمع ؛ فهل يعني هذا ان الجمع غير وارد في اللغة ، وليس من حق المعريين الا يأتوا بجمعها حملاً على نظائرها ؟ إن « الخمر » معروف ، وهو مادة طويلة في المعجم القديم ،

ولكنها خلت من « الخُمور » وهو الجمع ؛ فهل يقال : إن « الخُمور » خطأ لان المعجم اُخْلَ بها ؟ و « الخُمُر » بالتحريك ما و اراك من الشجر ، وليس من جمع له في المعجم ، فهلاً اذِنَا لانفسنا ان نجعله على « افعال » مثل قلم واقلام ؟ واذا اشتمل المعجم على « تمر وتمور » فلم لا نقول إن المعجم اُخْلَ بـ « الخُمور » جمعا لـ « خُمُر » ، واُخْلَ بـ « البقول » جمعا لـ « بُقُل » ، وغير هذا كثير لا يحصره العد . واذا خلا المعجم من « التطور » في مادة « طور » فهل ترى ان جمهرة المعربين منذ ما يقرب من مئة سنة مخطئون في صوغ هذا المصدر ؟ ثم إنك تجد الفعل في المعجم ولا تجد مطاوعه ، وهو جار في الاستعمال الفصيح منذ قرون عدة . الا ترى ان المعجم قد اُخْلَ بـ « انحبس » و « انحجز » و « انجر » ، وكلُّه فصيح جار في اساليب المتقدمين ؟ ولعل ما آخذه على اصحابنا المتصددين للتخطئة في عصرنا هذا انهم لا ينظرون في اساليب المعربين في المظان الادبية واللغوية والتاريخية غير ما ندعوه « معجمات » . ومن امثلة هذا الكثير مما ندعوه خطأ ، لانه لم يرد في المعجم القديم ، ما قالوا في الفعل « ساهم » بمعنى « شارك » كان يقال : « ساهم محمد في إنجاز المشروع الثقافي الكبير » بمعنى انه شارك مع غيره من العاملين .

جاء الفعل « ساهم » في لغة التنزيل العزيز في قوله تعالى :
« فساهم فكان من المدحضين » . اي قارع اهل السفينة ففرع ، في الكلام على النبي يونس — عليه السلام فقال تعالى : « اذ ابق في الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم . (١) »
وفي الحديث الشريف : ان رجلين احتكما الى النبي — صلى الله عليه وسلم — في مواريث قد درست ، فقال لهما : اذهبا فتوخيا ، ثم استهما ، ثم لياخذ كل واحد منكم ما تخرجه القسمة بالقرعة .

١ — سورة الصافات ، الايات ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

ان هذا ليشير الى أن الفعل « ساهم » او « استهم » متصل بالمقارعة التي تقوم على المساهمة، اي المقارعة بـ « السهام » ؛ فأما دلالة المشاركة العامة كما هي الحال في اللغة المعاصرة فقد اخلّ بها المعجم القديم والنصوص القديمة . غير أن اللغة حين اتسعت فيها مجالات القول، وتأثرت بما فرّضت عليها الحضارات، استجابت للتوسّع الكبير، فاتسّعت، فكان من ذلك أن يكتب الشريف الرضي الى أبي اسحق الصابي رسالة يعزّيه بفقد ولده فيقول له : وانا المساهمُ لك في تحمّل النائبة .

لقد اخلّ المعجم القديم بالفعل « شاكس » وهو معروف مشهور، في حين ورد فيه « تشاكس » كما في لغة التنزيل العزيز : « ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً » . اقول: اذا ورد الفعل « تشاكس » فمن الصحيح ان يكون الفعل « شاكس » لان « التشاكس » ان « يشاكس » الرجل آخر . فهل من الحقّ ان نقول إن الفعل « شاكس » والمصدر المشاكسة، او الشكاس، من الخطأ لان المعجم القديم قد اخلّ بها ؟

وإذا عرفنا ان قياس المصدر في « فاعل » هو « الفاعل والمفاعلة » وجدنا المعجم قد يكتفي بأحدهما، والغالب ما جاء على « مفاعلة » ويهمل « الفاعل » ؛ كما في « المواظبة » ولم يشر المعجم الى « الوظاب » . ومثل هذا « المباراة » مصدر الفعل « بارى » يشير اليه المعجم القديم ولا يشير الى نظيره « البراء » . ونجد « المضاهاة » ولا نجد « الضهاء » ونجد « المساماة » ولا نجد « النِساء » .

وقد حلا لابي عثمان الجاحظ ان يستعمل الابنية القياسية وان لم تكن مما الفها الاستعمال وأشارت اليها كتب اللغة ، فقد استعمل « الخِطار » ولم يقل « المخاطرة » وهي اشييع في القياس ؛ واستعمل « البراء » ولم

يستعمل « المباراة » (٢) ، ولأبي عثمان نظر فريد في دلالة الالفاظ ؟ لقد فرضت علينا الحياة المعاصرة الفاظا تعد بالمئين بل الآلاف لا مكان لها في المعجم ، فهل جاز لنا ان نعدّها من الخطأ او المولّد او ما شئت ؟ افليس من الحكمة ان يكون لنا معجم جديد يشتمل على المباحثة والمكاملة والمشادة ونحو هذا ؟ اما ان تقول - حفظك الله - ان هذا خطأ وتجاوز فما أراك رعيتَ للغة حقّها وحُرمتها ، افلستَ ممن حَمَل الضيَمَ عليها ووشمها بالتخاذل والضيّق ؟!

قلت : إن المتصدّين للتخطئة والتصحيح لم يتجاوزوا المعجم القديم ، ومنهم من لم يُطلِ النظر في هذا المعجم فيعرف ما فيه معرفة يستوفي فيها الكلمة واستعمالها . وكيف يتأتّى لفلان او فلان من اصحاب العلم المتصدّين للتخطئة وتقويم اللسان والقلم وهو لم يستوعب ما جاء في كلام الله العزيز ؟!

اعرف من خبر احد هؤلاء الفضلاء ، بل من متقدّميه ممن ضربوا في هذا الامر بسهم صائب ، انه قد شارك في وضع كتاب مدرسي في « البلاغة » مع اثنين آخرين ، فاتفق الثلاثة على ان يضطلع اثنان منهم بوضع مادة الكتاب ، وينفرد صاحبنا المعنيّ بتقويم اللغة واساليب القول والكتابة بمراجعة الكتاب . ولما ان تم لصاحبيه وضع الكتاب ، اقبل هو يراجعه فوجد في فاتحته شيئا موجّها الى الطالب جاء فيه :

« فليتدبّر الطالب هذه الموضوعات ... » . كأن استاذنا الجليل قد هجس في نفسه ان « التدبّر » في قول كاتب مقدمة الكتاب من الخطأ فقال : « ان التدبّر » يعني النظر في الأدبار .

اقول : لو ان استاذنا الجليل قد اطال النظر في كتاب الله العزيز

٢ - لابي عثمان الجاحظ مادة لغوية ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وكنت اشرت الى هذا في كتاب لي ما زال مخطوطا وسميته بـ « معجم الجاحظ » .

لقرا الآية الكريمة : « افلا يتدبرون القرآن . . . » . ثم انه قد أُثِرَ عنه انه كان يقول : « يقال هذا الشيء عاديّ » وهو خطأ لان « العاديّ » هو الشيء القديم العتيق ، والنسبة الى «عاد» من الأمم البائدة الاولى ، ومن ذلك « العاديات » للنفائس والتحف . لقد قيل له : وكيف النسب الى « العادة » ؟ فلم يكن منه إلا أن تراجع وصدّق .

اقول : هُنَّ يبتدر المرء الى القول بـ « الخطأ » شيء يناقض العلم، ذلك ان الإحاطة بالمستعمل وغير المستعمل من الابنية والاساليب امر عسير ، ومن هنا كان الاقتصار على ما في المعجم القديم لا يحقق غرضاً علمياً . الا ترى ان المعجم القديم لم يشر الى بناء « فظع » المضاعف، وقد تحسبه من لغة العوام لانهم يستعملون « التفضيع » ولكنك تفاجأ حين ترى هذا البناء في « شرح الفضليات » للتبريزي حيث يقول (٣) : « والقصد الى التفضيع . . »

ثم نجد ابن المقفع يقول في « الادب الصغير » (٤) :

« فالسعيد الفالح ، والمرجؤ من لم يخصم » .

لقد اخلّ المعجم القديم بـ « الفالح » اسم الفاعل من « فَلَحَ » ذلك ان في المعجم « افلح » الرباعي ليس غير ، افجائز ان نذهب الى خطأ القول بـ « الفالح » وقد استعمله ابن المقفع، بحجة ان المعجم لم يشر اليه ؟ ولا بد لي ان اتوجه الى أصحابنا الفيارى على العربية والساعين الى سلامتها فاقول لهم : إن الطريق الى معرفة الصحيح والخطأ في الابنية والاساليب رهين بالنظر في كتاب الله العزيز، والحديث الشريف، وسائر المواد الأخرى مما اشتملت عليه كتب اللغة والادب والتاريخ ، وان الاقتصار على المعجمات

٢ - التبريزي ، شرح الفضليات (بتحقيق البجاوي) ٢١٧/١ .

٤ - ابن المقفع ، الادب الصغير (دار الجيل في بيروت) ص ١٧٢ .

اللغوية لا يحقق هذا الغرض العسير .

إن أصحابنا أهل التصحيح وتخفيف الأساليب القويمة قد وقعوا في أوهم بسبب من نقص أدواتهم . لقد قال أحدهم مثلا : إن الصحيح « اجوزة السفر » لا « جوازات السفر » والحجة ما جاء في « أساس البلاغة » : « وخذوا اجوزة سفركم » ومثله في « التاج » .

أقول : وفات المصحح الفاضل المتوخي استعمال الأبنية الصحيحة ان الجاحظ استعمال في إحدى رسائله « الجوابات » (٥) جمعا لـ « جواب » . الا يحق لنا ان نقول بعد استعمال الجاحظ هذا ، بصحة « جوازات السفر » كما نقول بصحة « اجوزة » السفر الذي جاء ذكره في (أساس) الزمخشري وفي « تاج العروس » . . وقد جمع الجواب على « اجوبة » (٦) ايضا . وكنت قد لاحظت كما لاحظ غيري ، ان أهل التصحيح قد عرضوا لمواد نجدتها مكررة مرذدة منذ عصر الحريري الى يومنا هذا ؛ فأنت تجد ان جُلوم قال : الحوائج جمع حاجة من الخطأ الشائع ، وإن أثر في الشيء هو الصحيح لا أثر عليه . ولا يثير المتأخر من هؤلاء الى ما ذكره المتقدم حين يعود الى القول نفسه .

وسأعرض لنماذج من هذا الذي تردّد في مصنّفات أصحابنا الذين تصدّوا الى تصحيح الأبنية والأساليب . وليس غريبا ان أقول : إن طائفة كبيرة مما ذهبوا فيه الى الخطأ قد ورد في كتب الأدب والتاريخ واللغة ، ولكنهم حين اقتصروا على المعجمات فاتهم علم كثير . على أن من الحق أن أقول إن بينهم من كان دائم النظر في كتب الأدب والتاريخ واللغة ، ولكن الاحاطة والشمول أمر معجز ، فقصر كما قصر غيره .

٥ - الجاحظ ، فصل من صدر كتابه في الجوابات في الإمامة (المورد ج ٧ ، ١٩٧٨) .

٦ - ولابي همام الفزالي كتاب عنوانه (الاجوبة الفزالية في المسائل الاخرية) ط . مصر

قال غير واحد من الأساتذة العلماء في مادة التصحيح :

يقولون : تسرّب اليه بمعنى تسرّب فيه، والثانية هي الصواب. أقول
إذا كان السابق المتقدم قد أشار الى هذا فلم يتكرّر علينا من جاء بعده
فيحسّر هذا في مادته دون أن يشير الى سابقه ؟ وقال الشيخ ابراهيم
اليازجي في « لغة الجرائد » (٧) : ويقولون : تخرّج على فلان ، وتخرّج في
مدرسة كذا وهو خريج فلان .

وخلف بعده جماعة فأعادوا المسألة مع خلاف ، فقال أحدهم : تخرّج
فلان في الكلية الفلانية وليس تخرّج من الكلية .

أقول : والذي وقفت عليه في كتب الرجال اني قرأت كثيرا وتخرّج به
جمهرة من العلماء .

وإذا كنا قد عرفنا في باب التضمين قوله تعالى :
« عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ » فهل ترانا أنصفنا العربية وأنصفنا أنفسنا ؟
أنلا يكون من الجور أن نتشدّد الى هذا الحد ؟ قالوا : لقد حجرت واسعا .
وقالوا : من الصواب ان نقول : تعرّفت الامور لا تعرّفت بها .

إن من المتقدمين في عصرنا من قال بهذا، الشيخ ابراهيم اليازجي في
« لغة الجرائد » (٨) :

ويقولون : تعرّفت على فلان اذا احدثت به معرفة ، وهو من التعبير
العامي .

ومرجع الشيخ اليازجي والذين أعادوا مقولته هو المعجم القديم .
ولكن الأساليب تتغير، وان المعربين يصيرون الى أنماط من الاعراب تخالف
ما درج عليه متقدموهم . ولست أذهب مذهب اللغويين الأوائل فأحظر ان

يؤخذ بأقوال من سموهم « مولدين » أو « محدثين » ؛ تلك شنشنة
قديمة عفا عليها الزمان ؛ أفلا ترى أن من التعسف الكبير الآخذ بقول
أبي الفرج الاصبهاني، صاحب « الأغاني » الشهر، في أخبار « عبادل »
ونسبه وهو قوله : « فحرّكت بعيري لاتعرّف بهنّ وأنشدهنّ » ؛ ومثل هذا
ما قرأناه في « نفع الطيب » ، في الكلام على يوسف الدمشقيّ : وكان من
الذين أخفاهم الله لا يتعرّف به الا من تعرّف له (٩) .

ومما كرّره غير واحد من غير اشارة الى المتقدم السابق قولهم :
دُعُسْتَه السيارَة لا دُهُسْتَه .

وقولهم : كتاب شائق لا شيق .

وقولهم : « تُكْنَةُ الجنديّ » بضم التاء مع سكون الكاف لا « نُكْنَةُ »
بفتحيتين .

وقولهم : « فلان يرأس اللجنة » بفتح الهمزة، لا « يرئس » بكسرها .

وقولهم : « كابد فلان العذاب » لا « تكبّد » .

وقولهم : « استهتر بالخمير » لا « استهتر » .

أقول : إن ممن نبّه على هذا من السابقين ، أبو الفرج بن الجوزي
في كتابه « تقويم اللسان » ؛ قال ناقلاً عن غيره : « تقول استهتر فلان بكذا »
بضم التاء الاولى وكسر الثانية على ما لم يُسمّ فاعله، والعام ففتح
التائين (١٠) .

وكان الاساتذة قد وقفوا على ما في « لسان العرب » حين صححوا
هذا الخلل الشائع ، لقد جاء في « اللسان » الحديث الشريف . سبق

٩ - من كتاب « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » للاستاذ صبحي البصام ص ٩٠ .

١٠ - تقويم اللسان (دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٦) ص ٧٧ .

المُفْرِدُونَ ؛ قالوا وما المُفْرِدُونَ ؟ قال الذين أُهْتَرُوا في ذكر الله . وجاء في حديث آخر : هم الذين اسْتَهْتَرُوا بذكر الله، اي اولعوا به . كما جاء في « اللسان » و« فلان مُسْتَهْتَرٌ بالشراب، اي مولع به .

ومما رده اصحاب التصحيح من اقوال يأخذها لاحقهم عن سابقهم قولهم :

اسْتَيْتِ المدرسة لا تأسست .

و « ما زال الخلاف قائما » وليس « لا زال الخلاف قائما » .

و « هو عائل على غيره، وهم عائلة على غيرهم » وليس « هو عائلة على غيره » .

و « ينبني لك » لا « عليك » . و « صادره على المال واستصفى ماله » لا « صادر ماله » .

هذه جملة موجزة لمواد ادرجت في كتب التصحيح في عصرنا هذا، يرددها غير واحد منهم مع ان شيئا منها قد تنبه له المتقدمون .
واريد ان اعرض لنمط آخر مما لم يُرد في هذه الكتب، بل اختص به علم من الاعلام من اهل الفضل والدراية والتبحر .

قال — رحمه الله —

قل : « أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَمْ الْمَالُ » ولا تقل « أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَمْ الْمَالُ » .
والحجة ان « هما » في قولك « ايهما » ضمير يعود الى اسم ظاهر متأخر عنه لفظا ورتبة عودا غير مجاز .

وقال : « ان التركيب مخالف للمنطق اللغوي » .

اقول : لان ما ذهب اليه الاستاذ الجليل هو الاسلوب الفصيح الذي نجده في كلام المتقدمين الفصحاء ؛ غير ان الوجه الآخر الذي شدد النكير

عليه مما نواجهه في كلامهم أيضاً؛ فمن ذلك ما جاء في أخبار أبي عمرو بن العلاء : انه كان يخاف الحجاج بن يوسف ، فكان يتستر . قال : فخرجت في الغلس أريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه الى غيره فسمعت منشداً ينشد :

رُبَّمَا تَكَرَّهَ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْسِ ——— لَهُ فَرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ .

وسمعت عجوزاً تقول : مات الحجاج ، فما أدري بأيّهما كنتُ أُسرُّ ؟
أبقول المنشد « فَرْجَةٌ » بالفتح ، أم بقول العجوز : مات الحجاج ؟ (١١)

ولقد استدرك الأستاذ صبحي البصام على استاذة الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — شواهد كثيرة تشير الى ان ما أنكره وهو القول « ايها » كلام نصيح وارد في كلام المتقدمين الفصحاء ، ومن ذلك :

١ — جاء في « نهج البلاغة » : وسئل عليه السلام ، أيّهما افضل
العدل او الجود . ؟

٢ — وفي طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي : « ان ابا العطف
قال : إن شاباً لقي الفرزدق ، فقال له : ايها احبّ اليك تسبق الخير
او يسبقك » ؟

٣ — وفي « الاغاني » : انّ أم عمر بنت مروان قالت لطوييس المغنّي
ايها احبّ : العاجل ام الآجل ؟ (١٢)

واستوفى الأستاذ البصام من هذا خمسة عشر موضعاً كلها تؤيد
استعمال « ايها » وعودها على الضمير المتأخر .

١١ — الزبيدي ، طبقات النحويين ص ٢٩ .

١٢ — البصام ، الاستدراك ص ١٣ — ١٤ .

ان هذا يعني ان العربية وإن دُرِّجَت في سننٍ واضحٍ من النظام النحوي في نظم الكلم في الجمل المفيدة ، تبتعد كثيرا عن هذا السنن في طائفة من وجوه القول . ثم الم نذكر ان النحاة حين رسموا القاعدة في عدم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، أشاروا في الوقت الى شواهد ما جاء شاذا عن هذه القاعدة النحوية كقول ابي الاسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي، وقد نسبه ابن جني الى النابغة الذبياني :

جزى ربُّه عني عدي بن حاتم جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فعلُ

وكتول حسان يرثي مطعم بن عدي احد اجواد العرب :

ولو ان مجدا اخلد الدهرَ واحدا من الناس ابقى مجده الدهرَ مطعما

وقال — رحمه الله — :

قل : « السكك الحديدية ولا تقل : السكك الحديدية » .

وقال شارحا العلة : وذلك لان السكك المذكورة مصنوعة كلها من

الحديد ولم يضاف اليها شيء آخر من الفلزات والمعدنيات .

وهو يقول : إن الناس اتبعوا في هذا الخطأ ما جاء في « تذكرة

الكاتب » لاسعد خليل داغر .

وقد عرض لهذا القول الأستاذ البصام فجاء بشواهد من الشعر

والنثر ما يردُّ به مقولة الدكتور مصطفى جواد، وخلص منها الى ان السكة

الحديد والسكة الحديدية كلاهما فصيح (١٣) .

وقال — رحمه الله — :

« قل اجاب عن السؤال ، ولا تقل اجاب على السؤال » .

أقول : إن القول بفصاحة الإستعمال الاول صحيح مليح، ولكن
الاستعمال الثاني قد ورد في نثر المتقدمين كما ورد الاستعمال الاول،
والشواهد كثيرة في كليهما .

ثم ان لاستعمال حروف الجر في العربية طرائق عدة تظهر ان بعضها
ينوب عن بعض ويحل محله . وما القول بـ « التضمين » في هذه الأدوات
الا مظهر من مظاهر التطور اللغوي ، فاذا كان التضمين جائزا وقد عرض
للعربية في عصورها المتقدمة ، فلم لا نقبل حلول « على » محل « عن » مثلا
في قولنا : اجاب عن السؤال او على السؤال ؟

ولم لا نقول : وفق الحاجة تأسيًا بأبي عثمان الجاحظ كقوله في رسالته
« استنجاز الوعد » « واسماؤكم وكُنَاكُمْ بين فَرَحٍ ونُجْحٍ ، وبين سلامةٍ
وفضلي ، ووجوهكم وفق اسمائكم، واخلاتكم وفق اعراقكم » (١٤)

ومجيء « وفق » من غير أن يسبقها « على » كثير ، فهل آن للمتصدين
للتصحيح ان يعيدوا النظر في مناهجهم ويتعقبوا النصوص في كتب الادب
واللغة والتاريخ ؟ .

ثم انهم لم يأخذوا في ان « الایجاز » هو من البلاغة في الاساليب العربية
حيث يجب الایجاز . ومن الایجاز البليغ قوله تعالى « واختار موسى قومه
سبعين رجلا » اي من قومه . ان حذف الجار يفرضه علينا البلاغة العربية
فنقول : حُدِّثَ اثناءَ ذلك ، او خلال ذلك ، وهو ابلغ مما نقول : « في اثناء »
او « في خلال » .

ولقد عُني بموضوع التصحيح في عصرنا جمهور من العلماء من اهل
الفضل والدراية، حتى اذا توفاهم الله خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ لم يكن لهم

١٤ - مجموعة رسائل الجاحظ ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٢٢٤ هـ ص ١٧٥ .

من العلم ما كان لأولئك، فتعجلوا الطريق فكانوا كحاطب الليل، وعادوا الى ما سطره اولئك الاعلام فزادوه عبثا .

لم يكن هذا الخلف على علم بالعربية ، معتمدا على كثير من المواد التي توزعتها كتب الأدب والتاريخ . ومن أجل ذلك اقتصر جلهم على مادة من سبقهم فرددوها غير مشيرين الى أصحابها ، ثم انهم يصلون الى تلك المواد بلغة العصر الجديد التي كثر فيها التجاوز بل الخطأ .

ان أحدهم يستعمل « التصويب » وهو يريد به « التصحيح » ، وهذا من لغة العصر ؛ فالتصويب ان تصوب كلاما اي تجده صوابا وتعدّه صوابا، كأن يقال : أبدى فلان رايه فصوّبته . وان آخر يستعمل « الكواهل » فيقول : « كواهل عقولهم » وما ادري اعرف صاحبنا معنى « الكاهل » ام جهله ؟ واذا كان قد عرفه فهل جائز استخدام هذه الاستعارة في حدود العقل ؟ وكيف يكون للعقول « كواهل » ؟

وكيف يتأتى هذا وقد عاب النقاد المتقدمون على ابي تمام قوله :

يا دهرُ قَوْمٍ من أُخْدَعِيكَ فقد اضججتَ هذا الأنامَ من خُرْقِكَ

لقد هالهم ان يكون للدهر « اخدعان » كما يهولنا الآن ان نعير « العقول كواهل » . ويستعمل هذا النفر كلمة « التشويش » ، وهذه الكلمة عامية في عصرنا هذا ، يقال : « حدث تشويش في البلد » اي اختلاط واضطراب . ولقد عدّ اللغويون المتقدمون هذه الكلمة من العامية . قال ابن الأنباري : اجمع اهل اللغة على ان « شوش » عامية (١٥) وهم الجوهري في عدّها في جملة الفصح الصحيح . اترى بعد هذا ان من الفصاحة ان تستعمل هذه في كتاب لغوي انصرف لتصحيح الابنية والاساليب؟! .

و « التشويش » نظير « الفوضى » وقد استعملت « الفوضى » في المعنى نفسه ، والأصل فيها الجمع ، والمفرد « فضيض » ، ثم عرض لها الإبدال ، فإذا قلنا : « الناس فوضى » فالمعنى : متفرقون مختلطون . قال الأفوه الأودي :

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراة لهمْ ولا سراة إذا جهَّالهم سادوا

ولست أرى أن يضطرُّ مُعربٌ في كتابٍ في أصول العربية أن يستعمل « القرون الوسطى » مستعيراً هذا المصطلح من التاريخ الغربي المسيحي .

ثم ليس من التساهل والتعسف أن تستعمل وصف « الاملائية » للاخطاء فنقول : « الاخطاء الاملائية »؟ إن مصطلح « الاملائية » مأخوذ من مادة « الإملاء » وهو أن المعلم يملئ على تلامذته ليختبر معرفتهم بـ « رسم » الحروف ؛ وعلى هذا لا يمكن أن ينصرف « الإملاء » إلى معنى رسم الهزمة والالف المقصورة كأن ترسم الفاقائمة أو برسم الياء ونحو هذا . ويستعملون « الاستعجال » بمعنى العجلة فيقولون : « ان هذا الكتاب يعين المستشار المستعجل » . وكان الصواب أن يقال « العجلان » لأن الاستعجال والاعجال والتعجل بمعنى الاستحثاث وطلب العجلة . واعجله وعجَّله واستعجله إذا استحثه وطلب العجلة .

ومن العجب أننا نقف على اخطاء يذكرها هذا النفر منذ نراها الا في كتبهم ، وهي إنْ وُجِدَتْ فني استعمال الصبية او قل العوأم ؛ وإلا فمن يقول « المروءة » بفتح الميم او « الخراج » لما يخرج من القرع او شبيهه ، بفتح الخاء ؟

واني لأعجب من طائفة منهم في قولهم يقال : خرج عن القانون ولا يقال : خرج على القانون . ولو قرأ هؤلاء في كتب التاريخ واحصوا الخارجين على السلطان في عصر بني امية وعصر بني العباس لوجدوا جمهرة من هؤلاء كلهم « خارج على السلطان » . ولا يعني هذا ان المرء حين يقول :

« خرجت عن الحد اللائق » مخطيء ، فكلاهما صحيح ، وكل توجييه في
الدلالة والمعنى ؛ فاعرف ذلك - رحمك الله -

ولم اكن أقصد الى استيفاء هذه المواد ولو قد فعلت لكان لي منه
كتاب براسه ما زلت احتفظ بمواده ، ولكني اقول : إن المعربين في العربية
قد ضاقوا بها ذرعا فلم تسلس لهم ، ولم تسلمهم قيادها لانهم لم يملكوها
ولم يشقوا بالنظر في مصادرها .

واذا لم يكن هذا فكيف أقرأ في مجلة مغربية ان احدهم كتب : لقد خلا
الوطاب وتنوعت الاسباب وكثرت السبل ...

اقول : إن صاحب هذا الكلام لا بد ان يكون قد فهم ان « الوطاب »
مفرد لا جمع ل « وطب » ، ومن اجل هذا لم يلحق الفعل « خلا » بتاء
التأنيث في حين ان الفعل الذي أتى بعده مقترن بالتاء في قوله : « وتنوعت
الاسباب » وبعده « وكثرت السبل » مع ان الأمر جائز مع الفاعل اذا كان
جمعا مكسرا . غير ان التزام تاء التأنيث في الجملتين مع خلو الاولى منها
يشعر ان المَعْرِبَ حَمَلَ « الوطاب » على الافراد والتذكير ، وهو في حقيقته
جمع . قال تأبط شرا :

اقول للْحَيَّانِ وقد صَفِرَتْ لَهُمِ وطابي ويومي ضيق الحُجْرِ مُعَوِرُ
ومثل هذا استعمالهم « اذ » وهو ظرف للزمان الماضي ، استعمال
« اذا » الشرطية فيقولون : « واذا لم يتهيأ لي العمل في بغداد فقد غادرتها
الى ... » .

والصواب « اذا » اما « اذ » فكقوله تعالى : « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
بعد اذ هديتنا » .

وبعد فهذه إلمامة موجزة بشيء يتصل بمبحث سلامة العربية ونهج
المعنيين فيه ، لم أرد منه ان أقسو على احد من العاملين ، وفنهم الله لخير
هذه اللغة الشريفة .

الدكتور ابراهيم السامرائي

العرب وراثا فارس في العصر الحديث

للدكتور يوسف حسين بكّار

(جامعة اليرموك / الأردن)

ثمة ظن قديم جديد يسود اوساط كثيرين من ادبائنا ومثقفينا، خلاصته أن اهتمامنا باللغات الشرقية عامة ، وصلاتنا بأدابها وتأثرنا بها ، ضعيفة، بل هي اقل بكثير من اهتمامنا وصلاتنا وتأثرنا بلغات الغربيين وآدابهم (١). قد تكون لهذا الظن وجاهته وصدقه في شقّه الاخير عند من يتابعون مسيرة المتخصصين منا باللغات الشرقية وآدابها ، والفارسية خاصة ، أما الذين لا خُبْرَ لديهم بهذا ولا خُبْرَ ، فهم آخذون — ولا شك — بشقّي الظن كليهما.

هذا الظن هو الذي دعاني الى التفكير في موضوعه ، ومحاولة العمل على نفيه او التخفيف من حدته وسطوته على الأقل ، الى ان تمخّض عنه هذا البحث، الذي يؤكد بوضوح عنايتنا بالفارسية وصلاتنا بأدائها ، وتأثر بعض ادبائنا بها ، في القرنين التاسع عشر والعشرين خاصة ، وأن يكن التأثير اقل من نظيره بأداب الغرب (٢) .

البحث في حقيقة امره مقدّمة لعمل علمي اكبر واشمل اسميته «العرب وراثا فارس — في القرنين التاسع عشر والعشرين» وهو عمل بيبليوغرافي ادبي وصفي نقدي لجهود باحثينا المعاصرين في لغة الفرس وراثها، تقديمها

١ — انظر ، مثلا : رجاء النقاش ، موقفنا من الآداب الشرقية ، مجلة الدعوة ، السنّة

الثالثة ، العدد ٢٤ ، اكتوبر ١٩٧٨ ، ص ٥٤ — ٥٧ .

٢ — سوف اعرض لهذا الموضوع في بحث مستقل ان شاء الله .

والحديث . وهو اصدق برهان على صلات العرب العلمية والادبية بواحدة من اعرق اللغات الشرقية وتراثها المتشعب الفنون والموضوعات ، اتيح لها ان تتأثر بلغتنا وادابنا وتؤثر فيهما ايضا ، فكان العطاء — وما زال — خصبا ، والعناق مستمرا .

القسم الاول

الوشائج الثقافية والعلمية بين العرب والفرس

(مظاهرها وأنواعها وازدهارها)

العلاقة بين الامتين العربية والفارسية بعيدة الغور في جـذور التاريخ ؛ فهي وان تارجحت بين مدّ وجُزر في الجاهلية ، فقد اخذت تتوطد وتقوى بعد ان دخل الفرس في دين الله افواجا ، وبعد ان تعانقت الأمتان تحت شعار « الله أكبر » في ظلال دستور الاسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم .

لقد كان لكل من الفترتين الجاهلية والاسلامية وسائل اتصال وضروب تأثير وتأثر بين الامتين . لكن تلك الصلات والعلاقات كانت اصلب واقوى في الاسلام، مما جعل تأثير الفرس في العرب حينئذ اوسع واعمق منه في الجاهلية ، كما ان آثار العرب في الفرس لم تكن تقلّ عما نقلوه منهم ، ان لم تزد عليه شمولا وعمقا وسعة ، فيما يقول الدكتور احمد الحوفي (٣) .

ولسنا في حاجة الى الاسهاب في الحديث عن هاتيك العلاقات والصلات القديمة في الجاهلية والاسلام ، فأخبارها ماثورة في أمّهات كتب التراث الاسلامي والعربي ، فضلا عن دراسات حديثة قيّمة تعهدت دراسة تلك العلاقات والصلات وبخّنها نشأة وتطورا وتحليلا .

٢ — تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ص ٤ .

ليس غريبا أن يصادف تاريخ العلاقات بين العرب والفرس حيننا من الدهر ، تضاءلت فيه الصلات بين الثقافتين العربية والفارسية عن غير قصد . ولقد كان مرجع هذا كله السبات العميق والركود الطويل اللذين ابتليت بهما الأمة العربية في مرافق حياتها المختلفة، من سياسية وثقافية وعلمية وأدبية وغيرها ، في فترة سماها العرب أنفسهم « الفترة المظلمة » او « فترة الركود » .

وليس غريبا أيضا أن يكون علم العرب بشؤون الأدب الإيراني قبل النهضة ضيقا محدود الوسائل . يقول المرحوم طه حسين : « وقد كان علمنا بشؤون الأدب الإيراني ضيقا محدود الوسائل، لا نستطيع أن نتلمسه عند أهله وإنما نتلمسه عند الانجليز والفرنسيين والالمان الذين سبقونا — مع الأسف — الى العلم بهذا الأدب وتذوقه . ويكفي اننا عرفنا أول ما عرفنا عمر الخيام في هذا العصر الحديث عن طريق التراجم الانجليزية ، وعن طريق ما كتب عنه الانجليز (٤) .

وعلى الرغم من كل الظروف والملابسات التي المحنا اليها ، فإن الصلات لم تنبت كليا ، بل ظلت أشتات منها قائمة ؛ وكان للغة الفارسية شيء من مكانة . فكثرة المتعلمين والشعراء العرب في الدولة العثمانية الى بدايات القرن العشرين كانوا يعرفون الفارسية (٥) ، لأن التركيبة والفارسية كانتا متلازمتين ، وكان الأتراك يعدون الفارسية أصلا لثقافتهم (٦) ، وكان العلم بها « ضرورة ثقافية لا غنى لتركي عنها ، وكانت

٤ — من مقدمته لكتاب « حافظ الشيرازي » ، للشواربي .

٥ — محمد كضاني : في الأدب المقارن ، ص ٢٠١ .

٦ — فؤاد عبد المعطي الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية في كتاب : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، ص ١٢٩ .

الفارسية عندهم لغة الفصحاء» (٧) : ومن هؤلاء جبرائيل المخلع السوري، الذي ربما كانت ترجمته لگلستان سعدي الشيرازي، بالنظم والنثر المسجّع، أول ترجمة من الفارسية الى العربية في العصر الحديث؛ وميخائيل عوراء اللبناني، الذي كان يحسن الانشاء بالعربية والتركية والفارسية (٨)، والأديب اللبناني أحمد فارس الشدياق، والمصلح والأديب السوري عبد الرحمن الكواكبي (٩)، والشاعر المصري محمود سامي البارودي، والشاعرة المصرية عائشة التيمورية، وعدد غير قليل من علماء العراق و« ساداته » وشيوخه ممن كتبوا بعض اعمالهم بالفارسية، وخاصة من كان منهم من أصول فارسية .

فالبارودي، مثلا، كان يتقن، فضلا عن التركية والانجليزية، الفارسية (١٠) التي لُقِّنَهَا في اثناء مقامه بالآستانة (استانبول)، واطّلع على آدابها، واستظهر شعرها، ونظم بها وبالتركية أيضا شعراً، وتأثر ببعض اشعار شعرائها (١١)، وترجم شيئاً منها شعراً. ومما ترجمه، دون أن يدل على صاحبه (١٢) :

هتف الديكُ سُحْرَةَ فأصطبحننا لهتفه
بشرابٍ كعِينِه وكبابٍ كعَرْفِه

٧ - حسين مجيب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٢٢ .

٨ - لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٧ .

٩ - جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ١ : ٢٢٢ ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ .

١٠ - لويس شيخو : الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١١ ، وجرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق ٢ : ٢٩٩ .

١١ - محمد حسين هيكل : مقدمة ديوان البارودي ١ : ١١ دار المعارف ١٩٧١ ، وحسين مجيب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ٢٤ - ٢٥ .

١٢ - ديوان البارودي ٢ : ٢٩٥ .

وكالبارودي، كانت عائشة التيمورية (١٨٠٤ - ١٩٠٢)، التي عاشت في استانبول حوالي عشرين سنة أو تزيد ، تعرف التركية والفارسية ، فضلا عن العربية . ونظمت الشعر باللغات الثلاث جميعا (١٣) . غير أنها ذكرت في مقدمة ديوانها بالتركية أنها ألقت - بعد وفاة ابنتها - ديوانها بالفارسية في النار صفحة صفحة، ليحترق كما احترقت فلذة كبدها - « توحيدة » ، فتلاشى شعرها الفارسي ، ولم تُبقِ منه الايام شيئا (١٤) .

ويقال إن عراراً ، مصطفى وهبي التل شاعر الاردن (١٨٩٧-١٩٤٩) شغف بالفارسية بعد أن قرأ رباعيات الخيام التي ترجمها الشاعر الفلسطيني وديع البستاني ، فعمد الى تعلمها ليقرا الخيام بلغته الأم ، ومن ثم نفذ الى ترجمة رباعيات الخيام نثرا (١٥) ، هي التي نشرها في مجلة « مينرفا » اللبنانية (عدد تشرين عام ١٩٢٥) التي كانت تصدرها السيدة ماري يني عطا الله . وهاهو ذا يتحدث عن معرفته بالتركية والفارسية، وعن ترجمته الرباعيات : « انني اتقن التركية اتقانا لا بأس به ، والتركزية كما لا يخفى على من عرفها تتألف من ثلاثة احدها فارسي ، كما تتألف الفارسية من ثلاثة احدها عربي . فمن انضمام معلوماتي الفارسية المستقاة من علمي بالتركية والعربية الى معلوماتي الخاصة الضئيلة بالفارسية كانت ترجمتي اقرب الترجمات المعروفة (في زمانه) للأصل الفارسي (١٦) . ولم

١٣ - لويس شيخو : الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١٦ ، ومسي زيادة : شاعرة الطليمة عائشة تيمور ، ص ١١٧ - ١١٨ (دار الهلال) ، وعبيد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص ٤ المكتب الإسلامي ، دمشق ١٩٦٧ م .

١٤ - حسين نجيب المصري : في الادب العربي والتركي ص ٣١ ، وايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٢٥ .

١٥ - يقال انه ترجمها قبل هذه المرة في عام ١٩٢٢ عن التركية (البدوي الملقب : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٤) .

١٦ - البدوي الملقب : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٣ .

يُخَلُّ انشغال الشاعر بالخيام ورباعياته من أن يترك آثارا في سلوكه
وشعره ، والأمثلة على تأثره بالخيام (أو بما نسب إليه) كثيرة (١٧) .

يقول عرار :

كوخنا يسمو على القصر المنيف
كل ما فيه جميل وظريف
تلكم دنياكم قد بعثها
أنا بالدين وذيتك الرغيف
يا نديمي ان عيشي اليوم طاب

ويقول الخيام :

واخلُ بي نحسو شرابا عتقا
ثم نلهو بنشيد نمقا
ورغيفٍ تحت ظل أورقا
وأشدُّ بالاحسان ، يرتدُّ الخلا
جنَّةً راق بها الحسن وراع

ويقول عرار :

وحياتي : لا تسل عن كنهها
، أنها حان والحنان وصدح !

ويقول الخيام :

يعلم الله أنني سكر
وهو أمر عند العليم يسر

ونظيري بين الكرام كثير وزقاقني مملوءة ودنانسي

وانا أشرب الكؤوس امثالاً !

ومن شعرائنا في هذه الايام من ينظم الشعر بالفارسية ، ومن هؤلاء الدكتور حسين مجيب المصري، صاحب المؤلفات الرصينة في الآداب الثلاثة: العربية والفارسية والتركية، ويقال إن له ديوان شعر بالفارسية لمّا يطبع (١٨) . وهو ، علاوة على ذلك ، من أكثر شعراء العرب المعاصرين تأثراً بالشعر الفارسي في شعره العربي والفارسي ، سواء في انتخاب عناوين دواوينه، من مثل : « شمعة وفراشة » (١٩٥٥) ، و « وردة وبلبل » (١٩٥٨) ، و « حسن وعشق » (١٩٦٣) ، و « همسة ونسمة » (١٩٦٤) ، أم في افكاره ومضامينه . وكثيراً ما كان يكشف هو نفسه عن تأثراته الفارسية في هوامش دواوينه (١٩) . ومن شعره المتأثر بالفارسية (٢٠) :

أدِرْ كأساً على ذكري	والهم خاطري شعرا
بشعركِ ملّ على راسي	وأودعُ مهجتي سرّاً
الانسى المرّ من ياسسي	وتنفح روضتي عطرا
وزيّن مجلس الانس	بزهر الخدّ حمراً
والقِ الشمس في كأسي	شعاعاً منك أو تبراً
فشمعة ليلنا ذابت	وحسبك يظهر الفجرا

١٨ - انظر من شعره الفارسي : قصيدة ((ونام)) (الاخاء ، السنة ١١ ، العدد ٢٠ ، آب ١٩٧١) وقصيدة ((خير مقدم)) - اهلا وسهلا - (الاخاء ، السنة ١٢ ، العدد ٢٤٧ ، ايلول ١٩٧٢) .

١٩ - راجع : وحيد الدين بهاء الدين : شخصيات من الادب المعاصر ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ، حلب ١٩٧٠ ، والدكتور المصري نفسه : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٢٦ - ٤٠ .

٢٠ - ايران ومصر عبر التاريخ ٢٧ - ٢٨ .

بنفرك يضرم الجمرًا	فراشة قلبنا طافت
وهزّت عطفها سكرًا	قوامك سرّوةً مالحت
ترشف ماءها خمرا	أني الجنّات قد كانت
ربيمًا عاد مخضرا	أعدّ ماضي ليالينا
غمامًا يسكب القطرًا	فكأسك تلك تحيينا

فمطلع القصيدة متأثر بأحد ملّعات (٢١) حافظ الشيرازي « الا ايها الساقى ادر كأسا وناولها » ؛ وبيتها الثاني يرنو الى قول الشاعر الايراني نفسه « ومال على أذني ، وقال بصوت عميق الحزن : يا عاشقي منذ طويل زمان ، أنت الآن وسنان . » وكذا الامر في سائر مضامين القصيدة ورموزها ؛ فالعطر في شعر الفرس الصوفي رمز لنشوة العشق الالهي ، وشرب الخمر وحى الى التمذهب بالتصوف . فالصوفية ، وان ذكروا الخمر بأسمائها وأوصافها ، فانهم يرمزون بها الى ما أفاء الله عليهم من معرفة او شوق . وما أكثر تردد ذكر « الفراشة والشمعة » في حنايا الشعر الفارسي ؛ فالفراشة عند الفرس قلب العاشق الذي يحترق في ضرام العشق الالهي ، والمرأة طيف خيال ؛ وهم يشبّهون القامة المشوقّة بشجرة السرو ، في حين شبّهها العرب بغصن « البان » .

انه لمن الطبيعي ان يتأثر شاعرنا بالأدبين التركي والفارسي بعد ان طوى ما يقرب من نصف قرن في حدائقهما الغنّاء وبساتينهما الوارفة الظلال .

ومن أنواع الصلوات الأخرى في القرن الماضي واوائل هذا القرن

٢١ - الملّح : شعر مختلف اللغة ، فيه شطر عربي وآخر فارسي ، او بيت عربي وآخر فارسي . وهو كثير في الشعر الفارسي والتركي .

ايضا ، وهو ما يعدُّ دليلاً حياً على أهمية الفارسية وآدابها عند العرب ، مسألة طباعة الكتب الفارسية في البلدان العربية ، وطباعة الكتب العربية في ايران . فقد كان للكتاب الفارسي - على قلة المطبوعات عموماً آنذاك - نصيب فيما كانت تخرجه المطابع العربية . يقول لويس شيخو: « وكانت مطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية (٢٢) ، ويقول عن الفترة ما بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٥٠ م ، إن مطبعة بولاق أبرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربية والتركية والفارسية (٢٣) .

ويقال إن أول كتاب فارسي طبع بمطبعة بولاق بمصر هو كتاب « تحفة وهبي - في تعليم اللغة الفارسية » الذي طبع عام ١٢٤٣ هـ. أي قبل أكثر من قرن ونصف ، ثم تلتها طباعة كتب ودواوين أخرى في مصر - في بولاق وغيرها - لأمثال فريد الدين العطار ، وسعدي الشيرازي ، وحافظ الشيرازي ، وغيرها من المؤلفات الحديثة ؛ وقد تتبَّعها مبشر الطرازي تتبعاً تاريخياً ، وأثبتها في بحثه عن « الكتاب الإيراني في مصر » (٢٤) . وقد انصرفت العناية منذ حوالي قرن من الزمان الى إعداد فهرس بما في دار الكتب المصرية سابقاً (دار الكتب والوثائق القومية حالياً) من كتب فارسية ، فأعدَّ هذان الفهرسان :

١ - فهرس الكتب الفارسية الموجودة بدار الكتب . إعداد الداغستاني عام ١٢٠٦ هـ .

٢ - فهرس الكتب الفارسية بدار الكتب (الجزء الثاني) عام ١٣٥٨ هـ .

ويذكر مبشر الطرازي في بحثه السابق أن قسم الفهارس الشرقيّة

٢٢ - الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٢٠ نقلا عن : المجلة الآسيوية الفرنسية

٢٣ - المرجع السابق ١ : ٤٨ نقلا عن : Journ. AS. 1843, 11,31 - 38

Journal. AS. 1843 24 - 61

٢٤ - راجعه في : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

بدار الكتب أعدّ - تحت اشرافه - فهرسا بالمطبوعات الفارسية فيها منذ تأسيسها الى عام ١٩٧٠ (٢٥) .

وكانت مصر كذلك ، الميدان الثاني ، بعد تركية ، للصحافة الفارسية خارج ايران ؛ حيث أصدر الايرانيون فيها خمس صحف (٢٦) ، كانت صحيفة « حكمت » (الحكمة) اولها ، وقد صدر اول عدد منها في ١٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٩٢ في عهد الخديوي عباس حلمي باشا . وصاحب هذه الجريدة الدكتور ميرزا محمد مهدي التبريزي، الذي انتقل من استانبول الى القاهرة ، ودرس الطب في « القصر العيني » ، ثم مارسه طبيلة اقامته بمصر . ويقال إنه قامت بين هذا الطبيب والامام محمد عبده صداقة امتدت اربعين عاما ، وكان من اثر الامام في صديقه الفارسي تأليف الاخير، بالعربية ، كتاب « مفتاح باب الأبواب »، عن تاريخ الحركة البابية والبهائية ، وقد طبع بالقاهرة . وكان مهدي التبريزي يرمي من انشاء صحيفته الى إحداث تحول في ايران والبلدان الاسلامية ، وتحقيق نهضة رائدة بما يكتبه ، على صفحاتها الاربع، المجددون والمصلحون من الايرانيين . وفي دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة حوالي (٥٤) عددا فقط من هذه الصحيفة .

وكانت صحيفة « ثريا » الثانية ؛ وتولى ميرزا علي محمد خان الكاشاني اصدارها بالقاهرة ، وقد صدر العدد الاول منها في ٥ نوفمبر ١٨٩٨ . وبعد عامين تولى امرها فرج الله خان الكاشاني الذي ما لبث ان نقلها من القاهرة الى طهران .

اما الجريدة الثالثة ، فاسمها « پرورش » (التربية) نسبة

٢٥ - قال إنه كان تحت الطبع .

٢٦ - راجع التفاصيل في : الدكتور نور الدين آل علي : الصحافة الفارسية في مصر . مطبة المتدى ، السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ ، ص ١٩٢ - ٢٠١ .

إلى مؤسسها محمد خان الكاشاني المشهور بـ « پوروش » الذي أصدرها عام ١٩٠٠ بعد أن ترك الجريدة السابقة « ثريا » . وكانت « التربية » أسبوعية تظهر أيام الاثنين بلبوس ثوري . ورابع هذه الصحف ، صحيفة « چهرة نما » (المصوّر) التي أسسها ميرزا عبد الحميد خان . مؤدب السلطنة (الاصفهاني) عام ١٦٠٤ . وبعد وفاته ، تولّى ابنه منوچهر مؤدب زاده (الأستاذ بالجامعة الامريكية بالقاهرة الآن) ادارتها الى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٦٥ ، في فترة قطع العلاقات السياسية الاولى بين مصر وايران . وفي دار الكتب والوثائق القومية اعداد كثيرة منها .

وآخر الصحف الخمس ، صحيفة « رستاخيز » (البعث) . وقد كان من المقرر أن يتحدث عنها الأستاذ منوچهر مؤدب زاده في العدد الثالث من مجلة « المنتدي » (٢٧) ، ولكن احتجاجها المبكر بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين ايران ومصر، في نيسان ١٩٧٩ ، حال دون ذلك .

واما في العراق ، فتأتي اللغة الفارسية في الدرجة الرابعة ، بعد العربية والكردية والتركية ، بين اللغات الشرقية التي كتب بها العراقيون والفوا على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان ، هما التاسع عشر والعشرون ، وعلى وجه الدقة من عام ١٨٠٠ الى عام ١٩٦٩ ، فيما يفهم من احصاء للباحث والمفهرس العراقي المعروف كوركيس عواد (٢٨) ، ولا غرو ، لان اعدادا كبيرة من العراقيين ، وخاصة في المدن والاماكن الدينية كالنجف وكربلاء ، والكوفة والكاظمية ، يعرفون الفارسية ويتقنونها ؛ ولا سيما اذا عرفنا ان فيهم من هم من ارومة ايرانية . وفي معجم « المؤلفين العراقيين » عدد من مؤلفات هؤلاء بالفارسية ، وهي في موضوعات عامة ، اكثرها ديني يبحث في الفروض والواجبات الدينية والعبادات ، كالصح

٢٧ - المنتدي ، العدد الثاني ، ص ٢٠١ .

٢٨ - معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ .

والعبرة ومناسكهما ، ومنها ما هو في الوعظ والارشاد والفقہ والعقائد وما الى ذلك .

ومن هؤلاء ، أبو القاسم الخوني (٢٩) ، احمد بن محمد معروف النودهي (٣٠) ، آقا حسين القمي (٣١) ، جمال الدين الكلبايكاني (٣٢) ، حسن الصدر (٣٣) ، السيد عباس الكاشاني (٣٤) ، الشيخ عبد الحسين الرشتي (٣٥) ، عبد الرحيم مولوي (٣٦) ، عبد العزيز الجواهري (٣٧) ، عبد الكريم الزنجاني (٣٨) ، عبد الله المامقاني (٣٩) ، عبد الهادي اسماعيل الشيرازي (٤٠) ، علي الفاني الأصفهاني (٤١) ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء (٤٢) ، الشيخ محمد حسين الغروي النائيني (٤٣) ، الشيخ محمد رضا الطبسي (٤٤) ، الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالسي (٤٥) ،

٢٩ - المصدر نفسه ١ : ٦٤ .

٢٠ - نفسه ١ : ٩٧ .

٢١ - نفسه ١ : ١٢٢ .

٢٢ - نفسه ١ : ٢٦٤ .

٢٣ - نفسه ١ : ٣٢٠ .

٢٤ - نفسه ٢ : ١٩٤ .

٢٥ - نفسه ٢ : ٢٢٧ .

٢٦ - نفسه ٢ : ٢٥٥ .

٢٧ - نفسه ٢ : ٢٨٥ .

٢٨ - نفسه ٢ : ٣٠٨ .

٢٩ - نفسه ٢ : ٣٢٢ .

٤٠ - نفسه ٢ : ٣٥٥ .

٤١ - نفسه ٢ : ٤٢٩ .

٤٢ - نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٣ - نفسه ٣ : ١٥٢ .

٤٤ - نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٥ - نفسه ٣ : ٢٣٥ - ٢٣٩ .

السيد محمد بن مهدي الشيرازي (٤٦) ، محمد مهدي القزويني الكاظمي (٤٧) ،
الشيخ مرتضى الأنصاري (٤٨) ، السيد هبة الدين الشهرستاني (٤٩) ،
واحمد الكازروني (٥٠)

وفي الطرف المقابل ، يمكن ان تأتي ايران في طليعة البلدان الشرقية —
غير العربية — التي طبع فيها عدد من العراقيين ممن ذكرنا وغيرهم
انتاجهم في تلك الفترة (٥١) ، او التي نشرت فيها بعض الكتب العربية
القديمة ، وخاصة في اخريات القرن التاسع عشر . يقول لويس شيخو
عن الفترة الممتدة ما بين عام ١٨٧٠ و ١٨٨٠ م مثلا : « ونشرت في جهات
العجم عدة منشورات تاريخية كمقاتل الطالبين ، لابي فرج الاصفهاني ،
وروضات الجنات . . . ، وبعضها أدبية و لغوية ، واغلبها دينية . واكثر
هذه المطبوعات سيئة الطبع ، يسقط بذلك معظم فوائدها » (٥٢) .
ومع بزوغ فجر النهضة الحديثة ، وبعد ان اخذ الادب العربي يقف على قدميه

من جديد ، ويعود الى عهود قوته واعصاره الذهبية الاولى ، ويتطلع الى
غيره من الآداب ، بدأ العرب يتلفتون الى من حوالهم من الأمم الأخرى ،
واخذت نفوسهم تشرئب الى معين آخر غير الآداب الغربية ، فكانت
الفارسية وآدابها . ولكن اكان هذا الاختيار ، فضلا عن ضرورته الانسانية
والحضارية ، صدفة ؟ احسب ان لا ؛ ولعل الجواب الكامل ان يكمن في قول

٤٦ — نفسه ٣ : ٢٤٧ .

٤٧ — نفسه ٣ : ٢٥٤ .

٤٨ — نفسه ٣ : ٢٩٢ .

٤٩ — نفسه ٣ : ٤٢٨ — ٤٤١ .

٥٠ — نفسه ٣ : ٥١٦ .

٥١ — كوركيس عواد : معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ . لمعرفة المزيد من الكتب المطبوعة
في ايران انظر على سبيل المثال : الجزء الثالث من هذا المعجم ، ص ٣١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
٢٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢١ .

٥٢ — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ : ٧٣ .

الدكتور فؤاد أفرام البستاني : « ... ولكن دراسة الفارسية أجدر بنا من دراسة أية لغة أخرى ، لتشابه اللغتين (العربية والفارسية) ... وبفضل هذه الدراسة نتقدم في ميدانين :

أولا : نتقدم في فهم الحضارة العربية في العصور العباسية خاصة ، ... لأن هذه الحضارة مبنية على ما ورثه العرب من الفرس خاصة ...
ثانيا : تفيدنا هذه الدراسة - وقد تكون هذه الفائدة أهم وأعمق وأروع - تفيدنا العناصر المهمة لفهم الروحانية الإسلامية التي تتجلى في مظهرين : الحركة الفكرية والحركة الصوفية ... » (٥٣) .

ومن اعلام العرب المعاصرين ، كسليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) مترجم الياذة هوميرس الى العربية ، مَنْ كان يلجّ على ضرورة دراسة الفارسية ، وقد كان يتقنها ويترجم عنها ، بعد ان امضى مدة في بلاد العجم (٥٤) .

انه وان كان لمصر فضل الريادة في ميدان الدراسات الشرقية ، والفارسية خاصة ، فقد كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام اول من عمل فيها على انشاء الدراسات الشرقية ، واول من علّم الفارسية والتركية وآدابها في الجامعة المصرية (٥٥) .

ومهما يكن ، فمنذ حوالي نصف قرن أخذت كوكبة من الباحثين والدارسين العرب تتطلع بشغف الى استئناف الصلات الأدبية بين العرب والفرس . وقد ساعد على هذا انشاء اقسام مستقلة او فرعية في

٥٣ - بين العربية والفارسية (مجلة الدراسات الأدبية ، السنة الثالثة ، العدد الاول ، ربيع ١٩٦١ ، ص ٢٧ - ٢٨) .

٥٤ - المرجع السابق ، ص ٢ ، والروائع رقم ٤٤ ، ص ٢١ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٢ .

٥٥ - نصائح احمد فؤاد : قم أدبية ، ص ٢٢٥ ، عالم الكتب - القاهرة ، دون تاريخ .

الجامعات العربية ، لعل من أقدمها « معهد اللغات الشرقية » في كلية الآداب بجامعة القاهرة الذي انشئ عام ١٩٤٤ م (٥٦) .

وتتالى ، بعد ذلك ، انشاء أقسام أخرى أو شعب للدراسات الشرقية في جامعات مصر الأخرى ، وجامعات سورية والعراق ولبنان (٥٧) والمغرب والكويت والسعودية ، لتدريس اللغة الفارسية وآدابها ، بالإضافة الى عدد غير قليل من الطلاب العرب الذين تصدوا الجامعات الأجنبية ، وجامعة طهران والجامعات الإيرانية الأخرى لدراسة الأدب الفارسي والتخصص فيه . وفي هذه الجامعات وتلك تخرجت أفواج نشطة تحمل درجات علمية في الأدب الفارسي ، أخذت على عاتقها ، فيما بعد ، تدريسه ونشر أطاييه ومد العرب بزاد من الثقافة الفارسية يستأنفون به صلاتهم القديمة التي لا غنى للأممين عنها . يقول طه حسين : « ولست في حاجة الى أن اتحدث عما ينبغي من العناية بالصلة بين الأدب العربي والفارسي . . . فني أقل من ربع قرن (٥٨) ظهر في حياتنا الأدبية رجال ممتازون يعنون بهذه الصلة عناية ممتازة ويظهرون في أدبنا العربي الحديث آثارا فارسية بارعة ، يسلكون في ذلك سبل القدماء من أدباء المسلمين في القرون الأولى . . . (٥٩) ، ويقول الدكتور ابراهيم الشواربي : « ان الدراسات الشرقية بمصر لم تسلم من عمرها في الجامعات المصرية الاقراية (٦٠) ربع قرن من الزمان ولكنها استطاعت ان تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التي صاحبت نهضتنا

٥٦ - عبد الوهاب عزام : مقدمة ترجمة « فصول من المتنوي » ، ص ٢ .

٥٧ - افتتح قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية ببيروت في الثاني والعشرين من شهر ايار (مايو) عام ١٩٥٦ م .

٥٨ - كان هذا عام ١٩٤٤ .

٥٩ - من مقدمته لترجمة ديوان حافظ « الهادي شيراز » للدكتور الشواربي .

٦٠ - كان هذا عام ١٩٥٤ اي قبل حوالي ربع قرن .

الحديثة ، وان تخرج لنا جيلاً جديداً من المتخصصين في لغات الشرق وآدابه
يشاركون الآن جماعة المستشرقين من اهل الغرب في مجهودهم الطويل
الذي بذلوه منذ قرون في هذه الدراسات (٦١) .

واما في الوقت الحاضر ، فإن الصلات الادبية بين الامتين العربية
والفارسية ، ناهيك عن الصلات الاخرى ، اخذت تزداد ازديادا مطردا
وتقوى يوما بعد يوم . ومن الشواهد عليها تنشيط حركة البعث وتبادل
الطلاب بين ايران والبلاد العربية، وتبادل ايران لعدد من
الطلاب من اكثر بلاد العروبة لتلقي العلم في جامعاتها على حسابها
الخاص ، وتشجيع الوفود العلمية والثقافية لزيارة ايران والإطلاع على
أوجه النشاطات العلمية والثقافية وغيرها .

ومن الشواهد ايضا اشتراك نخبة طيبة من صفوة العلماء والباحثين
والاساتذة من ايران والوطن العربي، في المؤتمرات العلمية والادبية
والثقافية التي تعقد في ايران وفي اقطار العروبة .

ومثلما انشئت في اكثر الجامعات العربية اقسام للدراسات الشرقية
والفارسية خاصة ، منذ عهد بعيد ، أُسِّسَت اقسام مستقلة للغة العربية
وآدابها في بعض جامعات ايران، من مثل جامعة طهران ، واصفهان ،
والفردوسي في مشهد (٦٢) .

ومن الشواهد اللافتة للنظر حقا ، ما تقوم به بعض البلدان العربية،
كالاردن مثلا ، من إعداد بعض نشراتها الدينية والسياحية باللغة الفارسية

٦١ - من مقدمته لكتاب ((نظامي الكنجوي)) للدكتور عبد النعيم حسنين .

٦٢ - وتوجد اقسام فرعية للغة العربية في بعض جامعات ايران الاخرى ، كجامعة جند يشابور
في الاهواز ، مثلا . ولا تغلو برامج بعض الجامعات الاخرى ، وخاصة في اقسام اللغة
الفارسية وآدابها ، من عدد من الدروس العربية .

جنباً الى جنب مع العربية واللغات العالمية الاخرى ، كالانجليزية مثلا (٦٣) ، وان كانت ايران قد سبقتنا في هذا المضمار منذ شرعت بترجمة نشراتها السياحية والإعلامية في كل مدينة سياحية واثرية ، إلى العربية كغيرها من اللغات الأجنبية الاخرى .

ومن أحدث ضروب الاتصال وتنمية العلاقات وتقويتها ما جدَّ من مبادرات جديدة بين مصر وإيران خاصة ؛ إذ قامت إيران بافتتاح «المركز الثقافي الإيراني» بالقاهرة ، على غرار ما تقوم به بعض الدول الاخرى ، من مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا بافتتاح مراكز ثقافية لها في عواصم البلدان المختلفة ومدنها الكبرى ايضا .

وكانت باكورة انتاج هذا المركز وفاتحة أعماله ، إصدار كتاب « جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران » (٦٤) الذي نشرته وزار الثقافة والفنون الإيرانية (وزارت فرهنگ و هنر) . هذه خطوة ، وخطوة أخرى ، هي أن مؤسسة الثقافة الإيرانية (بنياد فرهنگ ايران) بطهران ، أعلنت عن تعهدا بالإسهام في نفقات طبع كل كتاب عربي عن إيران ولغتها وآدابها ، وقد بدأت بتنفيذ هذا المشروع بالفعل .

أما مصر ، فبادرت بتأسيس « جمعية الصداقة الإيرانية المصرية » بالقاهرة التي وصفت بأنها « أكبر مظهر للأخوة الدائقة والمحبة الكاملة ، بقصد التعاون المثمر المفيد في شتى المجالات العلمية والثقافية

٦٣ - أعدت وزارة الاوقاف الإيرانية نشرة سياحية تتضمن معلومات عن مونة أرض الشهداء ومقامات الصحابة ، والمتحف الإسلامي لي بلدة المزار ومواقع إسلامية أخرى ، والنشرة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

وقد نشرت مجلة « الأيب » هذا الخبر في عدد ايلول عام ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .

٦٤ - انظر : تقديم الدكتور نورالدين آل علي لهذا الكتاب ، ص ١٢ .

والاقتصادية (٦٥) » . وقد بدأت هذه الجمعية في السنوات الاخيرة الماضية بتنظيم مواسم ثقافية تلقى فيها محاضرات وابحاث عن الصلات العربية الإيرانية ؛ وقد تمخضت عن صدور كتاب « الصلات الثقافية بين ايران والعرب » الذي يضم محاضرات الموسم الثقافي الايراني الاول بالقاهرة، التي جمعها ورتبها الدكتور نور الدين آل علي، المستشار الثقافي الايراني بالقاهرة آنذاك .

وكان آخر سهم في هذا المجال إصدار المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة مجلة « المنتدى » باللغتين العربية والفارسية ، على غرار مجلة « الدراسات الأدبية »، التي كانت تصدر عن قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية . والمنتدى نصلية ثقافية متخصصة في دراسة الحضارتين العربية والفارسية والصلات بينهما ، وقد صدر منها عددان اثنان فقط في عام ١٩٧٨ ، ثم احتجبت باغلاق المركز الإيراني، وتجميد شتى الصلات التي اثبنا اليها بعد قطع العلاقات السياسية بين إيران ومصر في نيسان ١٩٧٩ .

القسم الثاني

الجهود العربية في تراث فارس

فلم يكن العرب في عصرنا الحديث هذا اقلّ جهداً من غيرهم من الأمم الأخرى في خدمة التراث الفارسي — وان جاءت جهودهم متأخرة لأسباب خارجة عن ارادتهم — ونستطيع أن نقول — في غير فخر — إنها كثيرة

٦٥ — نواد عبد المحطى الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية ، في كتاب : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، ص ١٢٠ .

وكبيرة وثقبة ؛ وهي لم تقتصر على تراث فارس القديم بكل موضوعاته ، وإنما تخطته الى الحديث ايضا .

دور المصريين والعراقيين :

مما لا شك فيه أنه كان للمصريين ، وما زال ، الدور الأكبر في الجهود العربية التي بُذلت وتُبذل في خدمة الفارسية وتراثها قديمه والحديث ، لأسباب واضحة ، هي قدم الطباعة في مصر ، وما لها من عراقية وأقدمية في الميادين العلمية والثقافية ، خاصة أنها كانت أسبق البلدان العربية في الخروج من الدائرة العثمانية المظلمة في أوائل هذا القرن ، ولأن مصر كانت النسبقة الى الاهتمام بالدراسات الشرقية وتأسيس أقسام لها في جامعاتها ، ومنها خرج الرواد الأوائل في تعريف العرب بروائع التراث الفارسي وكبار اعلامه . يقول مبشر الطرازي : « . . . فان الانجازات العلمية والادبية التي قام بها علماء مصر تجاه ايران وثقافتها لعمل عظيم ومشرف . إن الايادي المصرية التي تناولت الكتاب الإيراني بكل تمجيد وتقدير ، والعلماء المصريين الذين أطلعوا على روائع التراث الإيراني ، أخذوا يزودون المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من الكتب الإيرانية المترجمة الى العربية ، وعدد ضخم من الأبحاث الأدبية والعلمية ، وذلك منذ النصف الثاني من عصرنا الحاضر . ونهجوا في ذلك نهج علماء العرب السابقين ، الذين قاموا بمهمة الترجمة والتأليف ، منذ أن ربط الاسلام الشعبين ، وصار للثقافة الإيرانية شأنها في إرساء الثقافة الإسلامية (٦٦) .

وعلى أساس ما قَدَّمنا عن العراق قبلا ، وما سنلاحظه أيضا ، يمكن أن يقال إنه يأتي في المرتبة الثانية ؛ وهو أمر بديهي أيضا لأن

٦٦ - الكتاب الإيراني في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ،

العراق كان ، في القديم ، مركز تفاعل الحضارات القديمة والتقائهما ،
والبوتقة التي انصهرت فيها نتائج كل ذلك ؛ واما في العصر الحاضر ، فهو
يضم من الايرانيين ما لا يضمه اي قطر عربي آخر ، وهو من أقدم البلاد
العربية التي اوجدت فيها ايران « المدارس الايرانية » ليتعلم فيها أبناء
اليرانيين هناك .

دور مجلة « الدراسات الأدبية » :

لئن جاءت جهود أقسام اللغة الفارسية وأعضاء هيئاتها التعليمية في
الجامعات العربية مبعثرة هنا وهناك ، فان جهود قسم اللغة الفارسية
وآدابها بالجامعة اللبنانية ببيروت تتوجت باصدار مجلة « الدراسات
الأدبية » التي كُرِّست على مدى تسعة أعوام (٦٧) متتالية لخدمة اللغتين
الفارسية والعربية وثقافتيهما وآدابهما وعلومهما ، فأنت أكلها طيبة ،
وانتجت ثمرات يانعة بما حوت من بحوث ومقالات وتعريفات (بالعربية
والفارسية) بأداب الامتين وعلومهما المختلفة .

وانه لمن الواجب والحق أيضا ان يُنَوَّه بفضل استاذين إيرانيين
جليلين على تلك المجلة هما : الأستاذ الدكتور محمد محمدي، الأستاذ
بكلية الآلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران ، وقد كان في تلك الآونة
رئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير
المجلة المذكورة ، والأستاذ أحمد لواساتي، نزيل لبنان ، والأستاذ بالقسم
المذكور ، الذي تحمَّل عبء ترجمة كثير من المقالات من الفارسية واليهما ،
والتعريف بعدد من الكتب الفارسية والعربية باللغتين أيضا . فبفضل
جهودهما حافظت المجلة على مستواها العلمي الرفيع ومكانتها الأدبية
الشامخة في أعوامها التسعة . وربما كان لعودة الدكتور محمدي الى

وطنه كبير اثر في احتجاب المجلة عن الصدور .

وفي استعراض محتويات المجلة - وقد كانت فصلية - واستقراء المقالات والبحوث العربية التي نُشرت فيها ، ولا شأن لنا هنا بالمقالات والدراسات التي كتبها باحثون إيرانيون (٦٨) ، نجد أنها تتوزع على : المقالات ، والترجمات ، والتعريف بالأعمال الأدبية والعلمية .

فأما المقالات والترجمات فأكثرها في الموضوعات الأدبية والتاريخية واعلام الشعراء والكتاب ، وما الى ذلك ؛ وأما التعريف بالكتب الفارسية باللغة العربية ، فقد أخذت المجلة على عاتقها ، منذ صدورها ، تعريف المثقفين العرب بأهم التواليف الإيرانية بالعربية (والفارسية أيضا) ، بتخصيصها بابا ثابتا لذلك ، هو باب « في مكتبتنا » (در كتابخانه ما) .

دور مجلة الإخاء (٦٩) :

كانت هذه المجلة تصدر باللغة العربية عن مؤسسة جريدة « اطلاعات » الإيرانية بطهران ؛ وقد بُدئ² باصدارها عام ١٩٦٠ شهرية ، ثم آلت الى نصف شهرية ، وتحولت بأخرة الى اسبوعية جامعة، هدفها خدمة العلاقات الإيرانية العربية من شتى الوجوه . كان يسهم في تحريرها نفر من المتخصصين العرب ممن كانوا يقطنون طهران، أو يطراون عليها لمدة معينة ، وبعض الإيرانيين ممن عاشوا في البلاد العربية وثقفوا - الى حد - بالثقافة العربية ، أو ممن عادوا الى ايران من العراق في السنوات الأخيرة ؛ وهم الذين يُعرفون فيها الآن بـ « المعاودين » .

وعلى الرغم من ان المجلة لم تكن علمية (أكاديمية) محضة ، وأن

٦٨ - لا جرم ان مقالات ممتازة دمجتها أقلام إيرانية نشرت على صفحات هذه المجلة نقل الاستاذ احمد لولاساني أكثرها الى العربية .

٦٩ - توقفت هذه المجلة عن الصدور بعد النورة الإيرانية عام ١٩٧٩ .

أكثر من كانوا يكتبون فيها من اصحاب الأتلام الشابة ، فإن العين كانت تقع فيها ، بين الفينة والفينة ، على مقالات « أكاديمية » علمية رصينة لنفر من الباحثين والأساتذة العرب ، في الأدبين العربي والفارسي والصلات بينهما ، وموضوعات منها .

ومهما يكن الأمر ، فإن إسهامها لا ينكر^{١٥٩} ، وإن دورها في المجال الأدبي كان « على قدها » إذا ما اعتبرنا أنها آلت اسبوعية أولا ، ولم تكن أدبية أو « أكاديمية » متخصصة ثانيا . وأنه لمن الحق في الكلام على هذه المجلة ان يشار الى فضل كل من : نذير فنسه، والدكتور نادر نظام ، والدكتور نكتور الكك على هذه المجلة ، سواء بالعمل فيها ام بمدّها بما يناسبها من موضوعات ومقالات .

مناحي الاهتمامات العربية :

للاهتمام العربي الحديث بالفارسية وتراثها منحيان : الاول ، أكاديمي شخصي تفرضه طبيعة تخصص الكثيرين بالفارسية وآدابها ، وهو كثير متشعب الجوانب ، والآخر حكومي تبنته وتتبناه وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام في بعض البلاد العربية ، وتتعمده .

ففي مصر ، كلفت وزارة التربية والتعليم ، في الخمسينات ، الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت بترجمة « تاريخ البيهقي » ، وكلفت الخشاب وحده بترجمة كتاب « ايران في عهد الساسانيين » . ثم نشرتهما فسي سلسلة « الالف كتاب » التي كانت تصدرها في ذلك الوقت .

وكلفت الإدارة العامة للثقافة في وزارة الثقافة والارشاد القومي المصري الدكتورين محمد موسى هنداوي وغؤاد الصياد ، وصادق نشأت بترجمة قسم من « جامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله ، وهو القسم الذي يختص بتاريخ « هولوكو » خاصة . وفي مطلع السبعينات عهدت وزارة الثقافة والاعلام بمصر الى عدد من الباحثين بوضع كتاب « دراسات فسي

الفن الفارسي « مشاركة من مصر لايران في احتفالها بمرور خمسة وعشرين قرنا على تأسيس ايران .

وفي سورية ، دعت وزارة الثقافة والارشاد القومي (٧٠) في الستينات ، الشاعر « محمد الفراتي » وكلفته ترجمة بعض الآثار الفارسية لسعدي الشيرازي ، وجلال الدين الرومي ، وغيرها ، ثم طبعت ما ترجم .

أضرب الجهود العربية :

جهود باحثينا المتخصصين في الفارسية وآدابها وعلومها والعارفين لها كثيرة ومتنوعة . فهي لم تنف عند ضرب واحد ، بل وسعت دائرتها فنشملت تراث فارس، قديمه والحديث، في شتى الموضوعات والفنون . وإن حظي القديم بسهم اوفر من الحديث . وهذا امر طبيعي ، لان الفُرس يضارعوننا فيه من حيث اهتمامهم بلغتنا وتراثنا القديم اكثر من عنايتهم بالحديث منه . وسأكتفي بالاشارة الموجزة الى ضروب هذه الجهود دون سردها سردا تفصيليا ، لان هذا السرد هو موضوع دراسة بليوغرافية ادبية وصفية نقدية لي اعدتها وفرغت منها ، وهي تنتظر الطبع . وقد رصدت فيها جُل ما أُثر عنا نحن العرب من تواليف وترجمات وابحاث ومقالات في لغة الفرس وآدابهم وسائر علومهم وفنونهم .

لقد توزعت الجهود ، فيما بان لي ، في ميدانين بارزين :

الأول : اللغة الفارسية وآدابها قديما وحديثا .

والآخر : علوم الفارسية ومعارفها وفنونها المختلفة .

ففي الميدان الأول ، تلقانا دراسات وابحاث في الفارسية وحولها ،

٧. - مجلة الدراسات الادبية ، السنة الخامسة ، العددان ٢ ، ٤ عام ١٩٦٢ - ٦٤ ، ص ٢٠١ .

وفي الدراسات اللغوية المقارنة . وخاصة في موضوع التسرب اللغوي من
الفارسية الى العربية الفصحى قديما . والى اللهجات المحلية حديثا . ومن
ابرز من عنوا بهذه الناحية : عبد الوهاب عزام وحامد عبد القادر من
مصر . وداود الجليلي ومحمد رضا الشيبيني وجعفر الخليلي من العراق .
وغواد نمرام البستاني من لبنان . ومحمد التونجي من سورية .

وثمة عدد وفير من التوايف التعليمية والمعجمات الفارسية العربية؛
وقد بدا هذا النوع من التأليف منذ وقت مبكر من هذا العصر ، وقد يكون
اقدم انواع الاهتمامات العربية بالفارسية وآدابها . وتوزعت الجهود في
الادب الفارسي القديم بين التحقيق . والتأليف، والمقال بالعربية والفارسية
وبعض اللغات الاجنبية . والترجمة عن الفارسية مباشرة او عما كتب
عن الادب الفارسي بلغة اجنبية . وقد شملت ايضا الاهتمام بأعلام
الشعراء وآثارهم .

ولقد حظي اعلام الادب الفارسي القديم وآثارهم البارزة باهتمام
كبير ، ومنهم : الخيام ورباعياته ، وسعدي الشيرازي و « بستانسه »
و « گلستانه » ، وحافظ الشيرازي وشعره ، وجلال الدين الرومي
و « مثنويه » ، والفردوسي و « شاهنامته » ، وناصر خسرو و « رحلته »
وآثاره الاخرى ، وفريد الدين العطار ، وعبد الرحمن الجامي ، ونظامي
الكنجوي .

وكان الخيام اكبرهم نصيبا من هذا الاهتمام من حيث التأليف فيه
وترجمة رباعياته عن الفارسية وغيرها ، لانني اهديت فيه الى سبعة
مؤلفات وأكثر من خمسة وعشرين مقالا ، والى عشرين ترجمة مختلفة
لرباعياته بالعربية الفصحى ، وثلاث باللهجتين المصرية واللبنانية . ومن
اشهر مترجمي رباعياته :

وديع البستاني ، احمد رامي ، محمد السباعي ، جميل صدقي

الزهاوي ، احمد زكي ابو شادي ، احمد الصافي النجفي ، احمد حامد
الصراف ، طالب الحيدري ، عبد الحق فاضل ، و ابراهيم العريض . وتبرز
في طليعة المهتمين بالادب الفارسي القديم تحقيقا وتاليفا وترجمة اسماء :
عبد الوهاب عزام ، و ابراهيم أمين الشواربي ، ويحيى الخشاب ، ومحمد
كفافي ، وحسين مجيب المصري ، وعبد النعيم محمد حسنين ، وطه
ندا ، ومحمد الفراتي ، ومحمد موسى هنداوي ، وعبد العزيز الجواهري،
وحسين علي محفوظ ، وامين عبد المجيد بدوي ، واحمد ناجي القيسي ،
وعبد اللطيف السعداني ، وعلي الشابي .

ومن أهم جهودنا في هذا الميدان ما أنتجه باحثونا في حقل الدراسات
الادبية المقارنة بين العربية والفارسية في الشعر والنثر وفنونهما المختلفة،
من مثل : الأوزان والقوافي ، الوقوف على الاطلاق ، المقامة ، القصص
الغرامي وقصة « ليلى والمجنون » خاصة ، وتأثر عدد من شعراء الفرس
الكبار من مثل سعدي الشيرازي، ومنوچهر الدامغانى، وعمر الخيام ببعض
الشعراء العرب خاصة والثقافة العربية عامة .

ومن أصحاب الجهود في الدراسات المقارنة ، مثلا : عبد الوهاب
عزام ، ومحمد غنيمي هلال ، وطه ندا ، وحسين علي محفوظ ، وجعفر
الخليلى ، وفارس ابراهيم حريري ، وفكتور الكك ، ومحمد كفافي .

واما في الادب الفارسي المعاصر فثمة اهتمامات فيه ، وان تكن اقل
من نظيرتها بالتقديم ، واكثرها في حدود البحث والمقالة وترجمة مختارات
من الشعر والنثر . ومن الاعلام المعاصرين الذين ظفروا بنصيب أكثر من
غيرهم : القاص المعروف صادق هدايت، اذ تُرجم عدد من قصصه الى
العربية ، والشاعر الشيرازي حسين قدس نخعي، الذي تُرجمت رباعياته
غير مرة ، وشاعر باكستان الذائع الصيت محمد اقبال، الذي نُقلت بعض
دواوينه بالفارسية الى العربية .

ومن انماط الادب المعاصر التي حظيت باهتمام العرب أيضا ، ادب الرحلات ؛ فقد رحل عدد من العرب الى ايران او بعض مدنها ، وسجلوا مشاهداتهم ووقائع رحلاتهم او جَلَّها في كتاب او مقال . ومن هؤلاء الرحالة: عبد الوهاب عزام ، وابراهيم امين الشواربي ، وعبد الله الفياض (من العراق) ، واحمد مكي (من لبنان) .

واما القسم الثاني الخاص بعلوم الفارسية ومعارفها وفنونها ، فتندرج فيه الجهود العربية بأنواعها المختلفة في : التاريخ ، والصلات بين العرب والفرس قديما وحديثا ، والجغرافية والبلدان ، والديـن والفلسفة والتصوف ، والفنون والموسيقى والغناء ، والمخطوطات والكتب والمكتبات .

ففي التاريخ : اصبحت المكتبة العربية تضم عددا من امهات كتب التاريخ الفارسية عن الفارسية مباشرة ، من مثل : شرف نامه لشرف خان البدليسي ، وتسنرنامه ، وتاريخ البيهقي ، وراحة الصدور للراوندي ، وجامع التواريخ لفضل الله الهمداني ، وتاريخ بخارى ، وسياست نامه (سير الملوك) لنظام الملك الطوسي ، وفصول من تجارب السلف لهندوشاه النخجواني، ومن تاريخ جهانكشائي لعطا ملك الجويني ، ومن تاريخ كزیده لحمد الله المستوفى القزويني . يضاف اليها ما ترجم عن غير الفارسية مما كتبه الاوروبيون عن تاريخ ايران ، وما ألفه العرب انفسهم من كتب ، وسطّروه من ابحاث ومقالات .

وكذلك الامر في الصلات بين الامتين على امتداد التاريخ والى الوقت الحاضر ، وفي الموضوعات الأخرى التي اثير اليها آتفا ، وليس هذا مجال الإفاضة فيها ، فهي مستقصاة الى حد كبير في كتابي « التـرـاـث الفارسي عند العرب » .

نماذج للشاق في الجهود العربية :

يبدو جهد الباحثين العرب الشاق في خدمة تراث فارس ، فيما تحمله كثيرون منهم من اعباء ومشاق في سبيل البحث عن مخطوط يحققونه ، او كتاب يؤلفونه ، او اثر يترجمونه .

فالدكتور عبد الوهاب عزام يحدثنا في « مدخله للشاهنامة » ، عما عاناه من مشقة وضنك في التنقل من مكان الى آخر بحثاً عن نسخة الشاهنامة ، إذ سافر على مدى سنتين (١٩٢٧ - ١٩٢٩ م) الى بريطانيا وفرنسا والاسناتنة (استانبول) قبل ان يبدأ بنشر الشاهنامة بالعربية ، غير مكتفٍ بما عُثر عليه من نسخها المخطوطة في دار الكتب المصرية (٧١) .

اما احمد الصافي النجفي ، فما هو ذا يصف تجربته ومعاناته وضنكه وحيرته حين كان يعد نفسه لترجمة عدد من رباعيات الخيام ، وفي اثناء الترجمة ايضا : « وقد ادركتُ حينئذ خطورة موقفي وما يعترضني فيه من العقبات ، مما يدركه كل من عانى ترجمة الشعر بشعر مثله ؛ ولا غرو فإن نقل المعنى شعراً من لغة الى اخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الاصلي ، بحيث لا يبدو عليه اثر التكلف في الترجمة ، امر شاقٌ تهي (تضعف) دونه العزائم ، وتتقف الهمم حائرة امامه . ولكن الرغبة سر النجاح ، والعشق يجتاح العراقيل ويذلل الصعوبات ، فانصرفت وكلي رغبة نحو التعريب (الترجمة) واخذت اجرب قريحتي في . . . بضع رباعيات عرضتها عند ترجمتها على ادباء الفرس العارفين بالعربية وآدابها ، فقابلوها بالاصل وابدوا إعجابهم منها ، وشجعوني على إكمال العمل ، فاخذت أوالي السعي وانفرغ الجهد ثلاث سنوات كاملات لم يكن لي فيها شغل سوى إتمام هذا العمل ، حتى اكملتها ثلاثمائة واحدى وخمسين رباعية . . » (مقدمة الترجمة ، ص ٦) .

٧١ - مدخل الشاهنامة (الترجمة العربية) ١ : ٢ - طبعة الاست ، طهران ١٩٧٠ م .

أمورا مغرقة في القدم ، ما تزال تندرج في تاريخ هذه البلاد وما أنتجته من علم وأدب، حتى تصل بنا الى نهاية الربع الأول من القرن الذي نعيش فيه . ولقد حرص المؤلف على ان يجعل كتابه دائرة معارف « يثبت فيها كل ما نشر من كتب ومقالات وابحاث تتعلق بسائر العصور التي تعرّض لها كتابه ؛ وتُرْتَب على ذلك انه أصبح لزاما على من يتصدى لترجمته ان تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرقيين والمستشرقين التي ذكرها في ثانيا كتابه ، وان يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلّة ويتجنب العثرة . ولطالما صادفتني إشارات اضطررت فيها الى الرجوع الى المكتبات العامة والخاصة في مصر، فوجدت فيها بغيتي أو انصرفت عنها بخييتي لعدم عثوري على المرجع الذي اطلبه ، ثم ظللت اسعى الى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلفتني رهقا وجهدا كبيرا .

ثانيا : إن هذا الكتاب ، وقد مضت سنوات على تأليفه ، يتطلب من مترجمه ان يزود ترجمته بكثير من الحواشي والتعليقات . فمنذ فرغ « براون » من كتابته ، نشرت كثير من الأبحاث والمقالات ، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التي تتعلق بالموضوعات التي احتواها الكتاب ، واصبح لزاما على المترجم ان يشير الى هذه الامور والى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة . ولقد شئت أن أوفي الترجمة حقها فأزودها بما في الوسع من تحشيات وتعليقات ، ولكنني وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف اذا فعلت ذلك ، فاكتفيت مضطرا بجعل تعليقاتي تقتصر على الأهم دون المهم ، وأن ينصرف أكثرها الى التنبيه الى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل الغربية أو العربية التي ذكرها « براون » . . .

ثالثا : اعتمد « براون » في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد بالطبيعة ، بالتأليفات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، ولكنه لم يستطع في الغالب الأعم ، ان يورد لنا شواهد ، في نصوصها الأصلية في هذه اللغات ، واكتفى بإيراد ترجمتها الى الانجليزية ،

ولم يكن من المستساغ عقلاً او المقبول فناً ، ان اعود فأتترجم هـذه المترجمات الى العربية ، لان الترجمة عن ترجمة لا شك تضلل المترجم وتبعده عن الاصل . ومن أجل ذلك ألزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية بنصها التي وردت به في الكتب العربية، اللهم إلا اذا كان الكتاب مخطوطاً وليست له نسخة في دور كتبنا. كما ألزمت نفسي ان أترجم الشواهد الفارسية والتركية عن اصولها في هاتين اللغتين ، وان أثبت اصولها في متن الكتاب او هامشه، حتى تكون في متناول القارئ المتخصص الذي يريد التحقيق والمقارنة . . .

رابعا : إن صاحب هذا الكتاب ، بالإضافة الى تبريزه في اتقان جملة من لغات الأمم الاسلامية ، كان مبرزاً كذلك في طائفة غير قليلة من اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ؛ ومن أجل ذلك كثر نقله عن اللغات « اليونانية » و « اللاتينية » و « الفرنسية » و « الألمانية » ، وغير ذلك من اللغات . وبعض هذه اللغات أعرفها بعض المعرفة ، وبعضها الآخر أجهله جهلاً تاماً ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطراراً الى ان أجا الى أصدقائي كلما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات ، فاستطاعوا مشكورين ان يعينوني على نقله وترجمته .

خامسا : يُعتبر صاحب هذا الكتاب من كبار ادباء الانجليز ، ويستطيع ان ينشئ في الانجليزية نثراً فنياً رائعاً وشعراً فنياً شائقاً ؛ ومن أجل ذلك أغرم بترجمة النثر الفني الشرقي الى نثر فني انجليزي ، وشغف بترجمة الشعر الشرقي الى شعر انجليزي ، فصار من العسير على المترجم في الحاليتين ان يتأنق تأنقه في اصطناع الأساليب وابداع التراكيب ، واصبح عليه ان يتكلف كثيراً من الجهد للوصول الى قرارة هذه العبارات الانيقة والوصول الى معانيها الدقيقة « (٧٥) .

٧٥ - تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي (الترجمة العربية) ، مقدمة المترجم ،

تقدير ايران واليرانيين للجهود العربية :

كان لجهود العرب العلمية في خدمة الفارسية وآدابها صدى جيد في ايران، حكومة وعلماء وباحثين ، وخاصة من يعرفون العربية وآدابها .

التقدير المعنوي :

ولقد قدرت ايران — فيما اعلم — جهود أربعة من رواد الدراسات الفارسية عند العرب ، هم : الدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور ابراهيم امين الشواربي ، والدكتور محمد موسى هنداوي ، والدكتور يحيى الخشاب .

فاما عبد الوهاب عزام ، الذي مثل جامعة القاهرة في المؤتمر الدولي للفردوسي عام ١٩٣٤ م ، فأُنعم عليه بـ " الوسام الهمايوني " تقديرا لجهوده في الشاهنامة بُعيد انتهاء المؤتمر (٧٦) . وقلدته الدولة الوسام العلمي من الدرجة الثانية عام ١٩٣٥ ، واختارته عضوا في المجمع الايراني (٧٧) .

لقد كان عبد الوهاب عزام يستحق كل هذا ، بل أكثر ، لانه وقف حياته على خدمة الاسلام وتراثه بأكثر لغاته . فكان : كما قال عنه المرحوم عباس محمود العقاد في المقدمة التي كتبها لديوانه « المثاني » : « وكان لدراسته الفارسية والاردية أثر في تقريبه ثقافتها ، يحسب من سفارات الادب التي تعاون فيها العلم والعمل » ، وكما قال عنه عبد المنعم خُلاف عندما رثاه « جمع الله في لسانه البسنة العرب والفرس والترک والهند أعظم أمم الحضارة الاسلامية ، وكان موضع ثقتهم وإعزازهم ، وسفير

٧٦ — صالح الشهرستاني : أول اديب مصري ينال الوسام الهمايوني . مجلة الاخاء ، العدد ١٨٢ ، ص ٩ ، السنة (١١) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

٧٧ — قم أدبية ٢٣٩ — ٢٤٠ .

بعضهم الى بعض ، وترجمان التعارف والاخوة بينهم (٧٨) . . « ، وكما قال الدكتور طه حسين « سابق هذا الجيل من علمائنا الذين اشتهرت عنايتهم باللغات الشرقية » (٧٩) .

اما ابراهيم امين الشواربي ، الذي عني بحافظ الشيرازي عناية ما بعدها عناية ، والذي كان يصف إيران بـ « القطر الشقيق (٨٠) ، فقدرت إيران خدماته في حقل الدراسات الشرقية والفارسية عامة ، وفي دراسة حافظ شيرازها وترجمة ديوانه ؛ فمنحته حكومتها وسام المعارف من الدرجة الثانية عام ١٩٥٢ ، وانهت عليه بلقب « مواطن فخري » لمدينة شيراز ، مهد حافظ ومسقط رأسه ولحده عام ١٩٥٥ (٨١) .

واما الهنداوي ، رفيق سعدي شاعر شيراز الآخر في حياته و « بستانه » و « گلستانه » ، فعرفت له وزارة المعارف الايرانية في تلك الايام ، فضله وجهوده في دراسة سعدي وترجمة البستان والگلستان ، وطوّقتة بوسام المعارف الايرانية عام ١٩٥٣ ؛ وكان حينذاك استاذاً بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة (٨٢) . واخيراً منحت جامعة طهران الدكتور يحيى الخشاب درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب الفارسية (٨٣) .

التقدير الأدبي :

وحظيت بعض الجهود العربية بتقديرات وتقويمات أدبية من لدن نفر من علماء إيران وأدبائها المعاصرين ، وخاصة فيما يتصل ببعض ما

٧٨ - المرجع السابق ٢٤١ .

٧٩ - كنز جديد - تاريخ البيهقي (مقال أعادت مجلة الاخاء نشره في العدد ٧٤ ، السنة السادسة ، نيسان ١٩٦٦) .

٨٠ - مقدمة كتاب « إيران : ماضيها وحاضرها » ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ، ص ج .
٨١ - تعريف الدكتور حسنين بالشواربي في أول كتابه « القواعد الأساسية لدراسة الفارسية » .

٨٢ - راجع : مقدمته لترجمة « بستان سعدي » .

٨٣ - جريدة رستاخيز ، العدد ٩٢٧ ، ٢ ترمه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

كُتِبَ عن الخيام أو تُرجم من رباعياته • ولقد شملت عنايتهم ، أكثر ما شملت ، اثنين من أدباء العراق المعروفين بطول الباع في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، وهما الشاعر المرحوم أحمد الصافي النجفي ، والأديب والسياسي القديم عبد الحق فاضل .

فأما أحمد الصافي النجفي ، فقد اتخذ طهران « دارا لهجرته » ثمانية أعوام ، وكان همّه الوحيد فيها ، فيما يقول : « درس الأدب والنفوذ الى معانيه الدقيقة ومرامييه السامية ، لأصل منها الى ينبوع الصافي الذي سألت منه خيالات عمر الخيام، الشاعر الذي شُغِفْتُ به من دون باقي شعراء الفرس (٨٤) . ثم بلغت من درس الأدب الفارسي المنزلة التي كانت تتوق إليها نفسي . وأخذتُ أكتب وأترجم وأنشر باسم « سيد أحمد نجفي » في أمهات الصحف الفارسية . . . (٨٥) » .

وكان من أكبر ثماره في تعلم الفارسية ترجمته لثلاثمائة واحسدى وخمسين رباعية من رباعيات الخيام ، وهي « التي ظهرت في طبعة لندن الشهيرة لرباعيات الخيام مع ترجمة فيترجرالد الانجليزية (٨٦) » . ولقد لاقى ترجمته قبولا من المحافل الأدبية في إيران ، وأكبرت أياها أكبار، حتى قال ملك الشعراء بهار (محمد تقى) : « إن بعض التعريب (يقصد الترجمة) ، مع كونه مطابقا للأصل جداً، فهو يفوقه من حيث البلاغة

٨١ - يقول النجفي :

لروحى في اتقان هذى التراجم	اخيام قد ارسلت روحك هاديا
امارسه من قبل حلّ التمام	فاتي نلبيذ لروحك في الأسى
فما نلت من دنياي غير التشاوم	لئن نلت من بعد التشاوم لذة

٨٥ - كلمة النجفي في اول ترجمته للرباعيات .

٨٦ - النجفي ، صوفيه الغربية ، مجلة البيان - الكويت . العدد ١٢٧ ، اغسطس ١٩٧٧ ،

ص ٤ .

والاسلوب . ومن الامثلة التي استشهد بها على رايه هذا الرباعيــــــــــــة
التالية (٨٧) :

ايا فلكا يربى كل نذلٍ وليس يدور حَسْبَ رضا الكريم
كفى بك شيمة ان رُحّت تهوي بذى شرفٍ وتسمو باللثيم
والاصل الفارسي لها :

اي چرخ خسيس خس دون پرور خس
هرکز نروي توبر مراد دل کس
چرخا فلکا تراهمين عادت بس
ناکس توکسي کنی ، وکس را ناکس

ويذكر ان العلامة صدر الافاضل قال للنجفي : لفرط إعجابه بترجمة
الرباعيات : « اكاد اعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معا،
وقد نُقد العربي منهما فعثرت عليه وانتحلته لنفسك » . وربما كان هذا
الرأي وأمثاله حافزا لأن يقال عن الترجمات العراقية لرباعيات الخيام :
« وقد امتازت ترجمات ادباء العراق عن سواها انها — على الأكثر — نقلت
الرباعيات عن الأصل الفارسي ، وانها ذات نكهة قريبة منه لا تكاد تبعد
عنه إن لم تطابقه . وإنني أجزى لنفسي القول بأن بعض الرباعيات العربية
يفوق الأصل روعة وجمالا ، ولو كان عمر الخيام نظم هذه الرباعيات
بالعربية لنظمها بهذا الشكل (٨٨) . ونشرت مجلة «أرمغان» مجلة النادي
الأدبي بطهران، عددا من الرباعيات المترجمة واصلها الفارسي مسبوقه

٨٧ — ترجمة الصافي ، ص ١٠٧ .

٨٨ — مشكور الاسدي : وقفة على قبر الغيام (الاخاء ، السنة الغامسة ، المسدد ٥٩ ،
كتون الثاني ١٩٥٩) .

بمقدمة ضافية عن مكانة ترجمة الصافي وأهميتها .

وعندما أرسل الشاعر، بعد فراغه من الترجمة ، ستا وثمانين رباعية الى العلامة ميرزا محمد خان القزويني في باريس ليبيدي رايه فيها ، اجابه برسالة طويلة (٨٩) بالفارسية، هي التي أثبتتها المترجم مع ترجمتها العربية في بداية ترجمته . ومما قال القزويني فيها : « اشهد الله انني قمتا رايت بين التراجم التي لا تُعد ولا تحصى للخيام في اللغات المختلفة، ترجمة صحيحة ومطابقة للأصل كترجمة سيادتك » ، وقال : « ولكن من حيث مطابقة الترجمة للأصل — في الحدود التي يسيفها لك التقيد بالوزن والقافية في الترجمة الشعرية — ، فالحق والانصاف ، كما عرضت لك ، جُدت كثيرا كثيرا في الخروج من عهدتها ، ولعلهُ يمكن ان يقال إن هذه الترجمة اقرب جميع الترجمات الشعرية للخيام بلا استثناء . . . »

واما عبد الحق فاضل ، فقد أتيج له ما أتيج لابن وطنه الذيفي من ترجمة عدد من الرباعيات، هي التي ضمّتها القسم الثاني من كتابه « ثورة الخيام » . خلال وجوده قنصلا للعراق بطهران في أواخر الأربعينات من هذا القرن، وقبض الله له من الايرانيين من يشيد ببراءته وقدرته في ترجمة الخيام وفهمه وسبر اغواره ، الا وهو الاستاذ سعيد نفيسي المحقق الايراني المعروف، الذي قال في مقدمته لكتاب عبد الحق فاضل ، وهي مترجمة عن الفارسية ، « كان المؤلف المحترم قد استودعني كتابه (ثورة الخيام) قبل طبعه ، وقد قرأته قراءة إمعان . لم يبلغ أحد حتى اليوم هذا المنحى وهذه الدرجة من الكمال في تحليل نفس الخيام واكتناهاها وتمحيص أفكاره . لقد استهواني هذا الكتاب الى حدّ صرت معه أترصد بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي أقرأ فيه نسخته المطبوعة ايضا مرارا عديدة اخرى » .

وقال : « لما سرتني الشاعر المفلح آقاي (السيد) عبد الحق فاضل قنصل العراق في طهران برؤيته (عام ١٩٥٠) ، وتلا عليّ بعض رباعيات الخيام التي ترجمها حديثا باللغة العربية بمقدرة بالغة وحذق يبعث الدهشة ، علودت ذهني نفس الفكرة ، وهي ان هذا الحكيم النيسابوري الكبير أسعد شعراء الدنيا حظا في الحقيقة ، إذ يتاح له مثل هؤلاء المترجمين والمعرفين الامذاذ في مختلف اللغات » .

وأشاد الدكتور محمد محمدي، الاستاذ بجامعة طهران، بعملين آخرين : احدهما في باب الترجمة ، وهو « نفحات من خمائل الادب الفارسي » لجعفر الخليلي ، والآخر في الدراسات المقارنة ، وهو « تأثير نرهنگ عرب در اشعار منوچهری دامغانی » للدكتور فكتور الكك .

يقول عن الأول : « ... إن الأشعار المختارة اكثرها من الابيات السائرة المعروفة في الفارسية ، وذلك لجمعها بين جزالة اللفظ ، وسهولة النظم ، والايجاز في التعبير عن فكرة او نكتة اراد الشاعر بيانها . وقد حذا الشاعر المترجم في تعريبها حذو الاصل ، فراعى في الترجمة كل ما امكنت رعايته ، ونقل الى العربية كل ما تسمح هذه بنقله اليها من خصائص اللغة الفارسية ، فجمع بين دقة التعبير وجمال العرض . وهذا ما يجعل القارئ يقدر شاعريته الفذة من جهة ، ويرتاح الى حسن اختياره ، ورفعة ذوقه من جهة اخرى » (مقدمة الترجمة) .

والحق ان الدكتور محمدي عبّر عن كل ما بنفسه حول « نفحات » الاستاذ الخليلي ، انظر الى قول سعدي :

من ازجفات نترسم ولي ازآن ترسم كه عمر من بجفا كردنت وفا نكند

ثم انظر الى ترجمة الخليلي :

ا: ما ان خفت يا حبيبي ، نخوفي لم يكن من جفاك او اغضائك
لنما خيفتني بأن يقصر العمر ويمضي ، فلا يفني لجفائك

ويقول محمدي عن الكتاب الآخر « ان الكتاب نموذج لدقة بحث مؤلفه الفاضل وحسن ذوقه وسليقته ، وهو يملا حيزا في الادب الفارسي ، وفي موضوع الادب المقارن ، ظل شاغرا الى الآن » (مقدمته الفارسية للكتاب ، ص ١٧) .

واما المرحوم صادق نشأت فقد نوّه في تقريره عن « وضع زيان فارسي در مصر (٩٠) » (الفارسية في مصر) ، أيام كان مستشارا ثقافيا لايران في القاهرة واستاذا للفارسية في جامعاتها ، بجهود الرعيل الاول من المصريين وخدماتهم العلمية للفارسية وآدابها ، ومن هؤلاء: عبدالوهاب عزام ، ويحيى الخشاب ، وابراهيم امين الشواربي ، ومحمد موسى هنداوي ، وطه ندا ، ومحمد كفافي ، واحمد الساداتي ، ومحمد غنيمي هلال ، وحامد عبد القادر ، وعبد النعيم حسنين ، وفؤاد الصياد ، وحسين مجيب المصري ، وامين عبد المجيد بدوي ، واحمد رامي .

الدكتور يوسف حسين بكار

اهم المصادر

- آل علي ، نور الدين (الدكتور) :
الصحافة الفارسية في مصر . مجلة المنتدى . السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ .
- الاسدي ، مشكور :
وقفه على قبر الخيام . مجلة الاخاء ، السنة الخامسة ، العدد ٥٩ ، كانون الثاني
١٩٥٩ .
- البارودي ، محمود سامي (الشاعر) :
ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- البدوي المئتم (يعقوب العودات) :
عرار شاعر الاردن ، ١٩٥٨ (دون ذكر مكان الطبع) .
- البستاني ، فؤاد افرام (الدكتور) :
١ - بين العربية والفارسية . مجلة الدراسات الادبية . السنة الثالثة ، العدد الاول
١٩٦١ .
٢ - سليمان البستاني (سلسلة الروائع ، رقم ٤٤ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٣)
- جرجي زيدان :
تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر . الطبعة الثالثة ، مطبعة الهلال ،
القاهرة ١٩٢٢ .
- الحوفي ، محمد احمد (الدكتور) :
تيارات ثقافية بين العرب والفرس . القاهرة ١٩٦٨ .
- رستاخيز - جريدة بالفارسية ، العدد ٩٤٧ ، ترمهه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .
- سوييف ، مصطفى (الدكتور) :

الاسس النفسية للإبداع الفني . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ .

— الشهرستاني ، صالح :

اول اديب مصري ينال الوسام الهمايوني — مجلة الاخاء . السنة (١١) ، العدد (١٨٢) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

— الشواربي ، ابراهيم (الدكتور) :

١ — مقدمة تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ، لبراون (الترجمة العربية) ، كمبردج ١٩٥٤ .

٢ — مقدمة كتاب « نظمي الكنجوي شاعر الفضيحة » للدكتور عبد النعيم حسنين ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٤ .

— شيخو ، لويس :

١ — الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٢٤ .

٢ — الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٦ .

— صقر ، عبد البديع :

شاعرات العرب ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٧ .

— الصياد ، فؤاد عبد المعطي (الدكتور) :

دور الفرس في بناء الحضارة الاسلامية ، بحث في كتاب : الصلات الثقافية بين ايران والعرب ، القاهرة ١٩٧٥ .

— الطرازي ، مبشر :

الكتاب الايراني في مصر ، بحث في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

— د.ه حسين (الدكتور) :

١ — كنز جديد — تاريخ البيهقي (ترجمة الخشاب ونشأت) . الإخاء ، السنة السادسة ، العدد (٧٤) ، نيسان ١٩٦٦ .

٢ — مقدمة كتاب ((حافظ الشيرازي شاعر الفناء والغزل في ايران)) للدكتور ابراهيم الشواربي مطبعة المعارف ، القاهرة ١٩٤٤ .

٣ — مقدمة ((اغاني شيراز)) (ترجمة ديوان حافظ) ، للدكتور الشواربي ، الجزء الاول لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٤ .

— عزام ، عبد الوهاب (الدكتور) :

١ — فصول من المتنوي (المقدمة) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ .

٢ — مدخل الشاهنامه (الترجمة العربية) ، طبعة الانست ، طهران ١٩٧٠ .

— عواد ، كوركيس :

معجم المؤلفين العراقيين ، بغداد ١٩٦٩ .

— كفاي ، محمد عبد السلام (الدكتور) :

في الادب المقارن ، دار النهضة العربية : بيروت ١٩٧٢ .

— المصري ، حسين مجيب (الدكتور) :

١ — ايران ومصر عبر التاريخ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٢ — في الادب العربي والتركي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ .

— مي زيادة :

شاعرة الطليعة عائشة تيمور ، دار الهلال ، العدد (٦٨) .

- النجفي ، احمد الصافي :
مقدمة ترجمته لرباعيات الخيام .
- نشأت ، صادق :
- وضع زيان فارسي در مصر (وضع الفارسية في مصر) ، مجلة دانشكده ادبيات
تهران سال (٨) ، شماره (٢) ، ديماء ١٣٣٩ شمسي .
- نعمات احمد فؤاد (الدكتور) :
تم ادبية ، عالم الكتب ، القاهرة ، دون تاريخ .
- الهنداوي ، محمد موسى (الدكتور) :
مقدمة ترجمة « بوستان سعدي الشيرازي » الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ .
- هيكل ، محمد حسين (الدكتور) :
مقدمة ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- وحيد الدين بهاء الدين :
شخصيات من الادب المعاصر ، حلب . ١٩٧٠ .

كشَف الحَقَّاءِ فِي البَيْعَةِ لِعَليِّ الرِّضَا لِلدُّكْتورِ مُحَمَّدِ رَضِيْفِ اللُّهُبْرِيَانِيَه (جَامِعَةُ اليرموك / الأردن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتبها فيهم
بترتيب البيعة لهم، فاعتدها أولا لمحمد الأمين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم
عقدها للقاسم المؤتمن. فقال بعض الناس: أحكم الرشيد أمر الملك. وقال
بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنية هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين،
فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت إليه أمور خراسان منذ
خلافة والده . إلا أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تدم، واخذت حاشية
كل منهما تزين لصاحبها الكيد لأخيه، وأسفرت المحاولات التي كانت
ترمي إلى الإيقاع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة
لولده من بعده ، والغاء عقد بيعة أخيه المأمون، وودق طبول الحرب بينهما،
ثم أعلن خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢). وهاجت
الحرب بين الأخوين، وسيقت الجيوش إلى ميادين القتال تباعا، ثم قتل الأمين،
وخلص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرف أمور الدولة من مرو،
حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان إلى نظر الحسن بن سهل

١ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . تحقيق محمد أبو
الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٤ - ٤١١ .

أخي وزيره ومدبّر أمره في خلافه مع الأمين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الأحوال بعد مقتل محمد الأمين، وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد الى بلد. ثم حملت الأخبار قرار المأمون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده^٤ وتسميته الرضا من آل محمد، ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة. ثم وردت الكتب بذلك الى الآفاق، وطلب الى الولاة أن يأخذوا البيعة له على الناس، وأن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المأمون (٣) . فلما كان ذلك ، أتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا اراد المأمون أن ينقل الخلافة من بني العباس بن عبد المطلب الى بني علي بن أبي طالب ؟

وهل كان المأمون جاداً في قراره ؟

كانت هذه المبادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية-العلوية من قبل، وقد سبق المأمون اليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس، ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته — يعني المأمون — نقل الدولة من بني العباس الى بني علي، عليه السلام » .

تناولت الأخبار التاريخية « اختراع المأمون » بالتحليل ، وقدّمت ما رآته من الدوافع التي أدت الى اتخاذه، وجعلت المأمون يقبّل عليه . وستتناول هذه الأخبار على النحو التالي :

أولاً : الأخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود

٢ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاة مصر ص ١٦٨ .
تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن المبراني / الاتباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق
قسم السامرائي، لايدن ١٩٧٢ م .

٤ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٢ .

الى تتوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال أبو جعفر الطبري : « وذلك انه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا اعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي رضي الله عنهم عظم يجد في وقته احدا هو افضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في اخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا اعلم من علي الرضا ، فولاه عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو ان هذه الاخبار تحمل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها، ولا ندري كيف وقع للمأمون ان علي بن موسى افضل هؤلاء. وقد شك ابن الطقطقي (٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصالح علي ، فقال : « إن المأمون قد فكّر في حال الخلافة بعده ، و اراد ان يجعلها في رجل يصلح لها لتبرا ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى ان يتم العهد

-
- ٥ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ .
- ٦ — المسعودي / مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٧ — مسكويه / تجارب الامم ص ٢٣٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب العيون والحدائق مكتبة المتنى — بغداد .
- ٨ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

للرضا (٩) .

ثانيا : الاخبار التي تذكر ان سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إن انتصر على أخيه الأمين .

قال الأصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله أن اخرجها الى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع » وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل . (١٠) .

وساق القمي حديثا طويلا مفاده ان المأمون عين علي بن موسى خنيفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إن نصره على أخيه الأمين ، وافضت الخلافة اليه ، أن يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى . فلما تم الامر للمأمون ، لم ير أحدا احق بالخلافة من أبي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر ، ميول رواة الخبر الشيعية ؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون عليا لولاية العهد وجعله سري الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء أن المأمون لما رأى آل علي بن أبي طالب متخشين متخفين من خوف أبي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس ، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمور العلويين بالاختفاء ، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتقوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التغالي ، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ، ثم فكر انه اذا

٩ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط - دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ - الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٢ طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ - القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ - ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة - الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به، فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا، ورأى أن يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس، فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم، فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيستقلوا من اعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمًا .

وأورد القمي خبرا شبيها بالذي أورده القنطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده . . ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما أورده القمي والقنطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو أن يكون تفسيرا منهما لقضية البيعة، وإلا فإن علي بن موسى لم يكن اماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان اماما لفئة منهم. وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥) لم تختصر واحدة من هذه الثورات عليا رئيسا لها، وإنما اختارت غيره، وإذا كان المأمون أراد بفعلته أن يفضح العلويين المتخفين ويكشفهم امام المخدوعين بهم ويمزق استار القداسة المضروبة عليهم، فإن المأمون يكون قد فاتته هذا الغرض، لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الامور، وعرفوا ما كان منهم من خير او شر ، واطافة الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من امور الحكم شيء .

رابعا : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين، وقد حمله افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

١٣ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ - انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .

الحسن النويختي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استانبول ١٩٢١ م .

سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ - ٥٤٤ .

قال القمي : « قال المأمون اندرون من علمني التشيع . . . علمنيه
الرشيد ه قيل له؛ وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان
يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل — المأمون — ولي العهد
من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله على ذلك
امراطه في التشيع، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر
اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون، فيبدو ظاهره المتمثل
بالبيعة لعلي بن موسى متهوما ومتهوما باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن
موسى أنه كان يحدث أصحابه الذين يثق بهم عن المأمون واحاديثه في إمامة
علي بن ابي طالب وتفضيله عن سواه، ويقول لهم : « لا تغتروا منه بقوله،
نما يعقلني والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب
دعواهم امر الخلافة، فلما أجاب علي أن ذلك كان بقرابة علي بن ابي طالب
وناطمة من الرسول عليه السلام، قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته
من كان أقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده — نسبه — وان كان بقرابة
فاطمة من الرسول، فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في
هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ فاذا كان الأمر كذلك، فان عليا قد ابتزها حقهما
وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

١٦ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ٢٤ مخطوط .

١٧ — السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ . الطبعة الاولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين .

١٨ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ — ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على ان المأمون لم يصدر فيها
اتخذة عن نفس مطمئنة بالتشيع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القفطي يذكر ان المأمون كان ينوي بعد قضاء
غرضه من البيعة لعلي بن موسى، ان يرّد الأمر الى حالته الاولى « . (٢٠)
يتضح مما سبق ان المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلي بن موسى
واتمامها له، وانما يبدو أن في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض، وقد
يجلبها لنا تتبع الاحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة، والخاتمة التي
انتهت اليها .

اما فيما يتعلق بالاحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين
الامين والمأمون، والاطراف التي شاركت فيه وصنعته رغبة منها بالسلطان
والاستبداد به وتعزيز تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الامين وقيام
المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون،
ويتستر به، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على راسه ، وهزيمة للاتجاه
الثاني الذي كان يقف وراء الامين ويراسه الفضل ابن الربيع .

إلا ان بقاء المأمون في مرو، حاضرة خراسان، بعيدا عن بغداد دار خلافة
أبيه ، اعطى من حوله مركزا افضل، وعزز موقعهم في الدولة، وصار لهم
القول والفصل في امور الدولة ومصالح الناس، وفاض الفضل بن سهل
بالنصيب الاوفى من ذلك، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله
مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعديا على سلطان الخليفة المأمون، مارسه هؤلاء من خلال
الذالة التي اوجبوها على المأمون، الذي يقيم في خراسان بين انصاره — من

٢٠ — القفطي / اخبار العلماء بلغبار الحكماء ص ١٥٠ .
٢١ — الجهشيلاري / الوزراء والكتب ص ٢٠٥ — ٢٠٦ الطبعة الاولى ١٩٢٨ مكتبة الباسي
الطبي / القاهرة .

أخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيوفهم ، وقدضخمت
الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ،حتى قيل إن المأمون
وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل،وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار
ما ييّر من أمر ويتخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد
غالبا الى الفضل بن سهل ،وقد يكون من هذا القبيل ما تُسبب الى الفضل
ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل اهل خراسان على المأمون ونصرتهم
له في سوق الملك اليه،قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مك ة منها آباؤه وجدوده
غير انا نحن الذين غزونا . بماء الملا فأورد عوده
من خراسان اتبع الامر فيهم وتوثقت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصب ح وشقّ الظلام منه عوده
ويبدو ان هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس
المأمون،وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .

واذا اضفنا الى تسلط اعوان المأمون من خلال الدالة عليه ، صدى
قتل الامين واستنكار اهل بغداد ، بخاسة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى
المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في
إقامته بمر .

٢٢ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا
ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٣ - المرزباني / مجمع الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ - لكر الجهشيارى ان الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الامين : ما
فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس والسنتهم . انظر : الجهشيارى / الوزراء
والكتاب ص ٢٠٤ .

ثم استغلّ العلويون الفرصة، واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للأمين، نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله، مثل الفضل بن الربيع أيام قتل الأمين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة، وتحذوا الحسن ابن سهل، مثل المأمون في بغداد، ووقعت الحرب بين الجانبين. وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥)

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها، وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها، وكفّ الاعتداء على سلطاتها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته، هما رجاء بن ابي الضحاك وفرناس الخادم، وامرهما ان يأتيا المدينة المنورة، ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما احضراه ، عقد المأمون البيعة بالمعهد له (٢٦) ، واعلن ذلك في الافاق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الآتفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون، وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك . لذلك سنتابع التطورات التي طرأت بعد اعلان البيعة لعلي بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعِين على توضيح غرض المأمون ومغزاه من البيعة لعلي، وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد، باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

٢٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٤ .

ابن العبراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٢٥٧ هـ .

تحقيق عبد الوهاب النجار .

ومما يلفت النظر أن مقرّ الخلافة ، وأين يكون ، كان واحدا من أبرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين، واعطاء كل جانب أهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلافة . ويبدو أن الفضل بن سهل رأى أول الأمر أن البيعة لعلي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيدا عن بغداد، لذلك أظهر رضاه عن البيعة. وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب الى القول بأن الفضل بن سهل زين للمأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا (٢٧) .

أما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقى أغلبهم اعلان البيعة بالسخط والانكار، وكان بنو العباس أشدهم في ذلك نكيرا ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار، ونبهوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي ، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسرويا، وأنه زين اتخاذ لباس الخضر، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم وأعلنوا خلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي (٢٨) .

أخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تسياوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلتمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذته المأمون عليه ، فصار يحاول جاهدا تعمية الاخبار على المأمون ومنع وصولها اليه، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه أنه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن اعين الذي قيل إنه

٢٧ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون

اخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

٢٨ - انظر من أجل ذلك : الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليظلمه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل واعوانه ، وما يخوض الناس فيه، وليردّه السى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلي بن موسى وبقيم عليه المراصد للوقوف على اخباره (٣٠) .

اما فيما يتعلق بعليّ بن موسى فان الاخبار تشير الى انه كان قد اوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له، وانه اقتيد الى ذلك اقتيادا، فيذكر القمي انه لما اراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتلّ علي بعقل كثيرة (٣١)، ويقول ابن العمراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا أمير المؤمنين : إن هذا الأمر لا يتمّ فاعفني، فلم يُعفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشمر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بسن سهل، وتفتابه حالة من الشك والقلق، وتستبد به الظنون، وكثُر ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصا مما يجري (٣٣) .

اما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل، وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ، فلما اطمأن الى رغبة القادة الملحّة من حوله في العودة السى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل واعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة اهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبرّمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفا أنسأهم قتل الأمين ، اعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

٢٩ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣٠ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواضع متفرقة - مخطوط .

٣١ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ - ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢

مخطوط . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٦٤ .

تقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيل،
 ويعرض عليه مواع ذلك، ويذكره بقتل اخيه الامين ومعاذة اهل العراق له،
 والبيعة لعلي بن موسى، وازالة الخلافة عن بني ابيه بني العباس وتغيير
 قلوبهم له؛ ولكن المأمون اعرض جانباً عن نصائح وزيره، وطلب اليه ان
 يستعدّ للرحيل معه الى بغداد، فلما رأى الفضل بن سهل ان المأمون جاد في
 الامر . اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا امير المؤمنين إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة، والناس
 يلومونني بقتل اخيك المخلوع وبيعة الرضا، ولا آمن السعاة والحساد واهل
 البغي ان يسعوا بي، فدعني اخلفك بخراسان ». فلم يوافق المأمون، واعلمه
 عدم استغائه عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو ان ليس ادل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعة
 لعلي بن موسى من هذا الحال الذي صار اليه الفضل بن سهل من ضعف
 الحول وقله الحيلة . فلما بلغ المأمون ببعض الطريق . قيل في سرخس :
 قتل الفضل بن سهل، فاتهم المأمون بقتله . (٣٥) وقيل ان القتلة قالوا للمأمون
 عند مثلهم بين يديه : انت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس . مات علي بن موسى . قيل في اكناره
 من اكل العنب (٣٧) وقيل في السُم (٣٨) وقيل اعتلّ اسابيع ومات (٣٩) .

٣٤ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٣٥ - المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٣٦ - ابن الطنطقي / الفخري ص ١٩٢ .

٣٧ - المسعودي / المروج د ٤ ص ٢٨ .

٣٨ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي د ٢ ص ٤٥٢ .

الاصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٣٩ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي د ٢ ص ٤٥٢ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه إليها، بلا الفضل بن سهل، وبلا
علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعها له، وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين ، مفتاح رحمة لك ، ولن قدمت عليه
من رعيتك ؛ فقد أشرقت البلاد حين حلتُ بها ، وآنس الله بقربك أهلها ،
ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب
من مقدمك عدلا يحييها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد، قيل ثمانية، وهو يلبس لباس الخضر، ولم
يكن أحد يجتري أن يلبس شيئا من لباس السواد ؛ فلما رأى طاعة الناس
له، طرح لباس الخضر وأمر بلباس السواد، وعمّ الناس بعفسه
واحسانه (٤١)، ولم يعد الى تعيين ولي عهد علوي آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المأمون كان خطة
ذكية، وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمى الاتجاهات والأغراض السياسية
المتضاربة، وانقاذ الموقف السياسي المضطرب، ولم يكن عملا جادا لنقل
الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينة

٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار الحسيني ،

٤٠ و ٤١ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار

الحسيني ،

موقف من يونس بن حبيب

للككتور محمود حسني محمود

(الجامعة الأردنية)

- ١ -

هو (١) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي البصري . يكاد أغلب الذين ترجموا له أن يتفقوا على أنه واحد من الموالى العرب ، ولكنهم حاروا في من كان مولاه ، فقيل (٢) انهم بنو ضبة ؛ وقيل (٣) بنو ليث بن بكر ، وقيل (٤) بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة . أما صاحب « معجم الأدباء » فقد رأى أنه ضبي نسبة صريحا ، ولكنه عاد وروى أنه مولى بني ليث ؛ قال (٥) : « أبو عبد الرحمن الضبي وقيل الليثي بالولاء » . وكان نسب يونس يحير أبا الحسن الخزاز الذي لم يستطع أن يتحقق من الأمر ، فكان يقول (٦) : « لا أدري هو مولى أم لا » . وفي جميع الأحوال فإن يونس يبقى عربي الأصل . ولم يذهب أحد الى أنه غير ذلك سوى صاحب «مفاخر»

١ - طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٢ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٣ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . معجم الادباء : ج ٢ / ٦٤ . الفهرست : ص ٧٩ .

٤ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ .

٥ - ج ٢٠ / ٦٤ .

٦ - الفهرست : ص ٧٩ .

العجم « الذي ادعى (٧) أنه أعجمي الأصل ، مفتخرا بذلك ، توها (٨) منه أنه من اهل الجبل، بينما هو في الحقيقة من مواليد جبل (٩) : القرية الواقعة (١٠) بين النعمانية وواسط ، ولعل لفظ « جبل » هو الذي اوهمه انه من اهل الجبل .

وقد قدر الله ليونس أن يعيش عمرا مديدا ، اختلفت الروايات (١١) في تقديره ، وتراوح فيها بين ٧٨ سنة الى ١٠٢ من السنين ، ولكن الاغلب أنه عاش ٨٨ عاما ، او قريبا منها ، وأنه توفي سنة ١٨٢ هـ .

ويبدو أنه فرغ حياته تماما من أجل العلم ، ولم تشغله شواغل الدنيا « فلم (١٢) يتسر ، ولم يقزوج » ، و « (١٣) لم تكن له همة الا طلب العلم ، ومحادثة الرجال » ولعلّ عدم انشغاله بشيء غير العلم يسّر عليه جهدا في امتلاك حصيلته العلمية التي وصل اليها ، وامكنه من الحفاظ عليها حتى قبل فيه قول ظريف : « (١٤) مثل يونس كمثل كوز ضيق الراس ، لا يدخله

٧ - الفهرست : ص ٧٩ .

٨ - تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : ج ٢ / ١٣٠ .

٩ - وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

١٠ - معجم البلدان : ج ٢ / ١٠٢ . قال ياقوت : « بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب

الشرقي كانت مدينة واما الان فاني رايتها مرارا وهي قرية كبيرة ، قال البحرني :

لئن اوحشتي جبل وخصاصها لما انستني واسط وقصورها » .

١١ - ولعل اصحها تلك التي وردت على لسان الجاحظ في حديثه للمبرد، وتفيد بان يونس توفي

سنة ١٨٢ هـ وهو ابن ثمان وثمانين (مراتب النحويين ص ٢١ وانظر الحيوان ج ٥ /

٥٩١) . وهذه الرواية تتطابق مع ما ورد على لسان اسحق بن ابراهيم الموصلي في

الفهرست ص ٧٩ .

اما لي : البداية والنهاية : ج ١٠ / ١٨٤ . فقد ورد انه توفي عن ٧٨ سنة . وفي طبقات

المفسرين ج ٢ / ٢٨٦ وبغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ توفي عن تسعين . وفي احسدي

روايات الانباء : ج ٤ / ٧١ انه جاوز المائة .

١٢ - انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ . طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٦ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ .

١٣ - الفهرست : ص ٧٩ . وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ .

١٤ - طبقات النحويين واللغويين : ص ٥١ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

شيء إلا بعسر ، فإذا دخله لم يخرج منه « أي لا ينسى . وبقي يونس يفيد من علمه الى أن (١٥) « تفرغ من الكبر » ، إذ وصل عمراً لا احد يرجو أن يصل اليه ، فقد « (١٦) دخل المسجد يوماً وهو يهادي بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه على مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، قال : هو الذي ترى ، فلا بلِّغته . » .

وكان يونس ذا نظرة تأملية ، وصاحب رأي في بعض الجوانب الحياتية ، فكان يقول : « (١٧) ثلاثة والله اشتهدني أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم ، عليه السلام ، فأقول له : قد مكّنك الله من الجنة وحرّم عليك شجرة ، فقصدت لها حتى القيتنا في هذا المكروه ؟ . ويوسف ، عليه السلام ، فأقول له : كنت بمصر ، وإبوك عليه السلام بكنعان ، بينك وبينه عشر مراحل ، يبكي عليك ، لم لم ترسل اليه : إني في عافية ، وترىحه مما كان فيه من الحزن ؟

وطلحة والزبير أقول لهما : عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، بايعتماه بالمدينة ، وخلصتماه بالعراق ، لم ؟ أي شيء أحدث ؟ »

وللشباب والاحباء عنده مكانة غالية حين يقول (١٨) :

شيطان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يلبغا المعشار من حقيهما ، شرح الشباب وفرقة الاحباب

وللعلم عنده مكانة لا تدانيها مكانة ، فكان يقول : « (١٩) إن علمك

١٥ - الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ .

١٦ - مراتب النحويين : ص ٢١ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

١٧ - أخبار النحويين البصريين : ص ٢٩ .

١٨ - سفرات الذهب : ج ١ / ٣٠١ .

١٩ - الحيوان : ج ١ / ٦١ .

من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن » .

تتقف يونس ثقافة واسعة تمثل ثقافة عصره ؛ وكان متجلبا في اكثر من علم واحد : فهو عالم بالانساب ، يُضرب به المثل في الدراية بهذا العلم والتمكّن منه • قال الجاحظ في حديثه عن الحمام : « (٢٠) ووصف الهذيل المازني مثنى بن زهير وحفظه لانساب الحمام ، فقال : « والله لهو انسب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دعامة للناس ، بل هو انسب من ابي بكر الصديق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل اعرف بالامهات المنجبات من سُحيم بن حفص ، واعرف بما دخلها من الهجنة والإقراف من يونس بن حبيب » .

وهو قصاص من اولئك الذين كان الناس يتحلّقون حولهم في المساجد ويستمعون الى ما يروونه من احاديث واخبار • ويبدو أن الموضوع الذي كان يدور حوله القصاص — كما يبدو من خلال ذكر (٢١) الجاحظ لهم — هو تفسير آيات القرآن الكريم ، فبرع يونس بين المفسرين ، (٢٢) وترجم له في طبقاتهم ، ولا سيما وقد ألف كتابا سماه « (٢٣) معاني القرآن » • ولعل يونس في تأليفه هذا الكتاب هو الذي اوحى الى تلامذته : ابي

٢٠ — الحيوان : ج ٢ / ٢١٠ .

٢١ — انظر البيان والتبيين : ج ١ / ١٩٢ — ١٩٤ .

٢٢ — انظر : طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ — ٢٨٦ .

٢٣ — انظر : الفهرست : ص ٧٩ . وقد خلط صاحب مجمع الادباء (ج ٢٠ / ٦٧) بين معاني

القرآن و « النوادر » فذكره باسم « معاني القرآن الكبير » « معاني القرآن الصغير »

مع ان كتاب المعاني كتاب واحد ، اما النوادر فالف فيها كتابين : الكبير والصغير كما

سرد فيما بعد .

عبيدة (٢٤) والكسائي (٢٥) والأخفش (٢٦) والفراء (٢٧) أن يسلكوا مسلكه ويؤلفوا كتباً في الموضوع نفسه تحمل اسم الكتاب الذي ألفه . وله آراء (٢٨) تفسيرية تناقلتها الكتب بعده .

وهو ناقد أدبي مؤهل بكل متطلبات النقد ، كان «٢٩» عالماً بالشعر ، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب ، حافظاً لانسابهم « ، مرجعاً لمن كان الأدب يشكل جزءاً من تفكيرهم وهمومهم ؛ قدم (٣٠) عليه جعفر بن العباس من عند الخليفة المهدي وقال له : أنا وأمرؤنم اختلفنا في هذا البيت :

والشيبُ ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجاتبه نهار
فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل ، الليل الذي تعرف والنهار . النهار الذي تعرف ، فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان ، والنهار فرخ الحبارى . فقال أبو عبيدة في البيت ما قاله يونس . والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وكان الشعراء يذهبون إليه يستأنسون برأيه ، قبل أن يذيعوا أشعارهم للناس ؛ حتى أن بعضهم كان يتخذ من رأيه القول الفصل ، فأما أن يظهر شعره وأما أن يلتقيه ولا يلتفت إليه . قدم (٣١) عليه مروان بن

٢٤ - انظر انباء الرواة ج ٣ / ٢٥٦ .

٢٥ - انظر نزهة الالباء ص ٦٠ .

٢٦ - انظر انباء الرواة ج ٢ / ٤٢ .

٢٧ - انظر : نزهة الالباء ص ٨١ .

٢٨ - انظر : الحيوان ج ٥ / ٢٤٠ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٥٤ (مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٧٤) .

٢٩ - معجم الادباء ٢٠ / ٦٤ .

٣٠ - وفيات الاعيان ٧ / ٢٤٧ .

٣١ - الموشح ص ٥٠ معجم الادباء ج ٢٠ / ٦٦ .

أبي حفصة ، وقال له : لقد قلت شعرا أعرضه عليك، فإن كان جيدا أظهرته،
وإن كان رديئا سترته ، وأنشده :

طرقتك زائرة فحّي خيالها

قال : فقال له : يا هذا ، اذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله
فيه أشعر من الأعشى ، يريد في قوله (٣٢) :

رحلت سمية غدوة أجمالها

فقال له مروان : قد سؤتني وسررتني ، فأما الذي سررتني به
فلارتضائك الشعر ، وأما الذي سؤتني به فلتقديمك إياي على الأعشى ،
قال : نعم ، إن الأعشى قال :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبحت حبة قلبها وطحالها .

والطحال لا يدخل في شيء الا أفسده ، وأنت لم تقل ذلك .

وكان يستطيع ان يميز رواية الشعر صدقتها من كذبها ؛ فقد روي (٣٣) .

لأبي عمرو بن العلاء — بحضور يونس وأبي عبيدة — ان الوليد بن عبد الملك
لام العجاج لقوله شعراً في عمر بن عبيد الله بن معمر أفضل من ذلك الذي
قاله فيه ، فقال يونس لأبي عبيدة بعد سماع الرواية : اتصدق بهذا ؟ ما
كان من هذا شيء قط ، ولا كان الوليد يحسنه . قال عمر بن شبة : ولا
أحسب يونس الا قد صدق ؛ كان الوليد لحانا ، وكان عبد الملك يعتمر من
ذلك ، ويقول : « شغلنا حب الوليد عن تأديبه ، لكن هذا سليمان فاسألوه
عما شئتم » .

وكان الشعراء يحفلون بقوله وبينون عليه شعراً ، فقد (٣٤) بنى

٢٢ — ديوان الأعشى ص ٢٧ قصيدة رقم ٢ .

٢٣ — الموضع ص ١٩٦ .

٢٤ — نوفايات الاعيان ج ٧ / ٢٤٦ .

منصور النمري على قول يونس : « ما بكت العرب على شيء في أشعارها
كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه » ؛ فقال من جملة قصيدة يمدح
بها هارون الرشيد :

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبسع
وليونس قول ذائع يدل على دقة حكمه ومعرفته بطبيعة الشعر ، وما
يتحكم في جودته ؛ فقد سأله ابن سلام عن اشعر الناس ، فقال : « (٣٤) لا
أومىء الى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا
رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب » . وكان يقول عن الشعر :
« (٣٥) انه كالسراء والشجاعة والجمال ، لا ينتهي فيه الى غاية » .

وكان للشعراء عنده مكانة عالية ، وعلاقة وثيقة ؛ ولعل أمثن هذه
العلاقات تلك التي كانت بينه وبين العجاج ورؤية ، حتى انها كانتا عنده
« (٣٦) اشعر أهل القصيد » . وقد « اختص بالرواية عن رؤية
وتعصب له » ؛ وكان يهب للدفاع عنه اذا ما حاول احد ان ينال منه ؛
فهذا (٣٨) شبيل بن عزرة يدخل على ابي عمرو بن العلاء — يونس حاضر
— فيبدي استغرابه من ان رؤية لا يعرف اشتقاق اسمه ، فيثب يونس ،
ثم يجلس بين يدي شبيل ويقول له : « لك تظن ان معد بن عدنان كان أفصح
من رؤية ؟ فانا غلام رؤية . فما الرؤية والرؤية والرؤية والرؤية ؟

٢٤ — معجم الادباء ج ٢٠ / ٦٥ ، خزنة الأديب ج ١ / ١٧٥ .

٢٥ — طبقات نحول الشعراء ص ٦٦ (مطبعة المدني — القاهرة ١٩٧٤) .

٢٦ — خزنة الأديب ج ١ / ٩٠ .

٢٧ — الرواية والاستشهاد باللغة ص ١١ .

٢٨ — مراتب التحويين ص ٢٢ . خزنة الادب ج ١ / ٩٠ .

كان شبيل بن عزرة راوية نسابا عالما بالغريب ، وكان شاعرا ، نشئ سبعين سنة ثم
صار بعد ذلك خارجيا ويكنى ابا عمرو ، مات بالبصرة . انظر مراتب التحويين ص ٢٢ .

(الخامسة مهموزة فقط) ، فاذا بشبيل يغضب ويقوم ، واذا بابي عمرو ينكر على يونس تصرفه مع رجل شريف قصد مجلسه ؛ فيعتذر يونس قائلاً : ما تمالكت اذ ذكر رؤبة ان قلت ما قلت .

غير ان شهرة يونس تأتي من علمه باللغة والنحو، إذ (٣٩) « كان اغلب عليه » يعرف به فيقال (٤٠) « يونس النحوي » تمييزاً له عن غيره ممن عرفوا بهذا الاسم • وقد سمع (٤١) اللغة عن العرب، شأنه شأن أوائل النحاة الذين كانوا يستقون المادة النحوية من أفواه الاعراب في البادية ؛ وآلف (٤٢) في اللغة كتاب « اللغات » و « النوادر الكبير » و « النوادر الصغير » و « الأمثال » .

أما النحو فأخذه عن مجموعته، أولهم (٤٣) حماد ابن سلمة ، مع انه كان اسن (٤٤) منه ، وكان يونس يفضلته (٤٥) ؛ ولكن أكثرهم تأثيراً فيه ابا عمرو بن العلاء الذي يبدو انه كان ملازماً اياه ، يكتب له حتى عُدَّ من كتَّابه (٤٦) . واثر ابي عمرو في علم يونس ظاهر في ميدان الشعر ، والرواية ، والنقد ، واللغة والنحو ؛ وكان يونس يجلُّ استاذه ويحترم رايه قائلاً : « (٤٧) لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول ابي عمرو بن العلاء في العربية ان يؤخذ كله ، ولكن ليس احد الا وانت آخذ من قوله وتارك » .

٣٩ - مراتب النحويين ص ٢١ .

٤٠ - انظر : وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ ، خزائن الادب ج ١ / ٩٠ . شذرات الذهب ج ١ / ٢٠١ .

٤١ - اخبار النحويين ص ٢٧ .

٤٢ - انظر : الفهرست ص ٧٩ .

٤٣ - طبقات النحويين واللغويين ص ٥١ .

٤٤ - نزعة الالباء : ص ٤٢ .

٤٥ - المصدر نفسه ص ٤٢ .

٤٦ - اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .

٤٧ - طبقات فحول الشعراء ص ١٦ (المنى - القاهرة ١٩٧٤ م) وانظر : نزعة الالباء ص ٣١ .

وقد شاهد يونس مرحلة متطورة في ميدان النحو ، توضحت فيها أسس النحو ، وثبتت فيها بعد في كتاب سيويه • وتعد هذه المرحلة قفزة واسعة إذا ما قيست بتلك التي شهدها ابن أبي اسحق • سئل (٤٨) يونس عن ابن أبي اسحق وعلمه فقال : هو والبحر سواء ؛ أي هو الغاية . قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ، لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره لكان أعلم الناس .

وقد أسهم يونس في تطور النحو مساهمة فعالة ، وكان له شخصيته الواضحة وأثره البين حتى قيل : « (٤٩) له قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها » . وقد خصص معظم حياته للتدريس ، فكان له بالبصرة حلقة (٥٠) ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب ، وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية ؛ ودرس عليه علماء مشاهير سنوات طويلة ٤ فاختلف (٥١) إليه أبو عبيدة أربعين سنة ، وأبو زيد عشر سنين ، وخلف الأحمر عشرين سنة ، وأخذ عنه قطرب ، (٥٢) ومحمد (٥٣) بن سلام الجمحي ، والكسائي ، والفراء .

ويكفيه ان سيويه أخذ عنه فأكثر (٥٤) ، ونقل عنه نقولا صدق فيها

٤٨ — طبقات النحويين واللغويين ص ٣١ .

٤٩ — أخبار النحويين البصريين ص ٢٧ وانظر انباه الرواة : ٧٠/٤ .

٥٠ — انظر : الفهرست ص ٧٩ ، وانباه الرواة : ٧٠/٤ .

٥١ — وفيات الاعيان : ٢٤٥/٧ . معجم الابهاء : ٦٥/٢٠ . انباه الرواة : ٧١/٤ .
شذرات الذهب : ٣٠١/١ .

٥٢ — انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٣ — انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٤ — أخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ . انباه الرواة : ٧٠ / ٤ ، طبقات المفسرين
ج ٢٨٦/٢ .

جميعا ، وشهد يونس على صدقتها شهادة رفعت من ذكر سيبويه وكتابه ،
فقد (٥٥) قال حين ذكر سيبويه عنده : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل ،
فتبيل له : قد روى عنك أشياء كثيرة ، فانظر فيها ، فنظر فيها ، فقال :
صدق في جميع ما قال ، هو قولي .

وقد ذكر سيبويه يونس وروى عنه في نحو ٢٠٠ موضع (٥٦) من
مواضع الكتاب، بحيث كان يتكرر (٥٧) اسمه في الصفحة الواحدة أحيانا أكثر
من مرة واحدة .

وقد روى يونس في الكتاب لغة كثيرة عن العرب ، وكان مفتاح رواياته
عنهم يختلف من رواية الى أخرى ، فكان يفتتح روايته بـ (٥٨) « أن قوما من
العرب ... » ، (٥٩) « أن ناسا يقولون ... » ، (٦٠) « أن ناسا من
العرب ... » ، (٦١) « أن بعض العرب الموثوق بهم ... » ، (٦٢) « أن بعض
العرب ... » ، (٦٣) « أن قوما ... » ، (٦٤) « أن العرب
تقول ... » ، (٦٥) « أنه سمع أعرابيا ... » ، (٦٦) « أنه سمع

١

-
- ٥٥ - اخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ .
٥٦ - انظر : سيبويه امام النحاة : ص ٩٠ .
٥٧ - انظر : كتاب سيبويه ج ١ / ٤٢٨ ذكر اربع مرات ، وج ٢ / ٤١٠ ، ٤١١ ، وانظر :
ج ٢ / ١٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٤٢ ، ٦٢٢ .
٥٨ - انظر : الكتاب ج ١ / ٢٨٩ .
٥٩ - الكتاب ج ١ / ٤١٦ ، ج ٢ / ٤١٠ .
٦٠ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٧ ، ١١٢ ، ج ٢ / ٢٤٤ .
٦١ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٣٧ .
٦٢ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢١٣ .
٦٣ - الكتاب ج ٢ / ١١٩ .
٦٤ - الكتاب ج ٢ / ١٤٢ ، ج ٢ / ٤٢٥ .
٦٥ - الكتاب ج ٢ / ٤١١ .
٦٦ - الكتاب ج ٢ / ١٢٥ .

العرب ... » ، (٦٧) « أن من العرب من يقول ... » .

وقد روى عن رؤية (٦٨) من الشعراء ، والفـرزـدق (٦٩) ،
وجـرير (٧٠) ، والأسود (٧١) بن يعفر . وروى عن أبي عمرو بن
العلاء، وكان طريق سيبويه إليه ، وروى عن ابن (٧٣) أبي اسحق .
وتأتي شخصيته النحوية من خلال الكتاب في الدرجة الثانية (٧٤) بعد
شخصية الخليل ، وكثيرا ما كان يقرن اسماهما في رواية أو رأي . ومما
يلفت النظر في رواية سيبويه عنهما . حين ذكرهما معا ، انه كان يترجم
عليهما اذا سبق ذكر يونس ذكر الخليل . اما اذا سبق ذكر الخليل يونس
ترجم على الخليل وحده . ثم اتبع الترجم عليه ذكر يونس، فهو يقول في
الموضع الأول مثلا : (٧٥) « وزعم يونس والخليل، رحمهما الله، أن الدرهم
ليست نكرة » ، (٧٦) « ولم يجز يونس والخليل — رحمهما الله — كما غلمانا
لك » ، (٧٧) « هذا قول يونس والخليل رحمهما الله » . وفي الثاني
يقول مثلا : (٧٨) « واذا لم تلحق الألف قلت، وازيد، إذا لم تضيف ، ووازيد،

٦٧ — الكتاب ج ١ / ٢٦٢ ، ج ٢ / ٦٥ .

٦٨ — انظر الكتاب : ج ١ / ٥١ ، ج ٢ / ١٥٢ ، ج ٣ / ٢٠٤ ، ٥٦٥ .

٦٩ — انظر الكتاب ج ٢ / ٧٢ .

٧٠ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٧٨ .

٧١ — انظر الكتاب : ج ٣ / ١٣٥ .

٧٢ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٨٧ ، ج ٢ / ١١٢ ، ١٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ج ٣ / ١٠١ ، ٢٤٢٤ ،

٢٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٥٦٦ .

٧٣ — انظر الكتاب : ج ٣ / ٢٤٢ .

٧٤ — كتاب سيبويه وشروحه ص ٣١ .

٧٥ — الكتاب : ج ١ / ٤٢٨ .

٧٦ — الكتاب : ج ٢ / ١٥٩ .

٧٧ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢٨ .

٧٨ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢١ .

إذا أضفت ، وان شئت قلت وازيدي، واللاحق وغير اللاحق عربي فيما زعم الخليل رحمه الله ويونس « . وفي باب النذبة (٧٩) « وذلك قولك: وارجلاه، ويا رجلاه، وزعم الخليل، رحمه الله، ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال « . ويقول: (٨٠) « زعم الخليل — رحمه الله — ويونس جميعا أنه يجوزهما اتاني غير زيد وعمر « . وفي اعراب الضمير بعد لولا: (٨١) « وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس « . ولعل ما سلكه سيبويه ازاء الخليل ويونس يذكرني بالاعرابي الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا الله قائلا: (٨٢) « اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا » فدهش النبي وقال له: « لقد ضيقت واسعا » .

ومفاتيح رواية سيبويه عن يونس كثيرة منها: (٨٣) « حدثنا يونس . . . » ، (٨٤) « اخبرنا يونس . . . » ، (٨٦) « انشدنا يونس . . . » وفي اغلب الروايات: (٨٧) « زعم يونس . . . » ، (٨٨) « واما يونس فيقول . . . » ، (٨٩) « وهذا قول يونس . . . » ونقل سيبويه عنه ابوابا كاملة في النحو والصرف ، إما عنه (٩٠) وحده ، وإما عنه وعن الخليل (٩١)

-
- ٧٩ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢٧ .
 ٨٠ — الكتاب : ج ٢ / ٢٤٤ .
 ٨١ — الكتاب ج ٢ / ٢٧٣ .
 ٨٢ — بطل الابطال ص ٦١ .
 ٨٣ — انظر : الكتاب : ج ١ / ١٥٥ ، ٤٠٩ — ج ٢ / ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١٠ — ج ٣ / ٢٢٧ .
 ٨٤ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٧٦ — ج ٢ / ٢٦٧ .
 ٨٤ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٤٥٥ .
 ٨٦ — انظر : الكتاب : ج ١ / ١٢٠ ، ٢٧٨ .
 ٨٧ — انظر : الكتاب ج ١ / ٢٨٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ج ٢ / ٧٧ ، ٤١١ ، ١٩٩ ، ج ٣ / ١٣٥ ، ٤٢٥ ، ٢٤٩ .
 ٨٨ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٧٦ .
 ٨٩ — انظر : الكتاب : ج ١ / ٤٣٣ .
 ٩٠ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٤١٧ — ٤١٨ ، ج ٣ / ٤٢٣ — ٤٢٤ .
 ٩١ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٢٨ .

جميعا .

ويعتز سيبويه في كتابه برأي يونس ويعتد به ، ويثق ، فهو يعود اليه ويساله كلما اشكل عليه ، يقول في باب ما ينتصب على التعظيم او المدح : « (٩٢) وسمعنا بعض العرب يقول : (الحمد لله رب العالمين) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية » ، ويقول في باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب اذا استفهمت عنه بمن : « (٩٣) وسألت يونس عن : رأيت زيدَ بنَ عمرو ، فقال : أقول : من زيدَ بنَ عمرو ، لانه بمنزلة اسم وأحد ؛ وهكذا ينبغي اذا كنت تقول : يا زيدَ بنَ عمرو ، وهذا زيدُ بنُ عمرو ، فتسقط التثوين » . ومواطن (٩٤) أسئلته له كثيرة .

وكان يتخذ من رواية يونس تصديقا لرواية نحوي آخر ؛ فهو يتول : « (٩٥) وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوق بهم يقولون : أنا هذا ، وهذا أنا . . . وحدثنا يونس أيضا تصديقا لقول أبي الخطاب . أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا ، لم يرد بقوله : هذا أنت ، أن يُعرفه نفسه ، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره ، هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبهه ، كأنه قال : الحاضر عندنا أنت ، والحاضر القائل كذا وكذا أنت .

وأحيانا قد لا يطمئن الى قول نحوي فيلجأ اليه ، فعنده الخبر اليقين . يقول : « (٩٦) وزعم عيسى بن عمر أن ناسا من العرب يقولون : إذن أفعلُ ذاك ، في الجواب ؛ فأخبرت يونس بذلك ، فقال : لا تُبعدن ذا ، ولم يكن ليروى إلا ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبلى » .

٩٢ - الكتاب : ج ٢ / ٦٣ .

٩٣ - الكتاب : ج ٢ / ٤١٤ .

٩٤ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٣٦ . ج ٣ / ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٤٤٢ .

٩٥ - الكتاب : ج ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٩٦ - الكتاب : ج ٢ / ١٦ .

ولم تتوقف الثقة بيونس الى هذا الحد ، وانما بلغت اتساعا بحيث
اتخذ سيبويه من قوله دعامة يؤيد بها مذهبه ؛ فقد رأى سيبويه رأيا ثم
بدا وكأنه يشعر بعدم الطمأنينة الى ما رآه، فدعمه بقول ليونس لتهدا به
نفسه، قال : « (٩٧) وأما يا تميمُ اجمعون فأنت فيه بالخيار ، إن شئت
قلت : اجمعون . وإن شئت قلت : اجمعين؛ ولا ينتصب على أعني ، من
قبل أنه محال ان تقول أعني اجمعين ؛ ويدلك على ان اجمعين ينتصب
لأنه وصف لمنصوب قول يونس : المعنى في الرفع والنصب واحد » .

غير ان الطريقة التي كان سيبويه يذكر بها يونس وروايته توهم
وتُضلل ؛ إذ يصعب على الباحث بسببها ان يميز بين ما هو رواية محضة
ليونس، وما هو رواية وراي في آن واحد . ولعل هذه الطريقة هي التي
أوقعت النحاة المتأخرين ، وجعلتهم ينظرون الى رواية يونس على انها
رواية محضة، دون ان يلتفتوا او ينتبهوا الى انها في احيان كثيرة رواية وراي
معاً . وقد وقع السيرافي، أشهر شراح الكتاب، في حيرة حين اعترضه قول
سيبويه عن يونس في باب الندبة : « (٩٨) وأما يونس فيلحق الصفة
الالف فيقول : وأزيد الظريفاه ، واجمجتني الشاميتيناه » «فقال (٩٩) : ندبة
الصفة قول يونس والكوفيين ، والذي حكاه سيبويه عن يونس لست ادري
إلحاق علامة الندبة له من قياس يونس ، او مما حكاه عن العرب فنحتج
له به » .

وهذا «(١٠٠) باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى الى
المفعول ولا غيره »، يتحدث فيه سيبويه عن المواطن التي لا يعمل فيها
المتعدي فيما بعده ، ويطلب في التفصيل والتوضيح، مبينا ان الاسم بعد هذا

٩٧ - الكتاب ٢ / ١٨٤ .

٩٨ - الكتاب ٢ / ٢٢٦ .

٩٩ - حاشية الكتاب ٢ / ٢٢٦ .

١٠٠ - الكتاب ١ / ٢٣٥ .

الفعل قد يأتي مرفوعا وقد يأتي منصوبا ؛ كل ذلك في أسلوب يُوهم المرء أن كل ما يقوله من رفع ومن نصب هو له ، ولكنه يفاجننا في نهاية الصفحة الرابعة بقوله « والرفع قول يونس » ، فلا يدري اهو الرفع الذي تحدث عنه في الفقرة التي ذكر يونس فيها ، أم الرفع في كل ما ورد في هذا الباب ! ومن يتمعن تماما في السياق العام للباب يجد ان الرفع كله ليونس ، اذ يبدو ان كل ما مثل سيبويه به يقوم على موقف يونس ، وان كنت لا أجزم بان كل ما جاء به سيبويه من امثلة هو ليونس ، ولكن يكفي ان يفهم ان مذهب الرفع الذي قام عليه معظم الباب هو مذهب يونس .

وحسب فهمي للامر وتصوري إياه ، فأنني لا أستطيع ان أفهم ان موقف يونس مما يرويه عن العرب كموقف أبي زيد مما يرويه ، أو موقف الأصمعي مثلا مما يرويه ؛ ذلك ان ابا زيد والأصمعي راويان للغة فحسب ، بينما يونس بن حبيب راوية ونحوي ، ولكنه نحوي قبل ان يكون راوية . فاذا ما روى فان ما يرويه لا يكون في معظمه إلا لبيان موقف نحوي ، أو استنباط موقف نحوي ، أو التدليل على موقف نحوي اتخذه ، وذلك على الرغم من أن سوق سيبويه لرواية يونس يوهم انه يروي رواية دون ان يتخذ من هذه الرواية موقفا نحويا . فيونس تعد معظم حياته للدرس النحوي ، ولترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية ؛ فاذا قال سيبويه : « (١٠١) وحدثنا يونس ان بعض العرب يقول : يا أم لا تفعلني ؛ جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة اذا قالوا يا طلح أقبل . . » فكيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رايا وموقفا ؛ إنه يقيس في هذا القول ويعلل . وكيف يكون قول سيبويه عن يونس في باب النداء : « (١٠٢) ويقوي ذلك كله ان يونس زعم انه سمع من العرب من يقول : يا فاسق الخبيث ؛ يدل على ان

١٠١ - الكتاب : ٢ / ٢١٢ .

١٠٢ - الكتاب : ٢ / ١٩٩ .

كل منادي مضموم هو معرفة » . كيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رايًا يُلمح من سياق الكلام ؟ . بل كيف يكون رواية ما ينسب إلى يونس في قول سيبويه : « (١٠٣) وحدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلا زيدا » وقولاه : « (١٠٤) وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلا أبوك احد » . كيف يكون ذلك رواية ليونس مع أنه يروي هنا عن العرب الموثوق بهم : فكيف يكون هذا القول رواية ولا يكون رايًا، ما دام صاحب القول نحويًا أولاً وقبل كل شيء ، وما دام يروي عن عرب موثوق بهم ؛ والنحوي يتصيد ما يرويه عن الموثوق بهم تصيداً ليبنى عليه رايًا وموقفاً نحويًا .

ومع أن يونس ذو شخصية واضحة بارزة تمثل في معظم صفحات الكتاب وتتلازم مع الخليل في مواضع عدة، إما رواية — وهي في معظمها رأي كما أسلفت — وإما رايًا صريحاً صرح به سيبويه • إلا أن هذه الشخصية تكاد لا تبين بوضوح، أو أن هذه الشخصية لا تأخذ المكانة التي تستحقها في معظم كتب النحاة المتأخرين ، بينما تظهر فيها شخصية الأخصى والمازني والجري وابن السراج والزجاج بشكل أوضح وأبرز ، مع أن فرقاً كبيراً بين هذا وهؤلاء . لا بد أن يعترك التساؤل والاستغراب حين تجد أن يونس لا يذكر في شرح ابن عقيل مثلاً ، أو شرح المفصل ، أو حاشية الصبان ، أو شرح الأشموني، أو مغني اللبيب، أو شرح التصريح، أكثر من ثلاثين مرة في أكثرها إنصافاً له ، مع أنه ذكر أكثر من مائتي مرة — كما أسلفت — في الكتاب • ولقد اوهبت هذه الكتب الدكتور شوقي ضيف أن يونس لم يكن له دور في علم النحو ، فاستخلص نتيجة، بعد أن مرّ عليه مروراً خاطفاً، فقال : « (١٠٥) وعلى هذا النحو وقع يونس بعيداً عن تطور

١٠٣ - الكتاب ٢/ ٢١٩ .

١٠٤ - الكتاب ٢/ ٢٢٧ .

١٠٥ - المدارس النحوية ص ٢٩ .

نظرية النحو على شاكلة ما انتهت اليه في الكتاب عند سيبويه والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها، هم ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن احمد، وسيبويه . فهو يرى ان ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر اهم من يونس واكثر تأثيراً في مجال النحو ؛ ولو عاد الدكتور شوقي ضيف الى كتاب سيبويه، الذي يعدّه الثمرة الناضجة لتطور نظرية النحو، وتتبع مساهمة يونس فيها، لكان له موقف آخر مختلف ، ولكنه اكتفى بالعودة الى تلك الكتب المتأخرة التي طمست شخصية يونس واثره في النحو في حد بعيد .

ولعلّ عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه من حق ضائع يعود الى سببين، الأول : ما سلفته ، وهو الطريقة التي كان سيبويه يتبعها في ذكر يونس وروايته ، إذ كانت تؤدي الى اللبس والتضليل، بحيث يصعب على الباحث أن يميز بين ما هو رواية محضّة، وما هو رواية ورأي ؛ فترك المتأخرون البحث في هذا الأمر ولجأوا الى الحل الأسهل، وهو أن ينظروا الى كل ما رواه يونس على أنه رواية محضّة ، وأن ينظروا الى الرأي الذي بني على ما رواه يونس على أنه رأي لسيبويه .

والسبب الثاني : — وهو اشدّ وقعا — ان النحاة المتأخرين ورّعوا الكثير من آرائه التي صرح بها سيبويه على اولئك النحاة الذين وافقوه فيها ، فنسبوا بعضها الى سيبويه وبعضها الى البصريين تعبئاً ، وبعضها الى الكوفيين .

فما نسب الى سيبويه وهو ليونس والخليل، حكم الاسم المضاف في المنادى حينما يكرر، قال سيبويه : ٢ (١٠٦) هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الاضافة ويكون الاول بمنزلة الآخر ، وذلك قولك : يا زيدَ زيدَ عمرو ، ويا زيدَ زيدَ أخينا ، ويا زيدَ زيدَنا . زعم الخليل، رحمه الله، ويونس أن هذا

كله سواءكوهي لغة للعرب جيدة » . وهذا الراي واضح انه ليونس والخليل
وليس لسيبويه فيه إلا التوضيح ؛ وقد نَسَبَ هذا الراي الى سيبويه كل من
ابن عقيل (١٠٧) ، والأشعري (١٠٨) ، والصبان (١٠٩) .

ومما نسب اليه ايضاً راي يونس والخليل في الضمير بعد لولا، قال
سيبويه : « (١١٠) هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحولاً عن حاله
إذا أظهر بعده الاسم، وذلك لولاك ، ولولاي، إذا اضمرت الاسم فيه جُزَّ ،
وإذا أظهرت رُفِعَ ، ولو جاء علامة الاضمار على القياس لقلت : لولا أنت،
كما قال سبحانه : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) ولكنهم جعلوه مضمراً
مجروراً ؛ والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمراً
مرفوعاً ؛ قال الشاعر يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كماهوى بأجرامه من قلة النيق منموى

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس « . والراي في هذا الموضع
صريح الصراحة كلها انه ليونس والخليل، وقد نسبه الى سيبويه كل من
المبرد (١١٢) ، وابن عقيل (١١٣) ، وابن الشجري (١١٤) ، والرضي (١١٥) ،
ونسبه ابن هشام (١١٦) الى سيبويه والجمهور .

ومما نسب الى البصريين راي يونس والخليل في ندبة النكرة ، قال

-
- ١٠٧ - انظر : شرح ابن عقيل ٢/٢١٢ .
١٠٨ - انظر : شرح الأشعري ٢/٤٥٤ .
١٠٩ - انظر : هاشية الصبان ٢/١٥٤ .
١١٠ - الكتاب ٢/٣٧٢ - ٣٧٤ .
١١١ - سبأ - آية ٢١ .
١١٢ - انظر : الكامل في الأئمة ١/١٠٩٧ .
١١٣ - انظر : شرح ابن عقيل : ٢/٦ .
١١٤ - انظر : أمالي ابن الشجري ١/١٨٠ .
١١٥ - انظر : شرح الكافية ٢/٢٠ .
١١٦ - انظر : معنى الأبيات ص ٣٦١ .

سيبويه : « (١١٧) هذا باب ما يجوز أن يندب ، وذلك قولك : وأرْجُلَاهُ ،
ويا رُجُلَاهُ • وزعم الخليل رحمه الله ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال » . وقد
نسب ابن الأنباري (١١٨) هذا الرأي الى البصريين فطمس بذلك ذكر
يونس على الرغم من أنه واحد من البصريين كالخليل وسيبويه .

ومما نُسب الى الكوفيين رأي يونس في جواز عود الخافض وعدمه ،
إذا كان المخفوض ضميراً ؛ فقد نسبته الى الكوفيين كلٌّ من ابن عقيل (١١٩)
وابن الأنباري (١٢٠) ؛ أما الأثموني فنسبه الى يونس والكوفيين ،
قال : « (١٢١)

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفّض لازماً قد جُملاً

في غير الضرورة ، وعليه جمهور البصريين . . قال الناظم : (وليس)
عود الخافض (عندي لازماً) وفاقاً ليونس والأخفش والكوفيين . . . » .

ومما نسب اليهم أيضاً رأي يونس في الفصل بين المضاف والمضاف
اليه ، فقد نسب اليهم كل من ابن الأنباري (١٢٢) والأزهري (١٢٣) ، بينما
نسبه الرضي اليه ، قال : « (١٢٤) وأنكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره
في السعة ، ولا شك أن الفصل بينهما في الضرورة بالظرف ثابت مع قلته
وقبحه ؛ والفصل بغير الظرف في الشعر أتبع منه بالظرف ، وكذا الفصل
بالظرف في غير الشعر أتبع منه في الشعر ؛ وهو عند يونس قياس » .

١١٧ - الكتاب ٢ / ٢٢٧ .

١١٨ - انظر الإنصاف ١ / ٣٦٢ .

١١٩ - انظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٨٧ .

١٢٠ - انظر : الإنصاف ٢ / ٤٦٣ .

١٢١ - شرح الأثموني ٢ / ٤٢٩ .

١٢٢ - انظر : الإنصاف ٢ / ٤٢٧ .

١٢٣ - انظر : شرح التصريح ٢ / ٥٧ .

١٢٤ - شرح الكافية ١ / ٢٩٣ .

ويكاد يونس لا يُذكر الا بذكر آرائه التي خالفه سيبويه فيها ؛ من ذلك خلافهما في حكم جواب الشرط المضارع اذا دخلت همزة الاستفهام على الشرط في بدايته ٥ قال الزجاج : « (١٢٥) هذا باب ما جاء في التنزيل من ادخال همزة الاستفهام على الشرط والجزاء ؛ وهذه ايضا مسألة فيها اختلاف بين سيبويه ويونس ، وصورتها ان تأتني اتك، بجزم الجواب عند سيبويه ، ويونس يقول : ان تأتني آتيك، بالرفع ؛ ويقول هو في نية التقديم ، ويقدره : اتيك ان تأتني » .

ومن ذلك مخالفة سيبويه يونس في اصل لبيك (١٢٦) ، وفي تصغير هند لوستمي بها مذكر (١٢٧) ، وفي : من زيدا واباه ، في النصب على الحكاية (١٢٨) ، والنسبة الى نحو ملهى (١٢٩) ، وابدال نون المثني همزة نحو اضرباء الغلام (١٣٠) ، والنسبة الى مائه (١٣١) ، ورد المحذوف في التحقير (١٣٢) .

وكتاب سيبويه، حسب فهمي اياه، يتنازعه نحاة ثلاثة ، وهم الخليل ويونس وسيبويه، مرتبين - في رأيي - حسب مساهمتهم في هذا الكتاب؛ ولكن سيبويه بدت شخصيته النحوية وكأنها تفوق شخصية يونس ، بل كادت تبدو متفوقة على شخصية الخليل، وقد ناقشتها فعلا في كتب النحاة المتأخرين ٥ ولعل مرد ذلك الى تأليف سيبويه الكتاب بعد ان لم شتات

١٢٥ - اعراب القرآن ٣/ ٧٨٢ .

١٢٦ - انظر : خزانة الادب ٢/ ٩٢ ، شرح التصريح ٢/ ٢٨ . والكتاب ١/ ٢٥١ .

١٢٧ - انظر : الخصائص ١/ ١٥٧ .

١٢٨ - انظر : الكتاب ٢/ ٤١٣ ، وشرح الاشموني ٢/ ٦٤٣ .

١٢٩ - انظر : شرح الاشموني ٢/ ٧٢٧ .

١٣٠ - انظر : حاشية الصبان ٢/ ٢٢٥ .

١٣١ - انظر : الخصائص ٢/ ١٠٦ .

١٣٢ - انظر : المصدر نفسه ٢/ ٧١ - ٧٢ .

القواعد النحوية وبؤبها ودلّل عليها . ولو قدّر ليونس — واعتذر لاستعمال
لو — ان يؤلف الكتاب، وان يتنازعه الخليل ويونس وسيبويه لتفوقست
شخصيته على شخصية سيبويه تفوقا واضحا في الكتاب وغيره، ولكانت
وضعت بجدارة في المكانة التي تستحقها . من غير أن اكون في هذا القول
متعصبا ليونس او معطيه مكانة أكثر من التي له ، كبعض الباحثين الذين
يقفون في احيان كثيرة موقف المدافع ، او المتعصب للشخصية التي يبحثون
فيها، وكان الامر يمسهم او يتعلّق بهم . ومنطلقي في موقفي هذا هو العطاء
العلمي الثرّ الذي بين يديّ ليونس من خلال الكتاب .

ولم يكن ليونس اثر في سيبويه وكتابه بصفة خاصة ، والمدرسة
البصرية بصفة عامة فحسب ، وانما كان له اثر كبير ايضا في نشأة المدرسة
الكوفية التي اتخذت من اتجاهه مساراً لها وهاديا .

نقد ساد المدرسة البصرية زمن يونس اتجاهان في النحو :

الاتجاه الاول : اتجاه متشدد في القياس والسماع عن العرب، ويمثله
ابن ابي اسحق ، وتلميذه عيسى بن عمر ؛ فكان الاول : « (١٣٣) اشد
تجريدا للقياس » وكان يطعن على العرب ، ولا يتحرّج من أن يقول للشاعر
العربي المشهور بالفصاحة : لحننت ؛ فقد لحن (١٣٤) الفرزدق في قوله:
« مولى مواليا » في بيته :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موييسا

وقال له : كان يجب ان تقول : مولى موال .

وتبعه الثاني الذي كان لا يتحرّج من الطعن (١٣٥) على العرب

١٣٢ — طبقات فحول الشعراء ، ص ٢٠ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٤ — نزهة الالباء ص ٢٧ .

١٣٥ — طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢ .

ايضا ، فكان يقول (١٣٦) : اساء النابغة في قوله :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَنْبِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْبَاهَا السُّمُّ نَاعِقٌ
والوجه الصواب عنده : السم ناقعا .

اما الاتجاه الثاني فهو اتجاه متساهل في القياس ، معظّم لما يرد عن العرب ؛ ويمثله ابو عمرو بن العلاء ، وتلميذه يونس بن حبيب . وكان الأول « (١٣٧) اوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها » ، وكان (١٣٨) « اشد تسليماً للعرب » ، وكان يجوّز الواجه المختلفة التي ترد عنهم * جاءه عيسى ابن عمر (١٣٩) « فقال له : يا ابا عمر : ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » فقال ابو عمرو : نعمت يا ابا عمرو واولج الناس ، ليس في الارض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الارض تميمي الا وهو يرفع » .

وكان ابو عمرو ينشد قول ذي الرمة (١٤٠) :

وظاهرٌ لها من يابس الشُّخْتِ

فقيل له : انشدتنا بابس ، فقال : يابس بابس واحد ، هذا شعر

ليست عليه مضايقة .

١٣٦ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٦ ، (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٧ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٤ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٨ - نزعة الالباء ، ص ٢٧ .

١٣٩ - طبقات التحوين واللغويين ، ص ٢٨ . وانظر : الاشباه والنظائر ج ٣ / ٧٢ .

١٤٠ - للحصب ج ١ / ٢٩٧ .

أما يونس فسار مساره اذ كان يجلّه ويحترم رأيه ويقول : (١٤١) «لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو ابن العلاء في العربية ان يؤخذ كله ، ولكن ليس احد الا وانت آخذ من قوله وتارك » . فاقترضى اثره في عدم الطعن على العرب ؛ فهذا ابن ابي اسحق (١٤١) يسمع قول الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منشور
على عمائمنا يلقنى وارجلنا على زواحف تزجى مخها رير
فيقول له : (١٤٢) « اسأت انما هي « رير » ؛ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع » . وقيل انه قال له : (١٤٣) « اسأت ، موضعها رفع ، وان رفعت اُتُويت » . أما يونس فلم يكتف بتجويز قول الفرزدق وانما ذهب الى استجاءته فقال : (١٤٤) « وهذا جيد » . او استحسنته فقال : « (١٤٥) والذي قال حسن جائز » .

ويسمع أبو عمرو ويونس قول الفرزدق :

وعضّ زمان يا ابن دروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجرف
فيقفان حائرين امام الوجه الذي رفع الفرزدق عن اساسه «مجرف»
من غير ان يفكرا بتخطئته او الطعن عليه ، ويحاولان ان يجدا تخریجاً

١٤١ - الشعر والشعراء (المقدمة) . والبيتان في ديوان الفرزدق ج ٢١٢/١ .

١٤٢ - طبقات فحول الشعراء ؛ ص ١٧ (مطبعة المدني - القاهرة) . طبقات التهويين واللفويين ص ٣٢ .

١٤٣ - خزانة الادب ج ٢٣٨/١ .

١٤٤ - المصدر السابق : ٢٣٨/١ وقد اورد هذا الكتاب (٢٣٩/١) ان علي بن حمزة البصري كان يقول في كتاب الشبهات على اخلط الرواة : والخفى في « رير » جيد ، وتقديره على زواحف رير مخها تزجى .

١٤٥ - طبقات فحول الشعراء ١٧/١ (مطبعة المدني - القاهرة) .

فلم يعثرا ، فيقول أبو عمرو : (١٤٦) « لا أعرف لها وجها ، وكان يونس لا يعرف لها وجها ، قلت ليونس : لنعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأسه ، فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشد فيها روبة على الرفع » .

ولما جاء الكسائي الى البصرة تتلمذ على ابي عمرو بن العلاء ، وتأثر به تأثرا ملحوظا، ويقال انه بقي ملازما له (١٤٧) « نحو سبع عشرة سنة » ، وتلمذ بعد ذلك على يونس بن حبيب تلميذ ابي عمرو ، وكان يونس يثني عليه في مجلسه بالبصرة ويشجعه ، فقد سئل (١٤٨) بحضرته عن توجيه رفع الخمر في بيت الفرزدق : (١٤٩)

غداة اُحلت لابنِ اصْرَمَ طعنةٌ
حصينِ عبيطاتِ السدائِفِ والخمرُ

ف قيل للكسائي : على اي شيء رفعت ؟ فقال : اضمرت فعلاً ، كانه « وحلت لي الخمر » ، فقال يونس : ما احسن والله ما وجهته — وفي رواية اخرى (١٥٠) انه قال : اشهد ان الذين رأسوك رأسوك على حق — غير اني سمعت الفرزدق ينشده :

غداة اُحلت لابنِ اصْرَمَ ضربتُ
حصينِ عبيطاتِ السدائِفِ والخمرُ

جعل الفاعل مفعولا ، كما قال الحطيئة (١٥١) :

فلما خشبت الهونَ والعيرُ ممسكٌ
على رغبه ما أمسك الجبلَ حائرُه

والقصيدة على الرفع، جعل الفاعل مفعولا ، فقال الكسائي : هذا

١٤٦ — المصدر نفسه ج ١ / ٢١ . وانظر : الموشح ص ٩٢ والبيت : ديوان الفرزدق ج ٢ / ٢٦ .

١٤٧ — الاقتراح ، ص ٨٥ .

١٤٨ — مجالس العلماء : مجلس ١٠ .

١٤٩ — ديوان الفرزدق ج ١ / ٢٥٤ .

١٥٠ — تاريخ بغداد ج ١١ / ٤١٠ .

١٥١ — ديوان الكسائي ص ١٠٢ .

١٥١ — ديوان الحطيئة ص ١٨٢ (تحقيق نعمان طه الطبعة الاولى سنة ١٩٥٨) .

على هذا وجه .

وكان يونس يتجنب تخطئة الكسائي ، ويردّ قوله رداً لطيفاً جميلاً ؛
فما هو يسأل (١٥٢) في مجلسه إن ألقى : ما مثاله من الفعل ؟ فيقول :
افعل، فيقول يونس له : استحييت لك يا شيخ ! والظاهر عندنا من أمر ألقى
أنه فُوعِلُ من قولهم : ألقى الرجل فهو مألوق . أما ابن أبي عيينة الذي سأله
هذا السؤال فيسارع (١٥٣) بعد الإجابة الى القول : خطأ والله .

ليس هذا فحسب، وإنما كان يونس يغضب الغضب كله إذا ما أحس
أن أحداً في مجلسه حاول أن يستثيره أو يعمد الى تخطئته، ويقول : (١٥٤)
تؤذون جليسننا ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين .

وقد توطلدت العلاقة بين يونس والكسائي ، وتعمقت بعد هذا
السلوك الذي كان له أجمل الأثر في نفس الكسائي، ولا سيما بعد المسائل
النحوية التي جرت بينهما وأقر له يونس فيها ، وكافاه على ذلك بأن صدره
موضعه .

ولم يكن الكسائي الكوفي الوحيد الذي درس على يونس ، وإنما
درس عليه الفراء أيضاً وكان الكوفيون — كما يبدو من رواية أبي الطيب
اللغوي — يفتخرون بأنه أخذ عن يونس، فأكثر؛ قال : (١٥٥) « وأهل الكوفة
يدّعون أنه استكثر منه ، وأهل البصرة يذمّون ذلك » وهذه الرواية إن
دلّت على شيء فإنها تدلّ على مدى المكانة التي كان يونس يمثلها في ذهن
الكوفيين وفكرهم .

١٥٢ — الخصائص ج ٢/٢٩١ .

١٥٣ — مجالس العلماء مجلس ١١٩ .

١٥٤ — المصدر نفسه مجلس ١١٤ .

١٥٥ — مراتب التحويين ص ٨٦ .

وقد كان عقل الكسائي متنبها ويقتضا لكل ما كان يسمعه عن يونس
من أجل أن يأخذ به ويقتفي أثره ؛ فهذا يونس بن حبيب يسأل (١٥٦)
والكسائي حاضر : لِمَ صارت « حتى » تنصب الأفعال المستقبلية ؟ فيقول :
هكذا خلقت . ويسأل (١٥٧) الكسائي فيما بعد في مجلس يونس عن
قولهم : لأضربن أيهم يقوم ، لم لا يقال : أيهم ، فيقول أيُّ ، هكذا خلقت .

كل ذلك دفع الكسائي والكوفيين بعده الى أن يتبعوا الاتجاه النحوي
الثاني الذي سار فيه أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وهو الاتجاه الذي
يعظم لغات العرب ويقبل بتجويزها مهما تباعدت ، من غير طعن أو تلحين ؛
أما البصريون فواصلوا السير على الاتجاه الأول ، اتجاه ابن أبي اسحق
وعيسى بن عمر وهو الاتجاه الذي اتسم بالتشدد في القياس وتأويل ما
يخالفه ، أو تشذيذه ، أو تخطئته إذا لم يكن بديل للتخطئة .

وقد اتبع الكوفيون يونس في آراء كثيرة خالف فيها البصريين ، منها
تجريزه (١٥٨) أن تلقى علامة الندبة على الصفة نحو قولك « وازيد
الظريفاه » بينما ذهب الخليل (١٥٩) الى أن هذا خطأ .

وتبعوه في جواز (١٦٠) ادخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثني
وجماعة النسوة ، نحو « افعلان » و « افعلانان » بالنون الخفيفة ؛ وأيد ابن
جنى هذا المذهب قائلاً : « وليس ذلك . . . بالمتنع في الحس ، وان كان

١٥٦ - طبقات النحويين واللغويين ص ١٧٧ .

١٥٧ - مجالس العلماء مجلس ١١٤ . وانظر : الخصائص ج ٣ / ٢٩٢ .
واوضح المسالك ج ١ / ١٠٩ .

١٥٨ - انظر : الانصاف مسألة ٥٢ ، شرح الفصل ج ٢ / ١٤ ، حاشية الصبان ج ٢ / ١٦٩
والرأي في الاصول ج ١ / ٤٣٦ منسوب الى يونس وهذه .

١٥٩ - الكتاب ١ / ٢٢٦ .

١٦٠ - انظر : الانصاف مسألة ٩٤ . شرح الاثموني ج ٢ / ٥٠٢ . شرح التصريح ج ٢ / ٢٠٧ .

غيره أسوغ فيه منه من قبل أن الالف اذا أُشْبِعَ مَدَّها صار ذلك كالحركة فيها . أما البصريون فذهبوا (١٦١) الى أنه لا يجوز ادخالها في هذين الموضوعين .

وتبعوه في عدم (١٦٢) ضرورة عود الخافض .

وتبعوه في أن « ايّ » « ايّ » (١٦٣) في نحو : لأضربن ايّهم افضل ، معرب ، ولكنه يقول إنه مرفوع بالابتداء و « افضل » خبره ، والفعل معلق عن العمل . اما هم فيقولون إنه مفعول به منصوب ، بينما يرى سيبويه أنه مبني على الضم .

وتبعوه في أن الذي (١٦٤) يقع مصدرا ، كما ورد في قوله تعالى : (١٦٥) (وخضتم كالذي خاضوا) أي خاضوا فيه ، وقوله (١٦٦) (ذلك الذي يبشر عباده) أي يبشر الله به عباده .

وتبعوه في أن « وحده » (١٦٧) منصوبة على الظرف ؛ قال سيبويه (١٦٨) وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده .

وبناء على كل ما مضى من أقوال وأدلة وآراء حول أثر يونس في الكسائي والكوفيين فانني استطيع القول إن تأثير يونس في هؤلاء كان

١٦١ - انظر : الانصاف مسألة ٩٤ .

١٦٢ - انظر : شرح التصريح ج ١٥١/٢ ، شرح الاشموني ج ٤٢٩/٢ .

١٦٣ - انظر الكتاب ج ٣٩٨/٢ - ٤٠١ . والانصاف مسألة ١٠٢ ، وجع الهوا مع ج ١ / ٣١٣ .

١٦٤ - مفي اللبيب ص ٧٠٩ ، وانظر نسبة الراي الى يونس في : اعراب القرآن ج ٢١٥/١ .

١٦٥ - التوبة آية ٦٩ .

١٦٦ - الشورى آية ٢٣ .

١٦٧ - حاشية الشيخ ياسين في شرح التصريح ج ٢/١ .

١٦٨ - الكتاب ج ٢٧٧/١ .

واضحا شديد الوضوح وبارزا ، بل وبناء على كل ما مضى يخيل الي أنني
استطيع القول أن ابن حبيب النحوي كان مؤسسا بارزا من مؤسسي
المدرسة الكوفية، أو على الأقل كان مساهما مساهمة فعالة في نشأة هذه
المدرسة ؛ فهو الذي فتح لها مجال السير في الاتجاه المذكور الذي كان يتجهه
مع أستاذه ، من غير أن يتعارض هذا القول مع بصريته ؛ وبالتالي فلا
استطيع أن أعدّه ممن وضعوا النواة الأولى للمدرسة البغدادية، كما ادعى
(١٦٩) الدكتور أحمد مكي الأنصاري * ولعل قرب يونس من الكوفيين
هو الذي دفع الأنصاري الى ذلك . فالتقاء يونس بالكوفيين وأثره فيهم كان
قبل أن تنشأ المدرسة البغدادية وتقف على قدميها ؛ ونواة المدرسة
البغدادية لا يمكن أن تكون إلا بعد وجود المدرستين البصرية والكوفية، وهي
المعروفة بأنها اثبتت (١٧٠) من تمازج المدرستين ، وأنها مدرسة تقوم على
الانتخاب والتوفيق ، والنفوذ الى بعض ما يمكن النفاذ اليه من آراء
جديدة .

د. محمود حسني محمود

١٦٩ - أبو زكريا الفراء ص ٣٦٦ .

١٧٠ - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ص ١١٦ .

المصادر

ابن الاباري

١ - الانصاف - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ط الرابعة
١٩٦١ .

٢ - نزعة الالباء - تحقيق . ابراهيم السامرائي . الطبعة الثانية . بغداد . ١٩٧٠ .

ابن جني

٢ - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى . الطبعة الثانية . بيروت .

٤ - المحتسب - تحقيق علي النجدي ناصف . القاهرة ١٢٨٦ هـ .

ابن خلكان

٥ - وفيات الاعيان - تحقيق د. احسان عباس . دار صادر - بيروت .

ابن السراج

٦ - الاصول في النحو - تحقيق د. عبد السلام الفنلي . مطبعة الاعظمي ، بغداد

١٩٧٢ م .

ابن الشجري

٧ - امالي ابن الشجري . حيدرآباد . الطبعة الاولى ١٢٤٩ هـ .

ابن عقيل

٨ - شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، ط

الثانية عشرة ١٩٦١ م .

ابن العماد

٩ - شذرات الذهب - بيروت .

ابن قتيبة

١٠ - الشعر والشعراء .

ابن التميم

١١ - الفهرست . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

ابن دثام

١٢ - اوضح المسالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار احياء التراث

العربي . بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٦٦ م .

١٢ - مخني اللبيب . تحقيق د. مازن مبارك . مراجعة الاساذ سعيد الانفاني بيروت .

الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

ابن يميث

١٤ - شرح المفصل . المطبعة المتريه بمر .

ابو الطيب اللغوي

١٥ - مراتب التحوين - تحقيق أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٤ .

ابو الفداء

١٦ - البداية والنهاية - مطبعة السعادة بمر .

الازهري

١٧ - شرح التصريح على التوضيح . دار احياء الكتب العربية .

الاشموني

- ١٨ — شرح الاشموني — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة
بمصر . الطبعة الاولى ١٩٥٥ .

الاعشى

- ١٩ — ديوان الاعشى — تحقيق د. محمد حسين . المطبعة النموذجية .

الانصاري : د. احمد مكي الانصاري

- ٢٠ — أبو زكريا الفراء . القاهرة ١٩٦٤ .

بروكلمان

- ٢١ — تاريخ الادب العربي . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .

البغدادي

- ٢٢ — خزانة الادب . تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .
٢٣ — تاريخ بغداد . مطبعة السعادة ١٩٢١ .

الجاحظ

- ٢٤ — الحيوان — تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .
٢٥ — البيان والتبيين — تحقيق فوزي عطوي . بيروت .

الجمحي

- ٢٦ — طبقات فحول الشعراء — تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة
١٩٧٤ ، دار المعارف ١٩٥٢ م .

الحديثي . خديجة الحديثي

٢٧ — كتاب سيويه وشروحه . بغداد . الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

حسني . د. محمود حسني

٢٨ — المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي . رسالة دكتوراة مخطوطة في مكتبة

الجامعة الاردنية قسم المخطوطات وفي مكتبة جامعة القاهرة — كلية الاداب

ضمن الرسائل الجامعية .

الخطينة

٢٩ — ديوان الخطينة — تحقيق د. نعمان طه . الطبعة الاولى ١٩٥٨ .

الحموي — ياقوت الحموي

٣٠ — معجم الادباء — مطبعة دار المأمون . الطبعة الاخيرة .

٣١ — معجم البلدان . بيروت ١٩٥٦ .

الداودي . الحافظ شمس الدين

٣٢ — طبقات المفسرين — تحقيق علي محمد عمر . مطبعة الاستقلال الكبرى . الطبعة

الاولى ١٩٧٢ م .

الرضي

٣٣ — شرح الكافية . الشركة الصحافية العثمانية . ١٣١ هـ .

الزبيدي

٣٤ — طبقات النحويين والمفويين . تحقيق ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر .

الزجاج

٣٥ — اعراب القرآن — تحقيق ابراهيم الابياري . القاهرة ١٩٦٣ م .

الزجاجي

- ٣٦ - مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م .

الزمخشري

- ٣٧ - المنصل . دار الجيل . الطبعة الثانية .

سيوييه

- ٣٨ - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون

ج ١ دار القلم ١٩٦٦

ج ٢ دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٨ م .

ج ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م

ج ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

السمراني

- ٣٩ - اخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزيني . الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .

السيوطي

٤٠ - الاشباه والنظائر - تحقيق طه سعد . طبعة جديدة ١٩٧٥ م .

٤١ - الاقتراح في اصول النحو . حيدرآباد . الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ .

٤٢ - بغية الوعاة . تحقيق ابو الفضل ابراهيم . ط الاولى ١٩٦٥ .

٤٣ - هجج الهوامع - تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٧٥ م .

الصبان

- ٤٤ - هاشية الصبان . دار احياء الكتب العربية .

ضيف . د. شوقي ضيف

٤٥ — المدارس النحوية . دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

عزام . عبد الرحمن عزام

٤٦ — بطل الأبطال . مطبعة الحلبي . الطبعة الأولى ١٩٢٨ م .

عيد . د. محمد عيد

٤٧ — الرواية والاستشهاد باللغة . القاهرة ١٩٧٢ م .

الفرزدق

٤٨ — ديوان الفرزدق . دار صادر . بيروت ١٩٦٠ م .

القنطري

٤٩ — أنباء الرواة — تحقيق أبو الفضل إبراهيم . مطبعة دار الكتب . القاهرة ١٩٧٢ م .

المبرد

٥٠ — الكامل في الأدب — تحقيق د. زكي مبارك . مطبعة الحلبي الطبعة الأولى ١٩٢٧ م .

المرزباني

٥١ — الموشح . المطبعة السلفية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .

ناصر . علي النجدي ناصر

٥٢ — سيبويه (مأم النحاة) .

ياسين

٥٣ — هاشية الشيخ ياسين (ضمن شرح التصريح للزهري — دار إحياء الكتب

العربية) .

شاعر السموّ زهير بن أبي سلمى للدكتور عبد القادر الرباعي

(جامعة اليرموك / الأردن)

ما زال الشعر الجاهلي يشغل الدارسين والمهتمين بالفن عموماً ،
وذلك لما له من تميز في الاشراق والبساطة مع العمق والشمول . وهو
ككل فن بدائي ممتاز يشكل ، بجداره ، الاصول الأولى للفن الشعري العربي
الأصيل كله .

اما أعلامه فيُنظر إليهم على انهم الفلاسفة الأول الذين ابتكروا
المعاني وشقّقوها بقدرتهم الذهنية ، وباخلاصهم في الوصول الى حلول
مقنعة لمسألة الانسان والوجود .

وزهير واحد من اعلام الشعر الجاهلي ، بل هو واحد من المبرزين
فيه ، فهو لهذا يستحق اهتماماً مستمراً ودراسة متجددة ، لان مثل هذه
الدراسة وذلك الاهتمام قادران على اكتشاف عناصر جديدة تضاف الى تراث
هذا الشاعر الخالد .

سأتعرض لزهير في الصفحات التالية من زاويتين : ادرس في
اولها زهيراً الانسان : اصوله وفروعه ، ثم سماته الخلقية والمسلكية ،
على اساس ان لهذا دوراً كبيراً في تشكيل فكره والاهتمامات الشعرية عنده ؛
كما ادرس في ثانيتهما زهيراً الشاعر ، بهدف الوقوف على قدراته الفنية
التي جعلته شاعراً متميزاً في خصائصه ومذهبه .

هو زهير ابن أبي سلمى (بضم السين) (١) . واسم أبي سلمى
- والده - ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث، من بني مزينة (٢) . واكد
كعب بن زهير نسبه في مزينة بقوله (٣) :

هُمُ الْأَصْلُ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي مِنَ الْمَزِينِيْنَ الْمَصْفِيِّنَ بِالْكَرَمِ

ومزينة احدى قبائل مضر ، فهي منسوبه
- كما يقول ابن الكلبي - الى مزينة بنت كلب بن
وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، التي كانت
عند عمرو بن أد بن طائفة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ ولم تلد
مزينة لعمرو غير عثمان وأوس ، وهذا الأخير هو الجد الاصل لزهير (٤) .
وذكر عن طريق آخر ان مزينة هي ام عمرو ابن اده، وليس زوجته (٥) .
اما ابن سلام فيجعل مزينة واحدا من اجداد ربيعة والد زهير (٦) .
وعلى كل حال فزهير مزني النسب، لكنه ولد في بني عبد اللهب غطفان ،
لان والده كان مع اهل بيته في هؤلاء القوم حتى عرف بهم ونسب اليهم .

١ - البغدادي : خزنة الادب (ط . دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٧) ٢ / ٢٢٢ وورد فيها
انه جاء في الصحاح : « ليس في العرب سلمى (بضم السين) غيره » .

٢ - الاصفهاني : الاغانى (ط . دار الكتب المصرية) ١٠ / ٢٨٨ .

٣ - السكري : شرح ديوان كعب بن زهير (ط . دار الكتب المصرية) / ٦٧

٤ - ثعلب : شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (ط . دار الكتب المصرية) / ٢٣٠

٥ - الاغانى : ١٠ / ٢٨٨

٦ - الجبهي : طبقات نحول الشعراء (ط . دار المعارف . د.ت) / ٢٢

وقد ذهب بعض الباحثين واهماً الى انه منهم (٧) . وكان بعض اهل العلم من غطفان يدّعون انه منهم، ويشككون في صحة ادعاء كعب السابق في انه من مزينة (٨) .

اما انضمام ابي سلمى ، والد زهير ، الى بني غطفان وبقاؤه فيهم، فسببه — كما تقول اكثر الروايات (٩) — ان ابا سلمى هذا كان قد خرج مع خاله اسعد بن الغدير، وابن خاله كعب، وبعض من بني مرة للاغارة على طيء ، فأصابوا نهما كثيرا واموالا ؛ فرجعوا حتى انتهوا الى ارضهم ، ارض بني مرة ، فطلب ابو سلمى من خاله وابنه ان يفردا له سهما من الغنيمة ، فأبيا عليه ومنعاه حقه ، فكفّ عنهما حتى اذا كان الليل اكره امه على الارتحال معه من ارضهم، وقد قال في ذلك :

لتعدون إِبِلٌ مُخَيَّسَةٌ من عند سعدٍ وابنه كعبٍ

الإكلين صريح قومهما اكل الحباري بُرْعَمَ الرُّطْبِ (١٠)

واتجه الى قبيلته مزينة فلبث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمزينة مغيراً على أخواله من بني غطفان . ولما ابتعد المزنيون عن ديارهم وأشرفوا على ديار غطفان، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحيداً، فقال معتبراً :

٧ — ابن قتيبة : الشعر والشعراء (ط . دار المعارف ١٩٦٧) ٨٦/١ وما بعدها .

٨ — طبقات فحول الشعراء / ٩٢ . وورد على لسان نعلب في شرح ديوان زهير ص ٨٦ ان بني عبد الله بن غطفان يقولون، هو منا إلا انه يكذب ادعاهم ويمدّه باطلا .

٩ — الاغانى ٢٩١/١٠

١٠ — الحباري : طائر يقع على الذكر والانثى، ويضرب به المثل في البلاهة والحمق فيقال (ابلمن الحباري)

من يشتري فرساً لخير غزوها وأبت عشيرة ربها أن تُسهلا
ثم أقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل في أخواله من بنسي
مرة، وغمي بني عبدالله بن غطفان منهم ، وقد كان هؤلاء يسكنون (الحاجر)
في نجد (١١) .

فعلى هذا يكون الغطفانيون أخوالاً لوالد زهير، وليسوا أصولاً له كما
زعم بعض الباحثين. أما أمّ زهير فكل ما تعرف عنها أنها من غطفان ، من
بني مرة بن سعد بن ذبيان (١٢) ، وأنها أخت أو ابنة أخ للشاعر الجاهلي
الكبير بشامة بن الغدير . وكان زهير يعجب بشعره ويدعوه بالخال (١٣) .
وذكر حماد أن بشامة هذا كان أشعر غطفان في زمانه ، وكان رجلاً
مقعداً حازم الراي كثير المال . ولم يكن له ولد ؛ جمع ثروته من حزم
رايه، إذ كانت غطفان إذا أرادوا الغزو أتوه فأثروه واستشاروه وصدروا عن
رايه ، فإذا انصرفوا قسموا له مثلها يقسمون لأفضلهم ، فلما حضره الموت
جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين أخوته ، فأتاه زهير فقال : يا أخاه ، لو
قسمت لي من مالك ؟ قال : قد والله يا ابن أخت قسمت لك أفضل من ذلك
وأجزله . قال : ما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . فمن أين جئت بهذا الشعر؟
لعلك ترى أنك جئت به من مزينة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعيين
مائها في الشعر هذا الحي من غطفان . (١٤) والحدث في هذه الرواية — إن

١١ — الأغانى : ٢٠٩/١٠ . وشوقي ضيف : العصر الجاهلي (ط . دار المعارف ، الطبعة
السابعة) / ٣٠٠ .

١٢ — وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بني سهم بن مرة، أو فهر بن مرة، يقال له الغديسر .
انظر شرح ديوان زهير / ٥٥ والأغانى ٢٩٠/١٠ .

١٣ — جاء في شرح ديوان زهير ص ٢٢٥ أن بشامة عم لامّ زهير، لكن صاحب الأغانى يذكر في
ج ٢١٢/١٠ أنه خال زهير. أما ابن سلام فقد نص في طبقات فحول الشعراء / ٥٦٤ على
أن زهيراً ابن أخته .

١٤ — الأغانى ٢١٢/١٠ وشرح ديوان زهير ٢٢٥ .

كان صحيحا — يدلّ على تأثير بشامة في زهير، وعلى أن زهيراً كان شاعراً
معجبا به، مما دعا بشامة إلى الاعتزاز بأنه امتداده الفني .

ويظهر أن والدة زهير تزوجت بعد وفاة أبيه ؛ فقد ورد في الأخبار
أن أوس بن حجر كان فحل مضر في الشعر، حتى نشأ النابغة وزهير
فأخملاه ، وكان زهير راويته، وكان أوس زوج أم زهير (١٥) .

لم يترك زهير الحاجر في نجد ، أرض أخواله بعد موت والده، بل ظل
فيها هو وأهل بيته الذين لا تعرف منهم سوى أخيه، وكان يدعى أوسا ، وهو
أخوه من أمه الغطفانية (١٦) . وأخته الخنساء التي عاشت إلى ما بعد
موته، حيث نظمت فيه مرثية حزينة معبرة (١٧) .

أما زهير فقد تزوج إلى أخواله ؛ تزوج كبشة بنت عمار بن عدي
ابن سحيم، أحد بني عبد الله بن غطفان، فهي أم ولده (١٨) ؛ ويبدو أنها
كانت الزوجة الثانية بعد (أم أوفى) زوجته الأولى التي أحبها كثيرا ، لكن
الذي دفعه إلى زواج كبشة عقم أم أوفى (١٩) أو أنها ولدت لـه
ومات أولادها جميعا (٢٠) .

لم يرح هذا الزواج أم أوفى فدبت فيها الغيرة وأذت زهيراً كثيرا، مما
اضطره إلى طلاقها وهو كاره، ثم ندم على ذلك وقال (٢١) :

١٥ — طبقات فحول الشعراء / ٨١ .

١٦ — شرح ديوان زهير / ٥٥ .

١٧ — المصدر السابق / ٣٦٦ .

١٨ — المصدر نفسه ٢٢٦ ، ٢٢٥ .

١٩ — الموجز في الأدب العربي وتاريخه (وضع لجنة من الاساتذة بالاقطار العربية ، دار
المعارف بلبنان ١٩٦٢) ١ / ١٧٩ .

٢٠ — الاغانى ٣١٢/١ والخبر منقول عن ابن الاعرابي .

٢١ — شرح ديوان زهير / ٢٤٢ .

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وفي طول المعاشرة التَّقَالِي

لَقَدْ بَالَيْتُ مَطْعَنَ أُمِّ أَوْفَى ولكنَّ أُمَّ أَوْفَى مَا تُبَالِي

ومن الطبيعي أن يؤثر استمرار هذا الحب لأم أوفى على علاقته بكبشة، زوجته الجديدة . لقد واجهته باحساس المرأة : برمت كثيرا بفتور مشاعره نحوها فعاتبته عتاباً مرأه ذكرته فيه بواجب الزوج تجاه امراته التي تخلص لبيتها وتقوم بواجبها . أمًا وزوجة ؛ وهذا واضح في أبياته التالية (٢٢) :

وقالت أمُّ كعب لا تُزْرِنَا فلا والله ما لك من مزارٍ

رايتك عِبتني وصددت عني فكيف رايت عِرضي واصطباري

فلم أفسدُ بنيك ولم أقرب إليك من الملمات الكبارِ

ويدافع عن نفسه بجواب متنضب حمله بيته :

اقيمي أمُّ كعب واستقري فإنيك ما نزلت بها بداري

لقد اكد لها أن الذي يحكم معاملته لها هو شعور الزوج الذي يستشعر مسؤوليته بضرورة العمل على توفير الأمان لزوجته ما دامت في داره تقوم بمهامها جيدا .

أما مسألة الحب فليس لها أن تكلفه بها ، ذلك لأن الحب لا يفرض على الإنسان فرضاً . ولعل موقف زهير هذا يعكس لنا مفهوم الناس في عصره للزواج والحب على حد سواء ؛ فليس الزواج لتحقيق عاطفة الحب دائماً، وإنما الزواج في كثير من حالاته للانجاب والعناية بشؤون الحياة العائلية والمنزلية فحسب .

وعلى أية حال فقد أنجبت له كبشة هذه ثلاثة أبناء ذكورا، هم: كعب

وبجير وسالم (٢٣) أما سالم فمات في حادث شؤم ينقله الرواة على النحو التالي : كان سالم هذا جميل الوجه حسن الشعر، فأهدى إليه رجل بُردين، فلبسهما وركب فرسا خياراً، فمَرَّ بامرأة من العرب في مكان ماء يقال له النِّتَاءُ، فقالت : ما رأيت كاليوم قط رجلاً ولا بردين ولا فرسا أحسن مما أرى ، فما مضى قليلاً حتى عثر به الفرس، فاندقت عنقه، وانشقَّ بُرداه، وكُسرت عنق فرسه ؛ فقال زهير يرثيه ويشير الى الحادثة :

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطةً واخطأه فيها الأمور العظائمُ
 وشبَّ له فيها بُنُونٌ وتويعت سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
 وعندى من الأيام ما ليس عنده نقلتُ لها مهلاً فإنكِ حالمُ
 لعلك يوماً ان تُراعي بفاجعٍ كما راعني يوم النِّتاءِ سالمُ (٢٤)

إن في الأبيات تذكيراً بأن السرور لا يدوم ، وبأن على الإنسان دائماً ان ينهياً لاستقبال الفواجع لان الدنيا في قلب مستمر . ونحن على اية حال لا ندري مدى الصدق في قصة مقتل سالم، لكن الثابت لدينا ان زهيراً فجع بابنه هذا فجيعة عظيمة، جعلته يقف في الأبيات السابقة عند حالين متناقضين : حال من مُدَّت له الدنيا جبل السلامة والغنى ، وحال من بُلِّتته بالمصائب وجمعته بأبنائه * فالشعور بالأسى العميق كان حتما وراء ابراز تناقض الدنيا السحيق .

أما ولداه كعب وبجير فلحقا الاسلام واسلما * اسلم بجير اولا وتمنّع كعب، بل قال ابياتا يؤنب فيها بجيرا على اسلامه، ويعرّض بالاسلام والرسول . قال (٢٥) :

٢٢ - العباسي : معاهد التنصيص (المطبعة البهية ١٣١٦ هـ) ١١. / ٢

٢٤ - الاغني : ٢١٣ / ١٠ وما بعدها ثم شرح ديوان زهير / ٢٤١

٢٥ - شرح ديوان كعب بن زهير / ٢ وما بعدها و (وئيب) كَوَيْل ، تقول وئيبك وئيبك .

الا اَبْلَغُنْ عَنِّي بُجَيْرًا رَسَالَةً فَنَهْلُ لَكَ فِيهَا قَلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَ
 سُنِّيَتَ بَكَّاسٍ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ فَأَنْهَلُكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
 وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَتَبِعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيَبَّ غَيْرِكَ دَلَّكَ

فبلغ رسول الله شعره هذا فتوعده ونذر دمه، فكتب إليه اخوه بجير يحذره ويدعوه الى القدوم على الرسول واعلان التوبة والاسلام . وطمانه بأن محمدا عليه السلام لا يقتل احدا جاءه تائبا . ففعل ذلك كعب وقال قصيدة جلييلة القاها بين يدي الرسول الكريم ، فقبل توبته وعفا عنه، وكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين الف درهم .

هذا وتذكر بعض المصادر ان اسلام كعب قد اعلن بعد بعثة الرسول مباشرة، وذلك تحقيقا لوصية والده قبل وفاته، وهي تورد على هذا روايتين :

احدهما أن زهيرا رأى في منامه وفي اواخر عمره ، ان آتيا اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسكها بيده، ثم تركه فهوى الى الأرض . فلما حضره الموت قصّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إني لا اشك انه كائن من خبر السماء بعدي ، فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه . ثم توفي قبل المبعث بسنة ؛ فلما بعث رسول الله خرج اليه ولده كعب بقصيدته (بانث سعاد) وأسلم (٢٦) . وثانيتهما أن زهيرا رأى في منامه ان سببا تدلى من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، وكلما اراد ان يمسكه تقلص عنه؛ فأوله نبي آخر الزمان ، فانه واسطة بين الله والناس ، وان مدته لا تصل الى زمن مبعثه ، فأوصى بنيه ان يؤمنوا به (٢٧) . واعتقد ان هاتين الروايتين موضوعتان، وان الخبر الاول المشفوع بأبيات شعرية لبجير هو اقرب الى التصديق منهما . والذي يدفعني لهذا الاعتقاد ، الافتعال الواضح للرؤية

٢٦ - خزنة الادب ٢ / ٢٢٥ .

٢٧ - المصدر السابق ٢ / ٢٣٦ .

من أجل التدليل على تنبؤ بعض الناس بالنبوة قبل وقوعها • ولربما استفاد
واضعها من التقوى التي عرف بها زهير في الجاهلية كما سيأتي .

ومن أخبار زهير أيضا أن كانت له ابنة اسمها (وبرة) وأنها كانت

شاعرة؛ فعندما قال زهير :

أرادت جوازاً بالرستيسِ فصدّها رجالٌ مُعوذٌ في الدجى بالمعابِلِ
كانَ مُدهدى حنظلٍ حيثُ سوفتُ بأعطانها من جرّها بالجحافلِ

فقال زهير من يجيز هذا ؟ فقالت وبرة : يا ابتاه أنا أجيزه، وأنشدت :

جدودٌ فلتتْ بالصيفِ عنها جحاشها فقد غرزتْ أطباؤها كالمكاجلِ (٢٨)

- ٢ -

ترسم لنا الأخبار وشعر الشاعر صورة جميلة لزهير ؛ فهو من
النفر الذين كانوا يحاسبون أنفسهم كثيراً ليقتربوا من الخير، ويتعدوا عن
الشر؛ ولهذا استقام خلقه ، وباعد بينه وبين الموبقات، كالخمر واليسر
والأزلام (٢٩) .

لقد تساوت نفسه وابتعدت عن تدني المجتمع الجاهلي وتساقطه
في الحضيض ؛ وبذلك اقترب من الايمان • وفي شعره أبيات تشير الى أنه
كان قريبا من الايمان حقا فهو — مثلا — يؤمن بأن هناك إلهها يتدبر الكون
ويحاسب على الأعمال قال (٣٠) :

والمالُ ما خَوَّلَ الإلهُ فلا بُدَّ لَهُ أَنْ يَحْوِزَهُ قَدْرُ
والإنمُ من شَرِّ ما يُصَالُ بِهِ والبرُّ كالغَيْثِ نَبْتُهُ أَمْرُ

٢٨ — شرح ديوان زهير / ٢٤٥ .

٢٩ — جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دار العلم للملايين بيروت ومكتبة
النهضة ببغداد ١٩٧٦) ٦٧١/٤ .

٣٠ — شرح ديوان زهير / ٢١٤ .

وهو — كما يبدو في شعره ايضا — يؤمن بالحساب والعقاب ، وبأن
اعمال الانسان مرصودة ومحفوظة بكتاب مدخور (٣١) :

يُؤخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَطُ

لقد كان ذا خلق جميل، مشدود برباط الايمان دائما؛ ذلك لانه يرى ان
الانسان قادر على اكتساب خلق حميد اذا ما سعى للتعلق بالخير الذي
يريده الاله ان يعم الكون والناس (٣٢) :

عَوَّدْتَ قَوْمَكَ : إِنَّ كُلَّ مُبَرِّزٍ مَهْمَا يُعَوِّدُ شِيْمَةً يَتَعَوِّدُ
كَرْمًا وَبِرًّا لِلَّهِ وَشِيْمَةً تَغْفُو عَلَى خُلُقِ الْمُسِيءِ الْمُفْسِدِ

وقد بلغ من ايمانه انه خشي عقوبة الله لانه هجا بني عليم بن خباب
بدون حق، وكان يقول : « ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيني الله
بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم (٣٣) » . ولقد اعتقد بعض الباحثين انه كان
خاضعا لتأثير النصرانية، كما عده بعضهم نصرانيا؛ لكن يبدو ان الرأي الذي ذهب
اليه بروكلمان صواب ، فهو يعتقد بأن تأثير النصرانية كان واقعا في الجزيرة
العربية، لكننا لا يجوز لهذا ان نعد زهرا من النصارى (٣٤) . وكان عادلا
يحب العدل ، ويدعو دائما الى اعادة الامور لنصاب الحق، ولهذا بارك عمل
كل من هرم بن سنان والحارث بن عوف، اللذين تحملا ديات القتلى ، واصلحا
بين الحيين المتخاصمين : عيس وذبيان، بعد حرب دامت اربعين عاما .

يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُهْرَمٍ

٣١ — المصدر السابق / ١٨ .

٣٢ — المصدر نفسه / ٢٧٧ .

٣٣ — الاغاني ١٠ / ٢٠٩ وشرح ديوان زهير / ٥٦ .

٣٤ — كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي (ط . دار المعارف بمصر د . ت) ١ / ٩٥ .

تداركتمَا عبسًا وذُبْيَانًا بَعْدَهَا تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطْرَ مَنْشِمٍ (٣٥)
ورايه في تلك الديات انها اخذت بغير حق لان الذي تحمّل دفعها لا ذنب
له سوى حبه ان يسود الصفاء بدل الشر :

لَعْمُرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمَثَلِمْ
فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ عُلَّالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مَصْتَمِ
تَسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صَحِيحَاتِ مَالِ طَالِعَاتٍ لِحُرْمِ (٣٦)
إنه يستغل هذه الحادثة غير المنطقية لحث المجتمع على رؤية الخطأ
في نظامه الاجتماعي؛ فلو كان العدل هو الذي يسيره لما احتاج الى ان يقبل
هذا الأمر الغريب .

إن مطلب العدالة ربما نما مع الشاعر، خاصة وان أخواله كانوا قد
ظلموا والده ظلما دفعه الى تصرفات حادة جدا، كما مر بنا سابقا . وانني
اعتقد ان حادثة والده التي كانت السبب المباشر في توطئه بأرض أخواله الى
الابد ، كانت مؤثرة جدا في نفسية زهير وفكره وسلوكه ، ولهذا أصبح
السلام والعدالة مطلبه الاساسي في الحياة والوجود الانساني كله .

ولهذا كان اليغا جدا لمن عرفهم واختلط بهم، مهما كانت مستوياتهم
الاجتماعية ، وعلى اية صفة كانت علاقتهم به ، والمثل الرائع الذي يستأهل
التوقف هنا قصته مع راعيه (يسار) : كان الحارث ابن ورقاء الصيداوي،
من بني اسد، اغار على بني عبد الله بن غطفان، فغنم فاستاق ابل زهير
وراعيه يسارا (٣٧) مما دفع زهيرا ان يجاهد طويلا لاسترداد راعيه، حيث

٢٥ - شرح ديوان زهير / ١٤ ومنشم امرأة تبيع العطور وقيل : من التنشيم في الشر .

٢٦ - المصدر السابق / ٢٥ وما بعدها . العلالة : الزيادة هنا . مصتم : تام . المخـرم :
التنية في الجبل .

٢٧ - الاغني / ١ . ٢٠٧ - ٢٠٩ .

قال قصيدة يهجو بها الحارث بن ورقاء وقومه، ويهدده بغيرها ان لم يعد يسارا سالماء، ومطلع القصيدة (٣٨) :

تَعْلَمُ أَنْ شَرَّ النَّاسِ حَاسِيٌّ يَنَادِي فِي شِعَارِهِمْ يَسَارُ

ويبدو ان الحارث قد تأثر بأقوال زهير فعزم على اعادة يسار ، لكن قومه نهوه وحالوا بينه وبين رغبته، فبعث زهير فيهم قصيدة يهجوهم ويمدح الحارث ويشجعه، ويهيب به ان لا يستمع اليهم . ويبدو انه نجح في ذلك كما يقول (٣٩) :

ابْلُغْ لَدَيْكَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ أَنْ يَسَارًا أَتَانَا غَيْرَ مَغْلُوبِ
وَلَا مَهَانَ وَلَكِنْ عِنْدَ ذِي كَرَمٍ وَفِي حِبَالِ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُوبِ

من الملاحظ في هذه القصائد ان زهيراً لم ينشد استرداد شيء من امواله ، لكنه كان شديد الحرص على ان يعود اليه (يسار) فقط ؛ وهذا يدل على الالفة المتأصلة في طبع هذا الرجل، وعلى الوفاء الذي فطر عليه ايضا . فيسار مجرد راع بسيط، لكن اختلاطه بزهير ولد في ذات الشاعر مشاعر جميلة خاصة ومالاً بدافع منها حتى يسترد راعيه المخلص .

هذا وفضلا عن وفائه السابق الذكر لهرم، مدحه لاهله (٤٠) تحقيقا لهذا الوفاء ، عرف عنه شدة وفائه لزوجته (ام اوفى) ؛ فلقد ظل يذكرها باحسن ما تذكر به أنثى بالرغم من نشوزها وانفصالها عنه ؛ وقد أدى به هذا الوفاء الى مواقف صعبة مع زوجته الجديدة ، لكنه في علاقته بهذه المرأة الجديدة أثبت أيضا انه رجل طبع على الالفة وحسن المعشر، فحين عاتبته

٢٨ - شرح ديوان زهير / ٢٠٠ .

٢٩ - المصدر السابق / ٢٠٨ .

٤٠ - انظر محبته لسنان والد زهير في ديوانه / ١٩٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٦ وروثاه اباه / ٣٣٤ .

على استمرار تعلقه بأم أوفى - زوجته القديمة - لم ينكر ذلك، بسـل ذهب في صراحته الى حد ان عرفها موقعها منه، فهي ليست اكثر من امرأة تزوجها للانجاب ، وهو معها يقوم بواجبات الزوج على اكمل وجه، كما مر بنا سابقا .

وكان زهير متعففا، يترفع عن الماديات في علاقاته دائما ؛ لقد ظهر ذلك جلياً في تعامله مع ممدوحيه، وخاصة هرما ؛ فلقد اكثر زهير من مدحه حتى حلف هرم ألا يمدحه زهير إلا اعطاه، ولا يسأله إلا اعطاه، ولا يسلم عليه إلا اعطاه عبدا او وليدة او فرسا ؛ فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، وكان اذا مر به في ملاقال : « عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت (٤١) » .

والى جانب هذا كان زهير سيدا كثير المال ؛ فقد اغناه هرم ثم آل اليه نصيب من مال خاله بشامة بن الغدير، كما يذكر صاحب الاغاني (٤٢) ؛ وكان كريما يصرف ماله فيما يراه واجبا . روي ان زيد الخيل بن المهلهل الطائي تمكن من بجير فأخذه وهو لا يعرفه، ولما عرف انه ابن زهير حمله على ناقته وخطى سبيله، فأتى بجير اباه فأخبره خبر زيد وما فعله ، فأرسل زهير بفرس كميث كان لكعب من كرام الخيل الى زيد ، وكان كعب غائبا فلما جاء انكر على والده ذلك وقال : كأنك اردت ان تقوي زيدا على قتال غطفان، فقال زهير : هذه إبلي فخذ ثمن فرسك وازدد عليه ؛ وقد عنفت كعبا زوجته فقالت : اما استحييت من أبيك في سنه وشرفه ان ترد هبته ؟ وقد اثر هذا الموقف في زيد الخيل فقال :

فلولا زهير أن أكدر نعمةً لقارعت كعباً ما بقيت وما بقى (٤٣)

٤١ - معاهد التنصيص ٢ / ١١٠ .

٤٢ - الاغاني ١٠ / ٣١٢ .

٤٣ - أبو علي القالي : نيل الامالي (طبعة مصطفى اسماعيل يوسف بن دياب ، الطبعة الثالثة) / ٥٢ وما بعدها . وشرح ديوان كعب بن زهير / ١٢٦ وما بعدها .

ويقال ان زهيرا مات قبل البعثة بقليل. ويحدد بعضهم وفاته فيجعلها قبل البعثة بسنة واحدة (٤٤) ، اما بروكلمان فيقول : ان « الراجح انه مات قبل ظهور النبي بزمن طويل (٤٥) » وهناك رواية تجعل وفاته بعد البعثة وتزعم ان الرسول عليه السلام مرّ به وهو شيخ فقال : اللهم اعذني من شيطانه (٤٦) ؛ وهي رواية مشكوك فيها على اية حال ه هذا وقد رثته اخته الخنساء بأبيات جيدة تقول فيها (٤٧) :

فلا يغني توقي المرء شيئا ولا عتد التميم ولا الغضار
اذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار
ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار
وهكذا انتهت حياة شاعر عاش للخير، واتخذ من شعره اداة لنشره
وتمكنه في مجتمع كثر فيه الجهل والظلم والشر .

- ٣ -

لزهير ديوان شعر طبع عدة طبعات (٤٨) ، ولعل أجودها طبعة دار الكتب التي اعتمدت على رواية ثعلب، وهي الطبعة التي اعتمدها في دراستي

٤٤ - شرح ديوان زهير / ٥٦ وخزانة الادب ٢/ ٢٣٥ .

٤٥ - تاريخ الادب العربي ١/ ٩٥ وانظر ايضا تاريخ الادب العربية لتالينسو (ط . دار المعارف بمصر / ٧٨ .

٤٦ - معاهد التنصيص ٢/ ١١٠ .

٤٧ - السيوطي : شرح شواهد المغني (دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦) ١/ ١٣٤ ،
والنفسار : كان احدهم اذا خشي على نفسه علق عليه خرقة اخضر .

٤٨ - انظر مقدمة ديوان زهير / ٢٠ - ٤٤ . وكتاب احسان القص : زهير بن ابي سلمى . . .

هذه .

على الرغم من ان قضية الحرب والسلام اخذت القسط الاكبر من اهتمام الشاعر، فنظم فيها شعراً كثيراً مُثَلِّثُهُ قصائده المدحية، إلا أن شعره يحوي ايضاً اغراضاً أخرى كالرثاء والغزل والهجاء والفخر والحكمة . هذا بالإضافة الى ان شعره يحوي عناصر مختلفة من معارف عصره ومعالمه ؛ فشعره مثلاً من أكثر الأشعار الجاهلية اهتماماً بالكتابة ، لقد كررها أكثر من مرة وبخاصة في مقدماته الطللية؛ مثال ذلك قوله (٤٩) :

لن الديار غشيتها بالفند
كالوحي في حجر المسيل المخلد

وزهير في شعره يشغل بقضايا انسانية بالغة الدقة والخطورة في مجتمع جاهلي بدائي، كانت تسوده - الى حد كبير - شريعة باغية قاسية ؛ لذا احتاجت من الشاعر قدراً كبيراً من التجرد والتفكير لوضعها وضعا مؤثراً . فالشاعر متألم جداً للأوضاع السيئة التي ينحدر اليها مجتمعه ؛ وقد تمثل تألمه هذا بصورة شعرية توحى بأن طريق الخلاص هي السير مع حس السلام الذي بدأ يتخذ جانبا ايجابيا فاعلا . ومع كل ما من شأنه ترسيخ قيم او مثل عليا فوق الأرض . ومن هنا التقى كلام الشاعر نسي

... (دار الفكر بدمشق ١٩٧٢) ١١٩ وقد عثرت على نص في خزانة الادب ٢ / ٢٢٤ يشير

الى ديوان زهير وشروحه . قال البغدادي (وديوان شعر زهير كبير وعليه شرحان ،
وهما عندي والحمد لله والله ، اهدهما بخط مهمل الشهر الخطاط صاحب الخط
النسوب) ولم يذكر في مخطوطات الديوان المكتشفة ما يشير الى هذه النسخة .

٤٩ - شرح ديوان زهير / ٢٦٨ .

دعوته الإصلاحية مع الخلق الإسلامي الذي جاء بعيد موته . قيل : أنشد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوله في هرم :

أثني عليك بما علمت وما أسلفت في النجدات من ذكر
والستر دون الفاحشات ولا يلتصقك دون الخير من ستر

فقال عمر : ذلك رسول الله (ص). وكلام عمر هذا هو من نوع كلامه
حين سأل بعض ولد هرم أن ينشده بعض مدح زهير في أبيه ، فلما أنشده
ما طلب قال : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله أن كنا لنحسن
له العطاء ، فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم (٥١) .

ومن هنا قال عبد الملك بن مروان : ما سر من مدح بما مدح زهير آل
أبي حارثة من قوله :

على مكثريهم رزق من يعترتهم وعند المقلين السماحة والبسذل
الأيامك أمور الناس (٥٢) . يعنى الخلافة) .

ان المعاني التي عاشت وقدرت هذا التقدير في العصور اللاحقة، لمعان
انسانية كثيفة وان بدت بسيطة مكشوفة ؟ فلا عجب ان تلتقي بعض
معاني شعره مع بعض الآيات القرآنية الكريمة . لقد لاحظ بعضهم موضع
النقاء قوله :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم
مع فحوى الآية الكريمة « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج

٥٠ - الاغاني ١٠/٢٠٤ .

٥١ - المصدر السابق ١٠/٢٠٥ ويقال ان عمر قال ايضا (ولكن العطل التي كساها أبوك
هرما لم يبيلها الدهر) .

٥٢ - المصدر نفسه ١٠/٢٠٦ .

مشيدة (٥٣) «.والاحظ التقاء قوله :

فان الحق مقطعه ثلاثٌ ؛ يمينٌ او نفاًرٌ او جـلاءٌ

فذلكم مقاطع كل حـق ثلاث كلهن لكم شفاء (٥٤)

بالبعد الاجتماعي والانساني الذي عليه القول الالهي : « ولكم في القصائص حياة » .ولربما كان هذا وراء قول ابن قتيبة : « وكان زهير يتاله ويتعنف في شعره ،ويدل شعره على ايمانه بالبعث » (٥٥) .

ويبدو ان اتجاهه الخلفي كان وراء تفضيل كثير من الناس له . لقد نُضِل على الشعراء لانه — كما قيل — : « كان ابعدهم من سـخف ،واشدهم اجتنابا لحوشي الكلام (٥٦) » .

والواقع ان زهيراً كان شاعراً فذاً ، فلقد فهم بخبرته وذكائه قضايا الانسان والوجود ، وعبر عنها تعبيرا ادبيا اكسبها سمة البقاء ، وهذا ما جعله قائما في عقول الناس على مر العصور .

وشاعريته اصيلة عريقة تمتد في جذورها وفروعها بشكل جعلها متميزة في تاريخ الشعر العربي القديم . قال ابن الاعرابي : « كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان ابوه شاعرا ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، واخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، واخوته الخنساء شاعرة (٥٧) » . وقد ذكر ايضا ان عقبه بن كعب بن زهير المعروف بالمضرب

٥٢ — ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي (دار المعارف بـبصر ١٩٥٦) ٤٠٦ ، والاية في النساء / ٧٨ .

٥٤ — شرح ديوان زهير / ٧٥ . والاية من البقرة / ١٧٩ .

٥٥ — خزنة الانب / ٢ / ٣٣٣ .

٥٦ — المرزباني : الموشح (دار نهضة مصر ١٩٦٥) ٩٥ .

٥٧ — شرح شواهد المفني / ١ / ١٣٣ ومماعد التنصيص / ٢ / ١١٠ .

كان شاعرا ، وانه كان لعقبة هذا ابن يقال له العوام، وكان شاعرا —
أيضا (٥٨) .

لقد اجتمعت لزهير عناصر وراثية في الشعر اعطته استعدادا فطريا
لقوله ؛ ويبدو انه أحسّ مثل هذا الاستعداد مبكرا ، فأخذ نفسه به وعوّل
على تأصيله وتهذيبه حتى غدا شاعرا مذكورا . لقد وضعه ابن سلام في
الطبقة الأولى، تاليا لامرئ القيس والنابغة (٥٩) .

اما ابو الفرج فقد ذكر ان الرواة لم يتفقوا على تفضيل أي من امرئ
القيس أو النابغة عليه ؛ قال : « هو احد الثلاثة المتقدمين على سائر
الشعراء ، وانما اختلف في تقديم احد الثلاثة على صاحبيه ؛ فأما الثلاثة فلا
اختلاف فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني (٦٠) » .

وفي التراث النقدي ما يؤيد قول ابي الفرج ؛ فقد جاء في طبقات ابن
سلام نفسه ان اهل النظر قالوا : « كان زهير أحصفهم شعرا . . . واجمعهم
لكثير من المعنى في قليل من المنطق (٦١) » .

وقد نسب صاحب خزانة الادب الى ثعلب تقديم زهير ، كما أورد
محاورة بين جرير وابنه عكرمة مؤداهاء ان جريرا كان يقدم زهيرا ويجعله
اشعر الجاهليين (٦٢) . ومن كان يقدمه أيضا قدامة بن موسى الجمحي ،
الذي كان — كما يقول ابن سلام — من اهل العلم (٦٣) . وكان كل من عمر

٥٨ — الاغاني ٢١٤/١. وخزانة الادب ٢/٢٢٢ .

٥٩ — طبقات نحل الشعراء / ٩٢ .

٦٠ — الاغاني ٢٨٨/١ .

٦١ — طبقات نحل الشعراء / ٥٢ والنعماني : خاص الخاص (دار مكتبة الحياة بيروت
١٩٦٦) ٩٦ .

٦٢ — خزانة الادب ٢/٢٢٢ .

٦٣ — الاغاني ٢٨٩/١ .

ابن الخطاب ومعاوية يسميه بشاعر الشعراء أو أشعر الشعراء (٦٤). وقد زعم حماد انه لم يدرك احدا من اهل العلم من قريش يفضل على زهير من الناس احدا في الشعر، لكنه يقول : غير ان قريشا قد اتفقوا على تفضيل زهير والنابغة معا (٦٥) . وكان ابو عمرو ابن العلاء يقول : « كان اوس فحل مضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه (٦٦) » . وسجل بعض النقاد القدامى احكاما نقدية توازن بين زهير وغيره على اساس الدوافع النفسية التي اشتهروا بها، فقيل : « كان امرؤ القيس اشعر الناس اذا ركسب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب (٦٧) » .

والنقد الحديث لا يأخذ بهذه الآراء المطلقة لانه يدرك اختلاف الشعر والشعراء من حال الى حال ؛ فالسألة كلها ترتبط بقضايا دقيقة في الشاعر ذاته، وفي الموضوع الذي يتناوله، والجو العام الذي يقال فيه الشعر . ولكن تظل الأقوال التي فاضلت بين زهير وغيره على اساس من الضوابط النفسية خاصة أقرب الى الاحتمال والتقبل من تلك التي اعتمدت التعميم اسلوبا في احكامها .

وعلى مستوى الصنعة الشعرية يصادفنا الراي المنسوب الى عمر ابن الخطاب في تفضيل زهير، حيث قال : « كان لا يعاظم في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح احدا الا بما فيه (٦٨) » . لقد اعجب به لان شعره مستو، وفصيح اللفظ، وناطق بالصدق الحقيقي عن مجريات الاحداث وواصف الناس . ان هذا النقد — بالرغم من أن نظريات الشعر

٦٤ — شرح شواهد المغني ١ / ١٢١ .

٦٥ — شرح ديوان زهير / ٨٦ ، ٢٢٦ .

٦٦ — طبقات شعراء / ٨١ .

٦٧ — العسكري : كتاب الصناعتين (عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٢) ٢٢ .

٦٨ — الاغانى ١ / ٢٨٩ ومعاهد التنصيص ٢ / ١٠٩ .

الحديثة قد تجاوزته بكثير — يظل نقدا يقدم اوليات اساسية في الحكمم
النتدي المعلن .

وقد لاحظ الاقدمون تأثر زهير في الصنعة بطريقة اوس بن حجر —
وكان زهير راوية له — وهي قائمة على البروز الحسي، والاستقصاء للصور
وتفصيلاتها (٦٩) . وعرف عن زهير أنه صاحب مذهب التحريك الشعري
في العصر الجاهلي ، إذ به عدَّ واحدا من الذين أطلق عليهم الاصمعي «عبيد
الشعر» . (٧٠) قيل إنه كان ينظم القصيدة في ليلة او شهر، ثم يتركها عنده
عاما كاملا لا يذيعها في الناس إلا بعد ان يعاود فيها النظر مرات عديدة .
ولهذا سميت قصائده بالحوليات او المقلدات والمنقحات (٧١) . وحتى نحكم
حكما مقنعا على عمل زهير هذا، لا بد لنا من الاجابة عن مسألة هامة في
المعرفة النقدية : هل الشعر ابن الملكة الشعرية وحدها، ام ابن الصنعة
الحاذقة فقط ، ام ابهما معا ؟

ان الاجابات العصرية لا تميل الى فصل الصنعة عن الموهبة ، وهي
تعدهما اساسا متحدا لكل فن ناجح، وبهذا يكون زهير واحدا من الذين وعوا
باكرا دورهم الشعري الريادي، لذلك جاء شعره ناضجا متقنا ، ولقد لاقى
قدرا كبيرا من الاعجاب في عصره وبعد عصره . ان الاساس الفني لمذهبه
اهتمامه كثيرا بالصور الكثيفة التي قادت الى خلق الترابط العضوي في
القصيدة الواحدة، لأنها تشيع معاني عميقة شديدة التشابك والترابط .

٦٩ — شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط . دار المعارف بمصر الطبعة
الرابعة / ٢٨) وما بعدها .

٧٠ — الشعر والشعراء / ٢٢ / ١ .

٧١ — الجاهظ : البيان والتبيين (عبد السلام هارون ١٩٢٨) ٩ / ٢ ومعاهد التنصيص
١١١ / ٢ وخزانة الادب ٢ / ٢٣٥ . وابن جنبي : الفصاحي (ط . الهلال ١٩١٢)
٢٣٠ / ١ .

ان مثل هذه المعاني تؤدي بتفاعلها وتجاوبها وتجاذبها الى الكشف عن الرموز والايحاءات التي تؤلف الوحدة المعنوية الباطنية للقصيدة : فرصدنا لحركات النفس داخل القصيدة الواحدة يقودنا الى الوقوف على قضايا انسانية بعيدة بعدا جذريا عن الموضوعات الظاهرية التي نتحدث عنها . . وهذه هي القيمة المتوقعة لكل ترابط صوري كهذا الذي يشيعه زهير باتقان نادر .

بهذا تغدو الأقوال التي اتهمت معلقته كما اتهمت غيرها من المعلقات بالتفكك (٧٢) ، اقوالا قاصرة، عاجزة عن الرؤية الشمولية التي تعتمد اكتشاف الحقيقة من خلال حل العقد والتداخل الشعري العجيب .

ولكن الرواة والنقاد أخذوا على زهير عدة مأخذ في شعره، تنحصر في مجالات اللغة والسرقات والفن وغاياته بشكل عام :

ومن مأخذهم اللغوية استبشاعهم كلمة (حقلد) في بيته (٧٣) :

تَقِي نَقِيٍّ لَمْ يَكُنْ غَنِيمَةً بِنَهْكَ ذِي الْقُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ

ومنها انكارهم عليه قوله (رك) في بيته :

ثُمَّ اسْتَمَرُوا وَقَالُوا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ مَاءٌ بَشْرَقِيٍّ سَلْمَى فَيْدٌ أَوْ رَكَكُ

لانه حكى بعض الاعراب انه قال : إنما هو « رك » (٧٤) . ولست أرى وجها لهذه المأخذ . (حقلد) كلمة عربية مستعملة، قد تكون ثقيلة على اللسان، لكنها في موضعها في البيت أدت ما أراد الشاعر ؛ أما (رك) فنقلها

٧٢ - الموجز في الادب وتاريخه ١/ ١٨٥ .

٧٣ - كتاب الصناعتين / ٢٠ والبيت في الديوان / ٢٢٤ والحقلد : الضيق البخيل ، والسلي الخلق .

٧٤ - الموشح / ٦١ وحكى عن بعض الاعراب انه قال : إنما هو (رك) والبيت في الديوان / ١٦٧ .

هو الذي دفع الشاعر الى فك ادغامها . والشاعر — على اية حال — اطمأن على وضع كل كلمة في موضعها من شعره ، لذا فان اي مأخذ لا يكون بافراد الكلمة ومحاسبتها على جمالها او قبحها منعزلة ، وانما في موضعها من القصيدة، وهذا مبدا غير الذي حوكم على اساسه زهير كما هو واضح .

واما في نحل الشعر فقد روي ان الاصمعي كان « يرى أن ابیاتا من قصيدة زهير الميمية (امن ام اوفى . . .) ليست له، وانما هي لصرمة بن انس الانصاري (٧٥) » . واتهم ايضا بالاغارة على شعر غيره من الشعراء؛ فقد جاء على لسان ابي عبيدة قوله : كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن ابي سلمى ادعى المقطوعة التي مطلعها :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غُطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتِ (٧٦)

والمقطوعة في ديوان الشاعر ، وقد ذكر انها في رثاء سنان ابن ابي خارجة، مع زيادة بيت على الأبيات التي رواها أبو عبيدة وهو :

وَمَلَعْنِ ذَاقَ الْهَوَانِ مَدْفَعٍ رَاخِيَّتْ عَقْدَةَ كِبْلِهِ فَا نَحَلَّتِ (٧٧)

ومع تقديم وتأخير في الأبيات ، ثم مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ والعبارات .

وهذا امر يرتد الى مسألة النحل والانتحال في الشعر الجاهلي . ومن الصعب ان يجزم الانسان فيها برأي وتظل خاضعة للفرض والتخمين . على ان مما يضعف احتمالات كون الأبيات لقراد ان احدا لم يقل بذلك سوى

٧٥ — مصادر الشعر الجاهلي ٣٢٨ عن كتاب المعمرين / ٦٦ . وهناك قصيدة اخرى منسوبة للانصاري في ديوان زهير / ٢٨٤ .

٧٦ — المرزباتي / معجم الشعراء (عيسى البابي الحلبي . ١٩٦٠) ٢٠٥ .

٧٧ — شرح ديوان زهير / ٢٢٤ .

أبي عبيدة، وأن الأبيات في الديوان مزيدة ومختلفة بعض الاختلاف، ومقرونة عند زهير بمناسبة ؛ ولم ترد أية إشارة من ثعلب ، شارح الديوان ، تشير الى اتهامها على غير عادته .

أما في مجال السرقة الشعرية فيذكر الرواة أن زهير أخذ أبياتا ممن سبقه أو عاصره من الشعراء، من ذلك — مثلا — قول امرئ القيس (٧٨) :

فَلأَيًّا بِلأَيِّ ما حَمَلنا غَلامِنا على ظَهرِ مَحبوكِ السَراةِ مَحْنَبُ

أخذه زهير فقال :

فَلأَبًّا بِلأَيِّ ما حَمَلنا غَلامِنا على ظَهرِ مَحبوكِ ظِماءِ مَفاصِلِهِ

والمسألة هنا ترتبط بمفهوم السرقات الشعرية قديما وحديثا ، لأن هذا المفهوم ليس واحدا في العصرين؛ فبينما يعدّ النقد القديم التأثر والتأثير في الشعر سرقة معيبة، ينظر اليها النقد الحديث على أنها طبيعية، بل ربما كانت عامل اغناء كبير في الشعر ؛ لأن حصيلة هذا الفن تلاقح المشاعـر والمواقف والأفكار الإنسانية . وهو لا يفترض السرقة في الشعر أبدا ، لأنه يعتبر الشاعر مسؤولا عن كل حرف يستخدمه . وهو — على أية حال — لا ينظر الى الشعر نظرات جزئية تتوقف عند التقاء شاعرين عند كلمة أو جملة، لأن الشاعر الذي يصدر عن تجربة ذاتية حية لا بد أن يحدث شيئا ما فيما يتأثره، وذلك ليحوّله الى عالمه الخاص المفروض من المواقف الذاتية .

فزهير تصرّف ببيت امرئ القيس تصرفا يبدو قليلا، لكنه إذا قرن الى السياق كله ونظر اليهما نظرة شاملة، أمكن ان يقال ان التجربة الكلية المتكاملة في القصيدة هي التي فرضت مثل هذا التصرف ؛ عندها يقدو الشعر كله ملك زهير، يحاسب عليه ويحاكم به .

٧٨ — انظر هذين البيتين وغيرهما من الأبيات مجموعة في شرح ديوان زهير ١٥ — ١٧ المقدمة.

وأما في المجال الفني فقد أخذوا عليه اضافته (أحمر) الى (عاد) في

قوله :

فَتُنَجِّحْ لَكُمْ غُلْمَانَ أَشْأَمَ كُلِّهِمْ كأحمرٍ عادٍ ثم تُرَضِّعُ فَتُنْقَطِمِ

قائلين : (ان ثمود لا يقال لها عاد ، لان الله عز وجل انما نسب

تدارا الى ثمود « (٧٩) كما خطأوا قوله :

يُخْرِجُنْ مِنْ شَرِبَاتٍ مَأْوَها طحل على الجذوعِ يَخْفَنُ الغم والفرقا

قائلين : « ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق (٨٠) »

وهذا خلاف الواقع .

انهم — كما يبدو من تقديم لشعره هنا — لا يفرقون كثيرا بين الصدق

الحقيقي والصدق الفني . فالشاعر — فنيا — لا يتقيد بسرد الواقع كما

كان وانما كما يمكن ان يكون من جهته ؛ ومن هنا لا يعيب زهيرا ان وضع

(عاد) بدلا من (ثمود) لأنهما في خياله ترمزان الى معنى ذهني واحد هو

الشر الرابض في الأرض ؛ ومن هنا أصبحت الواحدة تعني الثانية عنده .

كما لا يعيبه أيضا ان خالف المفهوم السائد في تفسير خروج الضفادع

من الماء، لانه وهو ينظم القصيدة التي منها البيت، اراد هذا التفسير لحاجة

خاصة به . فالذي يجب ان يحاسب عليه الشاعر هو مدى ارتباط الجو

الذي يستحدثه بدوافعه ومواقفه ؛ اذ لا بأس حينئذ من تحويل الواقع او

استبداله بواقع جديد يخترعه خيال الشاعر وعواطفه . ان عدم وضوح

هذا المفهوم في اذهان كثير من النقاد الذين درسوا زهيرا هو الذي دفعهم

الى محاكمته على أساس محاكاة الواقع ، وبالمعنى الحرفي لهذه المحاكاة،

فأخطأوا في احكامهم النقدية عليه .

٧٩ — طبقات فحول الشعراء / ٧٣ والموشح / ٥٦ .

٨٠ — كتاب الصناعتين / ٧٢ .

هذه صورة متكاملة لزهر الانسان وزهر الشاعر ، وهي صورة تحوي مضمونا واحدا هو « السمو » : فلقد كانت افكاره ومواقفه الاجتماعية تصدر عنه وتهدف الى انجازه على مستوى العصر كله؛ فبالسمو — كما عبر زهير في شعره مرارا — يعرف الانسان موقعه من الحرب والسلام ، وبه ايضا يدرك ابعاد ايجابيته في تفاعله مع غيره ممن يؤلفون معه وحدة اسمها المجتمع المتكامل . وكان ايضا يطبق السمو في خلقه . ^{٨١}يروى انه كان يقول : ما انا بأشعر من النابغة . (٨١) ويروى ايضا انه كان محبوبا ومحترما ممن عرفه (٨٢) . كما كانت مناهجه في الابداع الفني تتصف بالسمو ايضا ، فاذا وعينا ان السمو الفني يعني النتيجة التي يتوصل اليها شاعر يجتهد في تعمق تجربته واتقان وسائله حتى تخرج حين تخرج ، وهي صاعدة الى قمم الابداع، ومتجاوزة كل ما قد يسماها بالابتدال والسوقية ، ادركنا كم كان حظ زهير من السمو الفني عظيما .

ان احساسنا بصفة السمو في شعره فكرا وفنا هو الذي دفعني لاطلاق لقب (شاعر السمو) عليه ؟ فزهير شاعر متميز باخلاصه لعصره واخلاصه لشعره ، لذا فهو ما زال بحاجة منا الى دراسة جديدة واعية هادفة تستقصي شعره وتستخرج منه كنوزه الثمينة .

د. عبد القادر الرباعي

٨١ — شرح ديوان زهير / ٢٢٦

٨٢ — خزانة الادب / ٤ / ١٥٠ و ذيل الامالي / ٢٣ و ديوان كعب بن زهير / ٢٦

تعلیمات
و
مناقشات

ذبولٌ ومُلاحظات

للمهندس هاتم غنيم

ما كنت اظن انني ساكتب يوماً معقّباً على قول قائل او بحث باحث؛
نما بي تتبع السقاط، ومعرفتي بنفسي تمنعني من ذلك * غير انني طالعت
في العدد الاخير من مجلة المجمع اقتراحاً للاستاذ عيسى الناعوري بشأن
ايجاد مرادف لكلمة « تين ايجرز » الانكليزية ، معلقاً على بحث للدكتور
ناصر الدين الاسد نشرته المجلة في عددها الاول ؛ وكنت أثناء مراجعتي
للبحث هذا دَوّنت ملاحظات لي تتعلق بالمسألة نفسها ، جرياً على عادتي
في كتابة تعاليق هامشية ارجع إليها عند الحاجة ؛ فارتأيت، وقد طرقت
الموضوع مجدداً، ان أنشرها، عسى ان تفيد او تقود الى نقاش يجزّ منفعة .
ثم عزمت على ان اجمع حواشي اخرى كنت ذبّلت بها بعضاً من المقالات
المنشورة في اعداد المجلة ، لعلّ البحث يكون اوسع ، والفائدة اعم . .

وقد توخيت ان ابدا ببحثي المنشور في العدد الثاني ص ٧٩
(استدراقات على النصوص الشعرية في كتاب « شعراء عباسيون »)
حتى يصدق القول : من ساواك بنفسه فما ظلمك . ولن اعرض للأخطاء
الطباعية التي حرّفت من النصوص المستدركة بعضاً ، فتلك تسهّل
معرقتها إما بديهية او بالرجوع الى المصادر المذكورة ؛ ولكنني سأنشر هنا
نصّين لسلم الخاسر فاتني ادراجهما ، إذ لم اطلع عليهما إلاّ بعد ان كنت
ارسلت بحثي للمجلة . والمقطوعتان هما :

١ - تخريجها : كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار (لمحمد بن

عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، منشورات مكتبة
لبنان (١٩٧٥) ص ٤٢٧ (من السريع)

- ١ - ان المنيا ، وهي غدارة صادت حسينا ثانيا يوم فح
- ٢ - اوقد ناراً خابياً ضوءها لم يُفْنِ للايقاد فيها بنفخ
- ٣ - كبيدق لم يحميه شاهد فسنجته ضربة شاه رخ

ب - تخريجها : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة
(لبرهان الدين الوطواط ، الطبعة المصورة نشر دار صعب - بيروت)
ص ٢٥٢ (من مجزوء الكامل)

- ١ - يا ايها الملك الذي اضحى وهنته المعالي
- ٢ - انت المنوّه باسمه عند الملمات الثقال
- ٣ - ثم الذي امواله عند المحامد خير مال
- للبه درك من فتى ما فيك من كرم الخلال
- ٤ - يحيى بن خالد الذي يعطي الجزيل ولا يبالي
- اعطاك قبل سؤاله فكفناك مكروه السؤال
- ملك خلا من ماله ومن المروءة غير خال
- واذا رماك بموعد كان النوال مع المقال

(بزيادة أربعة ابيات على المقطوعة . ص ١١٠)

ثم يجدر بي ان اشير الى ان القطعة (ي) من النصوص التي جمعتها
لسلم تزوي لابي العتاهية في الاغاني (٨٢/٤) والمستطرف (٧٢/٢) وثمار
القلوب (٣٥) وبهجة المجالس (١٨٥/١) مما يرجح انهاله .
اما الحاشية الثانية فقد تتبعت فيها ما كتب الاستاذ روكس بن زائد

العريزي في العدد الثاني والعدد المزدوج (٣ - ٤) بشأن كلمتي كيمياء وكهرباء والنسب اليهما ؛ وما جاء في تطبيق الدكتور ف . عبد الرحيم عن الكلمة الاخيرة . وانه لمن اللافت للنظر والداعي الى الاستغراب مما استفرقه هذا الموضوع من نقاش وبحث ، بداه منذ اكثر من اربعين عاما الابد انستاس ماري الكرملي ، اذ كتب مقالا نُشر في الجزء الخامس من مجلة مجمع اللغة العربية المصري، انهاء بقوله : «انه «لم يبق شك في ان الكيمياء والكيمياء من اصح الكلام واقومه واصدقه رواية وموافقة لكلام الفصحاء والبلغاء» . وكان ان اصدر المجمع في الجلسة الخامسة من الدورة السادسة (سنة ١٩٣٨) قرارا نصه : « يقال في النسب الى كيمياء : كيمياءوي وكيمياوي »، ثم تقدم الامر مصطفى الشهابي بحثا في النسب الى كيمياء ونحوها من الاسماء المدودة المعربة الى المجمع نفسه في دورته الخامسة عشرة ، ورات لجنة الاصول آنذاك (سنة ١٩٤٩) انه « يجوز في النسب الى كيمياء اثبات الهزء وقلبها واوا ، ولكن القلب اولى » . ثم اعيد بحث هذا الموضوع في الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة والثلاثين المنعقدة سنة ١٩٦٩ ، وانتهى المجمع المصري الى جواز النسب الى كيمياء باثبات الهزء ، وبهذا « قطعت جهيزة قول كل خطيب » ، واصبحت تخطئة الاستاذ العريزي للدكتور بدران غير ذات موضوع .

ولو سلطنا عند دراسة النسب الى كلمة كهرباء النهج الذي طرقه المجمع حين توصل الى قراره المذكور ، وقمين بنا ان نعمل ذلك ، لعل بظننا ان تكون الهزء فيها لللاحاق (الحاقا بفرنساء وعقرباء) ، وذلك لاستبعاد كون الهزء للتانيث ، لان مذهب البصريين يرى هذه متفرعة عن الف التانيث المقصورة . ومن المحقق ان الالف في كهرباء ليست للتانيث ، وفي هذه الحالة يجوز ابقاء الهزء او قلبها عند النسب . فلانقول غضاضة اذن في ان نقول كهربائي ، فلا يبعها الذوق ، كما نقول كهربى وكهرباوي

وكلها جئزة .

بعد هذا سأنتقل الى البحث الخاص بالمقرنسات وأصل اشتقاق لفظها . وقد أبعد الأستاذ عيسى الناعوري مرماحين قدر أن أصل المقرسات من كلمة Corpus اللاتينية ، فالكلمة لا تعني الجسم بل الجسد ، وشتان ماها ؛ كما أن القرنة لاعلاقة لها بالتجسيم ، بل هي معالجة زخرفية لابرار جمال العنصر الانشائي عند الانتقال من الاتجاه العمودي الى الاتجاه الأفقي ، وتكون عادة ذات شكل مدرّج أو سلّم ، مكون من منحنيات مقعّرة أو مسطّحة . ولكن من أراغ التشابه الصوتي وجده . وهل نستطيع أن نجزم بأن الطاولة والطبليّة وكلمة Table الانكليزية ورديفتها الفرنسية نوات أصل لغوي واحد ؟ .. لذلك فانا الى ترجيح ما جاء في التكملة والنتاج عن كلمة القرنة اميل . ونحن بمنذوحة عن الاهتمام بالأصل ، اكان من القرناس أم من أصل اغريقي او لاتيني . وقد كنت نظرت في أصل كلمة Cornice الانكليزية ، وهي تعبّر عن زخرفات نائثة فوق تيجان العمدان ، فوقفت على أنها اشتقت من الكلمة اليونانية Koronis والتي تفيد الانحناء ؛ أفلا يجوز أن تكون هذه أصلا للمقرنسات ، كما تكون كلمة Curvus اللاتينية ، والتي تفيد الانحناء أيضا ، أصلا للمقرنسات ؟ ولعل اختلاف اللفظين يفسّر اختلاف اللفظ بين المشاركة والمغاربة . .

واختتم هذه الملاحظات بما جاء في الاقتراح المقدم من الاستاذ عيسى الناعوري عن استعمال كلمة (عَشْرِينَ) كمرادف لكلمة (تين ايجرز) الانكليزية . والكلمة المقترحة لا شك خفيفة الوقع تتقبّلها الأذن ، ولكنها لا تماثل الانكليزية تماما . فهذه الأخيرة تشمل الأعمار من ١٣ الى ١٩ سنة ، في حين تشمل الكلمة المقترحة من هم بين العاشرة والثالثة عشرة أيضا . وليست العبرة هنا في زيادة الشمول او نقصه ، ولكن المرحلة المعنوية

بالكلمة تقصد بها مرحلة تكوينية ونفسية خاصة ، لا يمكننا ادراج من هم في العاشرة مثلا ضمنها . واللغة العربية واسعة ويمكننا ان نجد اكثر من كلمة تلائم هذه المرحلة ، مثل بَيْعَة ومراهقين . وانا لا اجد ضرورة للالتزام بكلمة رقمية كي تمبّر عن مرحلة من النضج ، إذا امكنا التعبير عنها بكلمة وصفية توّضحها .

ثم يتطرق الاستاذ الناعوري الى انه « يمكن ان يقال لمن هم في سن العشرينات او الثلاثينات : العشرينيون او الثلاثينيون .. الخ » بينما يذكر ابن سيدة في المخصص (د ١٧ / ١١٨) في باب النسب الى العدد أنك « إذا نسبت الى عشرين تقول هذا عَشْرِيّ وثلاثيّ الى آخر العدد .. » وانما فعلوا ذلك لئلا يجمعوا بين إعرابيين . اما اذا اردت النسب الى ثلاثة فتقول ثُلَاثِيّ . وربما دفعنا هذا للانتهاء الى ان الاصح ان نقول : « سنوات عَشْرِيّات وثلاثِيّات » بدلاً من السنوات العشرينيّات والثلاثينيّات ، رغم ما ذكره الدكتور الاسد في مقاله عن قرار مجمع اللغة العربية المصري بهذا الصدد .

أرجو الآ اكون اطلت وابرمت ، كما أرجو الآ اكون فرطت او انرطت ، وعذري في ذلك حبي لهذه اللغة الشريفة ، وقانا الله من السرف والشطط ، والله من وراء القصد .

المهندس حاتم غنيم

عشرون مقابل (تين ايجرز)

مجموعتنا العلمية
مجلة الدراسات والبحوث
اللسانية

جلب نظري تعليقكم على لفظ « تين ايجرز » و«تتراكم» «عشريون» لها ؛ لا بأس به قياسا على العشرينيين والثلاثينيين (العشرينيون او الثلاثينيون) و«شيخ ثمانيني او تسعيني» .

لكن جلب نظري ايضا ان « تين ايجرز » تختلف في تبعد العشريين ، حتى في اللغات الاجنبية هناك شبه اتفاق مع العربية كما في twenties او thirties ، الخ .

وحيث قلبت صفحة المجلة قرأت تعليق الدكتور خيرى الصغبري النحتي «فعاد فكري الى teenagers للتوضيح سؤال لماذا لا ننحت من عدد عشر teen — التي تتكرر (في طعشر الاردنية السورية الفلسطينية) ومن age « عمر » لنحصل على عشيري ؟ وال teenagers هم العشيريون — ترفع وتجر وتنصب كما في جمع المذكر السالم .

فالكلمة حلوة ومع التكرار يستجري على الإلصاق بمقبولية ، ثم انهيها على وزن عَشْمَرِيٍّ — من يركب رأسه في الحق والباطل لا يبالي ما صنع او من يأتي الامر من غير تثبت — (١)

وكلتا الصفتين كما ترون ليست غريبة (او ليستا غريبتين ان شئت) عن واقع العشمريين . «

أحمد الخطيب

أحمد الخطيب

حول كتاب "حساب التفاضل والتكامل" للدكتور حسن الكرعي

نظرت نظرة سريعة في هذا الكتاب ، ولي المأم لا بأس به بهذا البحث من الرياضيات . وفيما يلي بعض الملاحظات :

١ - كلمة "الاقتران" لترجمة كلمة Function غلط ، لان Function في الاصل معناها كمية تابعة ، ثم صارت بمعنى معادلة فيها كيتان ، احدهما Independent Variable أي متغير والثانية Dependent Variable أي تابعة أو لازمة ؛ ومثال ذلك : $y = 3x + 2$ فان (س) هو ال Variable و (ع) هو ال Dependent Variable . فبين الكيتين تلازم وليس تقارن . واستعمال التقارن في هذه العلاقة غلط . والتقارن في الزواج والفلك معناه الاجتماع ، كالتقارن بين الاصدقاء ، وأين معنى التلازم في هذا ؟ ونظرة الى القاموس ، في مادتي (قرون) و (لزم) تكفي لايضاح الفرق .

٢ - كلمة (نهاية) لترجمة Limit غلط ، لأن معنى Limit في حساب التفاضل والتكامل هو الحد الذي تؤول اليه نسبة ما عند الاقتراب من كمية ، كالصفر او ما لا نهاية ، وهذا لا يحتاج الى زيادة تعريف . فعنى Limit هنا وفي نسبة التفاضل مثلا $\frac{dy}{dx}$ هي كمية هذه النسبة في ما لها إذا اقتربت الكمية المتغيرة من قيمة معينة وهي الصفر هنا . وفي الانكليزية فرق بين end و Limit .

٣ - لا حاجة الى استعمال (ظل) عند الكلام على مماس الزاوية في

مثلث قائم الزاوية ، لأننا لو رسمنا دائرة على هذا المثلث وكان أحد الضلعين للقائمين نصف وتره واعتبرناه بأنه يساوي (١) ، لكان الضلع الثاني المقابل للزاوية مماساً . وأنا اقترح استعمال مماس للطرفين ، ولو أن العرب قديماً استعملوا الظل .

٤ - جيب التمام وتمام الجيب واحد ، وكذلك قاطع التمام وتمام القاطع، وهكذا . فتمام الجيب هو (تجيب) ولا حاجة الى (جتا) المصرية ، ولا الى امثالها مثل : ظنا .

٥ - يوجد تناف في المصطلحات بين ما هو مذكور في متن الكتاب وما هو مذكور في جدول المصطلحات الملاحق بالكتاب ، ويكفي أن أورد بعض الأمثلة :

Discontinuous مستعملة (منفصل) في الكتاب و (منقطع) في الجدول . Intermediate مستعمل (وُسطى) في الكتاب و (متوسطة) في الجدول .

٦ - لا يوجد تساوق بين المصطلحات ؛ فكلية Series مذكورة بكلمة (متتالية) ثم ذكرت (متسلسلة) في مقابل Series Solution .

٧ - ترجمة كلمة Elliptic بكلمة (ناقصي) على أساس القطع الناقص، خطأ ، وكان الأفضل أن يقال اهليلجي .

٨ - لم اجد فرقاً بين Compound و Complex ، ولا بين Inverse مثلا و Opposite او Reversed ؛ وInverse هو المنكوس وليس المنكوس .

٩ - كلمة Interval مترجمة بكلمة (فترة) وهذا غير صحيح

أما ما جاء في المجلة من تسويغ بعض الاستعمالات العامية ، فإن الأمر لا
يجوز بالتصويت .

وأهم شيء هو السعي لتحديد معاني الكلمات العربية ، وإزالة التشويش
في القواميس العربية ؛ وهذا ما فعلته في قاموسي (الهداية) الذي سيصدر
عن قريب بأذن الله .

حسن معهد الكرسي

حول كتاب "حساب النفاضل والتكامل"

رد الدكتور أحمد سعيدان

لقد أتيح لي أن التقي بالاستاذ ابي زياد ، الصديق المخضرم ، في عمان ، وان ابحث بشيء من التفصيل في امر تعليقاته ؛ ولكن بما ان المجمع قد رأى نشر هذه التعليقات فمن حق القراء عليّ ، ومن حق زملائسي المترجمين ، ان اقدم ردي للنشر ، ولو من قبيل « قول على قول » الذي به اشتهر صديقنا ابو زياد .

١ — كلمة Function ، بمفهومها الحديث في الرياضيات ، تتضمن بالضرورة تناظراً بين متغير رئيس ومتغير آخر ، او متغيرات . فترجمتها بالاقتران لا غلط فيها . ولعل الاستاذ ابا زياد يقلل من وصف الترجمة بأنها غلط ، كأن يقول : إنها غير موفقة ، مثلاً . والمصطلحات العلمية ، كالمفاهيم ، يعترىها مع تطور المعرفة تغيرات في الدلالة ، فما كانت تتضمنه كلمة Function قبل خمسين عاماً غير ما تتضمنه اليوم . لهذا نرى ان المصطلح العلمي إنما هو من قبيل التسمية : تسمى المفهومة باسم ما ، فيكون هو المصطلح ، ثم تحدد صفاتها وخصائصها ، فتصبح هي صفات المصطلح وخصائصه . اما الاسم ذاته فقد يدل على هذه الصفات ، كلها او بعضها ، وقد لا يدل على اي شيء منها .

٢ — كلمة Limit ترجمت في العراق بكلمة « غاية » ، وترجمت في سائر العالم العربي بكلمة « نهاية » ، وما من (غلط) في اي من الترجمتين ، فكلاهما اسم لمفهومة تحدد صفاتها وخصائصها في سياق

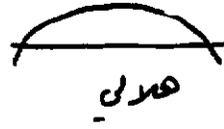
البحث ؛ والاسم يوحي باكثر هذه الصفات . ولعل كلمة « مأل » اقرب الى المعنى المتصود من النهاية والغاية . ولكن لم يستعملها احد ، على ما تعلم ، كاصطلاح يقابل كلمة Limit

٣ ، ٤ - أبو زياد جافاه التوفيق في امر الظل والمماس : فنحن نفهم أن يكون للمنحنى مماس ، ولا نفهم كيف يكون للزاوية مماس . أما ظل الزاوية فاصطلاح علمي لمفهوم معروف ، بينه وبين ظلال الاشياء علاقة وثيقة . وهو اصطلاح عربي اصيل يدل على مفهوم اخطأ الغربيون فهمه ، فسموه Tangent ، واليوم يريدنا أبو زياد أن نقع في الخطأ ذاته ، وندير ظهورنا للاصطلاح العربي .

وكذلك جافاه التوفيق في امر جيب التمام وتمام الجيب . هنالك تمام واحد هو تمام الزاوية ، اي متمتها الى ٩٠° . وللزاوية جيب هو جا ، ولتمامها جيب هو جيب التمام جتا . أما « تجيب » الذي يقترحه أبو زياد فغلط - وليس لي باستعمال لفظ نهيت عن استعماله - ذلك أن «تجيب» توحى بالتجيب، بتشديد الياء ؛ وما في الاصطلاح شيء من هذا القبيل .

٥ ، ٦ - مايسميه الاستاذ الكرمي تناقض في المصطلحات إنما هو ترادف ؛ فكلمة discontinuous ، مثلاً، تترجم الى منفصل او منقطع . إذ قد رأينا أن نستعمل اللفظين بمعنى واحد ، والزمن كنفيل بأن يقتر منها ما يقتر ، ويزيل مايزيل . ومثل هذا ينطبق على متسلسلة ومتتالية .

٧ - كلمة elliptic ترجمت الى ناقصي، لأن العـرب سبوا ال ellipse بالقطع الناقص، فترجمنا elliptic و ellipsoid بالناقصي . واذا كان أبو زياد يصف هذا الاصطلاح بأنه خطأ ، فماذا نصف الاهليلجي؟ هل الاهليلجي يحمل لتأريء اليوم اي معنى من المعاني ؟ لقد استعمل العرب الهلال والاهليلجي للدلالة على شكلين كالتاليين يحدهما قوسا



دائرتين

وواضح ان ليس اي منهما مماثلا للشكل البيضوي الذي نسميه

• ellipse أو elliptic

٨ — نوافق ابا زياد في اننا لم نفرق بين Compound و complex ،
وبين اصطلاحات اخرى متقاربة . اننا انما بدأنا السير في طريق طويل
شاق ، ولا ندعي اننا بلغنا نهايته ، او ان محاولتنا بلغت الكمال . فما لم
نبلغه في اول الطريق سيبلغه غيرنا فيما بعد .

٩ — كلمة فترة اردناها ان تكون اصطلاحا رياضيا ، يشمل الفترة
الزمانية والمساحة المكانية ، ويتجاوزهما الى اي قيمتين مقيستين او غير
مقيستين ، مما يتخذ المتغير من قيم .

وفي الختام ارجو ان يجد الصديق ابو زياد في ردي من المتعة مثل
ما اجد في تعليقاته .

الدكتور أحمد سعيدان

هول كتاب

"مصطلحات التجارة والإقتصاد والمصارف"

للاستاذ عبد الرزاق الجزار

لقد اكملت قراءة كراس (مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف)
الذي اصدره مجمعكم الموقر ، وقد وجدت انكم ترحبون بكل ملاحظة او
تصويب يصل اليكم ، كما ورد في الصفحة الثانية من المقدمة حيث ذكرتم
بالنص :

(واننا لترحب بكل ملاحظة او تصويب او تعديل يصل الينا) .
وعلى الرغم من اهمية الجهود المشتركة الموفقة التي بُذلت في سبيل
إصدار هذا الكراس ، إلا اني ارى (وقد اكون مخطئا فيما ارى) ان بعض
المصطلحات العربية المستحدثة ازاء المصطلحات الانكليزية تتطلب تبديلا
او تعديلا .

ولي الشرف العظيم ان احصر هذه الملاحظات بالضميمة المرفقة طيا .
أملا ان اكون قد اسهمت في تلبية ندائكم الكريم المنوّه به في اعلاه ،
خدمة للفتنا العربية الشريفة ، لغة القرآن الكريم .
والله الموفق .

١ - إنَّ أول ما يلفت الأنظار هو عنوان الكراس ، اذ ورد باسم (مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف) . فقد اوردتم التجارة وعطفتم عليها الاقتصاد ، وكلتا الكلمتين مصدر للفعلين (تجر) و (اقتصد) ، ثم عطفتم عليهما كلمة المصارف ، ويدلُّ بناؤها على أنَّها جمع (مصرف) ؛ وكان الأخرى ان يعطف عليهما (الصيرفة) او (الصرافة) ، اي ايراد صيغة المصدر لا صيغة الجمع .

٢ - نلاحظ انه طُبِعَ على الغلافين الخارجي والداخلي تاريخ اصـدار الكراس . فقد ذكر تاريخ صدوره أو تاريخ طبعه في شهر جمادى الثانية سنة ١٣٩٩ هـ . ولم يرد في كتب العربية هذا الشهر بهذا الاسم . اذ تذكر لنا المعجمات العربية المعتمدة ان اسمه (جمادى الاخرة) وليس (جمادى الثانية) .

٣ - وقبل ان انفارق غلاف الكراس الجميل ، هنالك ملاحظة أخيرة ؛ فقد طبع عليه اسم (المملكة الاردنية الهاشمية) و (مجمع اللغسة العربية الاردني) . وكلتاها وردتا بتخفيف النون . والصواب ان تكون نونهما مشددة، على ارجح الاقوال .

قال ابو دَهْلَب بن مُرَّيع بن كعب بن سعد :

كَحَّنتُ قَلُوصِي امسٍ بِالاردنِّ حِنِّي فَمَا ظَلِمْتُ اِنْ تَحْنِي

.. الخ

الصفحة (٣)

٤ - (شرط أو فترة التعجيل) المصطلح Acceleration Clause بدلا

من (بند التسارع) ؛ لان البند كلمة ليست بعربية ، بل هي فارسية ؛ وان وردت في معجمات اللغة العربية المعتمدة ، فتعني المعلم الكبير . أما تفضيلي : التعجيل على التسارع ، فعلى الرغم من ان كلتا الكلمتين عربيتان ، فالعنى المؤدِّي من التعجيل اقرب الى المقصود .

٥ - (كمبيالة مجاملة) Accommodation Bill ولا أرى لزوماً لذكر إعادة التوقيع بازائها ، لأن ما ينصرف إلى الأذهان من المصطلح الانكليزي موضوع البحث باللغة العربية هو كمبيالة مجاملة .

٦ - مدير - وصي على تركة - وكيل التفليسة - لمصطلح Administrator بدلا من اقتصارها على وكيل التفليسة
الصفحة (٤)

٧ - (سيارة مدرعة) لمصطلح Armoured Car بدلا من (سيارة مصفحة) . وخاصة ان ذلك منصوص عليه في المعجمات العسكرية المعتمدة .

٨ - (مراجعة الحسابات) لمصطلح Audit بدلا من (تدقيق الحسابات) وخاصة ان الأوساط الحسابية في معظم البلاد العربية تستعمل كلمة (مراجعة) بهذا المأل . أما تدقيق الحسابات فيقابلها باللغة الانكليزية مصطلح check

الصفحة (٥)

٩ - كَيْن مَيّت - دين هالك لمصطلح Bad Debt ؛ وقد آثرت ذكر مصطلح عربي ثان (ميت) لكثرة شيوعه في الأوساط التجارية والاقتصادية والحسابية من جهة ، ولتطابق المعنى المقصود مع هذا المصطلح .

الصفحة (٦)

١٠ - (رواج) لمصطلح Boom بدلا من (طفرة اقتصادية) .

الصفحة (١٠)

١١ - (صك حاجز) (أو الصك الحاجز) بدلا من (صك الحاجز) لمصطلح

Counter cheque

١٢ - (موظف حاجز) أو (الموظف الحاجز) بدلا من (موظف الحاجز)

لمصطلح Counter Clerk

١٣ - شرط استعمال القوارب وما يماثلها، لمصطلح Craft and sea clause

بدلا من شرط الصندل (الماعون) الذي ينغلق فهمه على معظم
المواطنين في البلاد العربية .

الصفحة (١٣)

١٤ - انخفاض سعر العملة - استهلاك الأصول - استهلاك - لمصطلح

Depreciation . ولا أرى موجبا لذكر كلمة اهتلاك الأصول .

لان الاهتلاك ينسحب الى معنى آخر لا يتفق والمصطلح الانكليزي .

الصفحة (١٥)

١٥ - وفور خارجية-لمصطلح External Economics بدلا من (وفورات

خارجية)، لان مفردها (وفر) وجمعها وفور لا وفورات .

الصفحة (٢٩)

١٦ - المصفر الفيلمي لمصطلح Microfilm بدلا من (ميكروفلم) . لانكم

باستعمالكم نفس المصطلح الانكليزي ، كأنكم لم تضعوا مصطلحا

يقابله بالعربية او هو قريب منها .

الصفحة (٣١)

١٧ - كِسْفَة أو بَتْكَة-لمصطلح Scrap بدلا من (خردة) التي هي كلمة

فارسية صرفة .

الصفحة (٣٢)

١٨ - (فرق بين سعرين)-لمصطلح Spread ؛ تلاحظون انها مكونة من

مجموع كلمات اقل من مجموع الكلمات الموضوعه من قبل المجمع
(الفرق بين سعر البيع والشراء) وتؤدي الى المعنى المقصود .

الصفحة (٣٤)

١٩ - اذون خزينة - حوالات خزينة - لمصطلح Treasury Bills لان
بعض الاقطار العربية اعتادت على استعمال المصطلح العربي
الثاني لها . واني اميل الى ترجيح الحوالات على الاذون لالتصاقها
بالمعنى المقصود .

٢٠ - (اموال ائتمان) - لمصطلح Trust Funds ولا ارى اقحام (الوقف)
كمترادف لها . لان الوقف له احكامه في الشريعة الاسلامية ، ولا
يوجد في القوانين الوضعية . بحيث ان المعنيين في القضايا العامة
اقتصروا على ترجمة كلمة وقف الى اللغة الانكليزية بنفس لفظها
العربي (wakf)

اكتفي بايراد هذه الملاحظات المتواضعة ، وهي حصيلة دراسة
سريعة لمصطلحات الكراس ، قد اكون فيها مصيبا ، وقد اكون مخطئا ؛
فاذا اصبحت فلي اجران ، اما اذا كنت مخطئا فلي اجر واحد ، كما يقول
الفتهاء .

امل ان اكون قد اسهمت في تلبية النداء الموجه منكم بخصوص ابداء
المقترحات .

وتفضلوا بخدم فائق تقديري واحترامي .

عبدالرزاق الجزائر

مصطلح "هاجر للخدمة" مقابل (كاونتر)

كان مجمع اللغة العربية الذي في احدى جلساته عام ١٩٧٩ قد
ر استعمال مصطلح "هاجر للخدمة" مقابل المصطلح الانكليزي
Counter ، وقد عبه وزير المواصلات السابق . الزميل الدكتور سعيد التل ،
على دوائر البريد لاستعماله بدلا من المصطلح الاجنبي ، كما كتب بذلك الى
الاتحاد البريدي العربي . وقد اعترضت على هذا المصطلح وزارة
المواصلات العراقية الشقيقة ، وكتبت بذلك الى الامانة العامة للاتحاد
البريدي العربي ، ونقل الاتحاد اعتراضها الى الاردن ، ووصل الى
المجمع .

وفي ما يلي صيغة الاعتراض العراقي ، ننشرها لاجل تبادل الآراء في
الموضوع ، توصلنا الى المصطلح الاصح :

آد / ١٢ / ٩٢

الامانة العامة للاتحاد البريدي العربي

٥٢ نهج ابن شرف — تونس — الجمهورية التونسية

م / استخدام عبارة (هاجر للخدمة) بدلا من كلمة (كاونتر)

تحية طيبة ،

يشير الى الاشارة الى نشرتم المرقمة ٧٩/٣٧ والمؤرخة في ١١/٦/١٩٧٩

بخصوص استخدام عبارة (حاجز للخدمة بدلا من كلمة كاؤنتر) التي أقرها مجمع اللغة العربية الاردني، ولدى دراستنا لهذه التسمية الأردنية من الجوانب الواقعية والفنية واللغوية وجدنا ان لفظة (حاجز) لا تنطبق على المعنى الواقعي (العملي) واللغوي للتركيبات المشيدة أو المنصوبة كمواقع لاداء الخدمات البريدية في مداخل المكاتب البريدية، أو ما يطلق عليها تسمية (شبك أو شبابيك البريد) ؛ ذلك لأن هذه التركيبات المستطيلة غالبا ما تقسم الى عدد من النوافذ (شبابيك) لتؤدي كل نافذة منها خدمة من خدمات المكاتب، حسبما يُمليه تعدد الخدمات وحجمها. وعلى ذلك فاننا نسمي النافذة باسم الخدمة التي تؤدي عليها، فنقول: (نافذة أو شبك الطوابع) ، و (نافذة أو شبك المسجلات) ، و (نافذة أو شبك التوفير) . اذن فان هذه التركيبات ليست مجرد حاجز أو حواجز بين موقع وموقع، أو بين موظفي الخدمات البريدية وطالبي الخدمات ، بل انها اجهزة مركبة ومعدة لاداء الخدمات من الموظفين ، الى المواطنين .. وهذا هو البعد العملي والواقعي لها .. ومن الناحية اللغوية فان جملة شبك البريد بالانكليزية Post Office counter أفرزت التسمية اللاتينية المختصرة (كاؤنتر Counter)، وشاعت على السن الموظفين البريديين العرب اقتباسا من زملائهم الأجانب، الذين كانوا يعملون في ادارات البريد العربية في بدايات تأسيسها وعندنا في العراق، ومنذ فترة عريف هذه التسمية بعد الرجوع الى جذورها اللاتينية والعربية، فأطلقنا على التركيبات المستطيلة التي تنظم مجموعة شبابيك الخدمة البريدية باسم (المحسب)، وهي ترجمة حرفية ومعنوية ومشتقة من الكلمات (حساب account) و (محاسبة accounting) و (محسب / شبك بريد Post Office counter) وعليه فان التسمية (المحسب) التي نستخدمها في العراق هي التسمية الواقعية واللغوية لهذه التركيبات التي تكوّن شبابيك البريد في المكاتب، وان التسمية الأردنية (حاجز) أو (حاجز

للخدمة) لا تنطبق على الواقع عمليا ولغويا، فالحاجز بالفرنسية
obstacle/ Barriere / Barraie هو السد / المانع / العائق .

راجين التفضل بالاطلاع، وتعميم هذه التسمية على الادارات البريدية
الاعضاء في اتحادنا البريدي العربي .
نتنيز هذه المناسبة لنعرب لكم عن اطيب امانينا .

المدير العام
لهيئة البريد
نزار توفيق محمد

تعليق المجمع

ويرى المجمع ان المصطلح الذي تقترحه وزارة المواصلات العراقية
— وهو : المحسب — كان يصح لو ان الحاجز — او الكاونتر — كان
للحسابات او للمحاسبة ، ولكنه في الواقع ليس كذلك ؛ بل هو لتأدية
خدمات متعددة للمواطنين : من بيع الطوابع ، الى البرقيات ، الى معاملات
التوفير البريدي ، الى تسليم الرسائل المسجلة ، الى تسليم الطرود ،
انى امور اخرى متعددة . ومن هنا كان اقتراح المجمع استعمال مصطلح
« حاجز الخدمة » لشمول كل الخدمات التي يؤديها موظفو الحاجز
للجمهور .

والمجمع يرجو ان يعرف رأي المجمع الشقيقة في هذا ، لتوحيد
المصطلح في العالم العربي ، بدلا من الاستمرار في استعمال المصطلح الاجنبي
الذي لا مبرر له .

(المحرر)

أخبار جمعية

أعضاء مؤازرون في مجمع اللغة العربية الأردني

قرر مجلس مجمع اللغة العربية الأردني في اجتماعه السابع والأربعين ، الذي عقده مساء يوم الأحد ٢٩/٤/١٤٠٠ هـ . الموافق ١٦/٣/١٩٨٠ م . تعيين أعضاء مؤازرين للمجمع من البلدان العربية الشقيقة ومن المستشرقين البارزين .

وكان المجمع العلمي العراقي قد قرر من قبل تعيين جميع أعضاء المجمع الأردني أعضاء مؤازرين فيه ، توثيقاً للروابط العلمية والأخوية بين المجمعين . وراى المجمع الأردني اتخاذ خطوة مماثلة ردّاً للتحية العراقية بمثلها ، فقرر تعيين جميع أعضاء المجمع العراقي الشقيق أعضاء مؤازرين فيه ، وعددهم (٣٧) عضواً ، وبذلك بلغ عدد الأعضاء المؤازرين الذين عينهم المجمع الأردني بموجب قراره رقم (٢٨٠٠٠٦) تاريخ ١٦/٣/١٩٨٠ م ستة وخمسين عضواً ، وهذا هو القرار :

القرار رقم (٢٨٠٠٠٦)

بناء على تنسيب المكتب التنفيذي الخطي ، واستنادا الى الفقرة (ب) من المادة (٩) من قانون مجمع اللغة العربية الاردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م ، قرر مجلس المجمع ما يلي :

١ - تعيين جميع اعضاء المجمع العلمي العراقي التالية اسماؤهم
اعضاء مؤازرين في المجمع الاردني :

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ١ - الدكتور سعدون حمادي | ٢٠ - الشيخ محمد الخال |
| ٢ - محمود شيت خطاب | ٢١ - ضياء شيت خطاب |
| ٣ - عزيز عقراوي | ٢٢ - الدكتور جوامر مجيد سليم |
| ٤ - الدكتور احمد سوسة | ٢٣ - الدكتور علي المياح |
| ٥ - الدكتور مسارع الراوي | ٢٤ - يوسف خيدو البازي |
| ٦ - الشيخ عبد الكريم المدرس | ٢٥ - الدكتور جميل الملايكة |
| ٧ - محمد بهجت الاثري | ٢٦ - الدكتور يوسف عز الدين |
| ٨ - موسى عبد الصمد | ٢٧ - الدكتور جمال محمد صالح |
| ٩ - طه باقر | ٢٨ - الدكتور زكي صالح |
| ١٠ - الدكتور يوسف حبي | ٢٩ - الدكتور علي عطية عبدالله |
| ١١ - الدكتور محمود الجليلي | ٣٠ - الدكتور جابر الشكري |
| ١٢ - الدكتور ناجي عباس احمد | ٣١ - الدكتور حسن كتاني |
| ١٣ - الدكتور منذرابر هيم الشاوي | ٣٢ - الدكتور نجيب خروفة |
| ١٤ - الدكتور جواد علي | ٣٣ - ميخائيل عواد |
| ١٥ - الدكتور جميل سعيد | ٣٤ - الدكتور نوري القيسي |
| ١٦ - الدكتور عبد المال الصكبان | ٣٥ - الدكتور فخري محمد صالح |
| ١٧ - الدكتور عبد العزيز البسام | الدباغ |
| ١٨ - سنحاريب (زكا) عيواص | ٣٦ - الدكتور كامل حسن البصر |
| ١٩ - كوركيس عواد | ٣٧ - اندراوس حنا . |

٢ - تعيين السادة التالية اسماؤهم من علماء الاقطار العربية
الشقيقة ومن المستشرقين الغربيين ، اعضاء مؤازرين كذلك في المجمع :

- | | |
|--|--|
| ١ - الدكتور عدنان الخطيب | مجمع دمشق |
| ٢ - الدكتور شكري فيصل | مجمع دمشق |
| ٣ - الدكتور محمد هيثم الخياط | مجمع دمشق |
| ٤ - الدكتور علي محمد خسرو | رئيس المجمع العلمي الهندي |
| ٥ - الاستاذ ابو الحسن الندوي | عضو المجمع العلمي الهندي |
| ٦ - الدكتور مختار الدين احمد | الامين العام للمجمع الهندي |
| ٧ - الدكتور احمد محمد سليمان | استاذ في كلية الطب / الجامعة
الاردنية |
| ٨ - الاستاذ حمد الجاسر | من المملكة العربية السعودية |
| ٩ - الدكتور ابراهيم السامرائي | من العراق |
| ١٠ - الاستاذ ابو القاسم محمد
كرو | من تونس |
| ١١ - الاستاذ محمد مزالي | من تونس |
| ١٢ - الاستاذ محمود المسعدي | من تونس |
| ١٣ - الاستاذ خليفة محمد
التليسي | من ليبيا |
| ١٤ - الاستاذ عبد الرحمن الحاج
صالح | من الجزائر |
| ١٥ - الاستاذ عبد الحميد المهري | من الجزائر |
| ١٦ - الدكتور عبد الهادي التازي | من المغرب |
| ١٧ - الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله | من المغرب |
| ١٨ - المستعرب الاستاذ جاك بيريك | من فرنسا |
| ١٩ - المستعرب الاستاذ بيدرو
مارتينيث مونتافيث | من اسبانيا |

٣ - وتلقى الجمع بعدئذ من الجمع العلمي العراقي الشقيق ، أنه تم تعيين

أربعة أعضاء جدد فيه ، هم :

الدكتور احمد عبدالستار الجوارى

الدكتور احمد ناجى القيسى

الدكتور محمد حسن آل ياسين

الاستاذ محمد تقى الحكيم

فقرر المجلس في اجتماعه التاسع والاربعين ، والذي عقده بتاريخ

١٢/٦/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧/٤/١٩٨٠ م . تعيين هؤلاء الاعضاء الاربعة

اعضاء مؤزرين فيه ، وابلغهم ذلك خطياً .

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السابعة والأربعين

عقد مجمع اللغة العربية الشقيق في القاهرة مؤتمره السنوي فسي دورته السادسة والأربعين ، وذلك من ٣ الى ٣١ / آذار - مارس - ١٩٨٠ . وقد ناقش المجمع ، جريا على عادته في كل دورة من دورات مؤتمره السنوي ، مئات المصطلحات الفنية والعلمية الحديثة ، واصر عددا من القرارات في أصول العربية وتيسير النحو والاملاء . . .
وخلال المؤتمر القيت بحوث في لغة المسرح الحديث ، وفي قضايا الشعر العربي المعاصر .

وقد وعد الزميل الدكتور عدنان الخطيب بأن يوافينا ، كالمهد به ، بتقرير واف عن وقائع المؤتمر ، نرجو أن ننشره في حينه .

شفيق جبري في ذمة الله

في ربيعاء ١٩٧٩/١٢/٢٣ فقدت سوريا علما من اعلام الشعر والادب ، ودرعا من دروع اللغة العربية ، بفقد شاعر الشام واديبها الكبير شفيق جبري ، كما فقد مجمع اللغة العربية في دمشق عضوا بارزا من اعضائه العاملين المجتدين . وقد نعاه مجمع دمشق ، ووزارة التعليم العالي . واسرة التعليم في جامعة دمشق ، ووزارة الثقافة والارشاد القومي . واتحاد الكتاب العرب في دمشق .

ولد شفيق جبري في حي القنوات في دمشق سنة ١٨٩٨ ، في بيت دمشقي عريق ، ونما وترعرع في دمشق ، وفيها نمت شاعريته . وقد عمل في سلك الحكومة ، وفي وزارة التربية والتعليم كما كان عميدا لكلية الآداب في الجامعة السورية — جامعة دمشق اليوم — من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٨ . وعين عضوا في مجمع دمشق ، وظل يكتب في مجلته ويشارك في نشاطاته العلمية حتى في شيخوخته . وقد تجاوز من العمر اثنين وثمانين عاما وظل في وحدته وشيخوخته يقيم في منزله في بلودان صيفا وشتاء .

وعلى الرغم من انه نظم الكثير من القصائد ، فانه لم يجمع شعره في ديوان ، ولكنه ترك لنا الكثير من المؤلفات النثرية ، منها :

الجاحظ معلم العقول

بين البحر والصحراء

دراسة عن كتاب الأغاني

محاضرات عن محمد كرد علي

ارض السحر (رحلة)

انا والشعر

انا والنثر

لقد فقدت المجامع اللغوية العربية بفقده مجعياً فذا ، أحب اللغة العربية عمره ، ودافع عنها بشعره ونثره .

ومجمع اللغة العربية الأردني يشارك شقيقه المجمع الدمشقي ، كما يشارك الشعب السوري الشقيق في مشاعر الاسبى على الزميل الراحل • وقد بعث رئيس المجمع الدكتور عبد الكرم خليفة بهذه المناسبة ببرقية التعزية التالية :

الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية
دمشق — سوريا

علمنا بتأبين برحيل الزميل المرحوم شقيق جبري . فباسم المجمع الأردني واسمي ابعث اليكم بأحر التعازي ، متمنيا لكم وللزملاء جميعا في المجمع الدمشقي الشقيق طول العمر وخصب العطاء ، وللفقيد الغالي رضوان ربه ، ولذويه الصبر والسلوان .

رحمه الله واجزل ثوابه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكرم خليفة

البطريك يعقوب الثالث
والدكتور ميشيل خوري
في ذمة الله

وفقد جمع دمشق أخيراً عضوين آخرين من أعضائه العاملين ، ما

البطريك يعقوب الثالث
والدكتور ميشيل خوري

وجمع اللغة العربية الاردني يتقدم الى المجمع الدمشقي الزميل بالمشاركة
القلبية على خسارة هذين الزميلين الكريمين ، رحمهما الله ؛

وحين يسقط واحد من أعضاء المجامع اللغوية ، تخسر اللغة العربية
عاملاً نشيطاً مخلصاً من ابنائها البررة ، العاملين على عزتها ورفع شأنها ،
وجندياً مناضلاً في ميادينها .

عوض الله المجمع الدمشقي الزميل عنها خيراً ، ليستمر في مسيرة
الخير التي سار على دربها ستين عاماً أو أكثر ، لم يعرف غير الجهاد المتواصل
من أجل خدمة اللغة العربية .

المصطلحات



المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Client Or Customer	زبون	
Close	اقفال	انتهاء معاملة البيع .
Estate Builder	عقد مكون للثروة	عقد تأمين يصدر على حياة الاطفال بقصد تكوين ثروة .
Insurable Interest	مصلحة تأمينية	مصلحة المستفيد وصاحب وثيقة التأمين في استمرار حياة المؤمن له .
Lapse	توقف	انتهاء عقد التأمين بسبب عدم دفع الاقساط
Non-Forfeiture Values.	قيم مصونة	القيم التي تحفظ لصاحب وثيقة التأمين اذا توقف عن دفع الاقساط .
Override	عمولة خاصة	العمولة المتحققة لرئيس الوكالة ، أو رئيس الوحدة ، على شكل نسبة مئوية من عمولات الوكلاء العاملين في تلك الوحدة أو الوكالة (Commission)
Quota	حصة	الحد الأدنى المتفق على بيعه بين الشركة والوكيل / البائع .
Persistency	استمرار	استمرار سريان الوثيقة بفضل المثابرة على دفع الاقساط .

المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Presentation.	عرض	جزء من مقابلة البيع يتم فيه عرض التأمين على الحياة بوصفه الحل المثالي لمشكلات الزبون المرتقب .
Prospect	زبون مرتقب	
Prospecting	تنقيب	البحث عن الزبائن المرتقبين .
Rated Policy	وثيقة أعلى تكلفة	وثيقة تأمين بتعرفة أعلى من التعرفه العادية لاسباب تتعلق بالوضع الصحي أو المهني ... الخ للمؤمن له .
Recruitment	تجنيد	تجنيد الوكلاء لبيع التأمين .
Referred Leads.	مرشدون	اشخاص من مناصري التأمين ، يرشدون الوكيل الى الزبائن المرتقبين.
Submitted Business	طلبات مقدمة	الطلبات التي تقدم للشركة قبل دراستها ، وقد تكون مصحوبة بكامل القسط او يجزء مقبول منه .
Surrender Value, or Cash Surrender Value	قيمة التصفية	المبلغ الذي يدفع لصاحب الوثيقة (تأمين عادي لمدى الحياة أو مترتب) لدى تسليمه وثيقة ...

المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
		... التأمين للشركة بقصد تصنيفها قبل تاريخ استحقاقها او وفاة المؤمن له .
Underwriting Department.	دائرة التقييم	الدائرة المعنية بتقدير الخطر وتقييمه وتصنيفه وما يتبعه من انتخاب بقتضى الاسس والانظمة المرعية .
Write An Application (a policy)	يعدد صفقة	